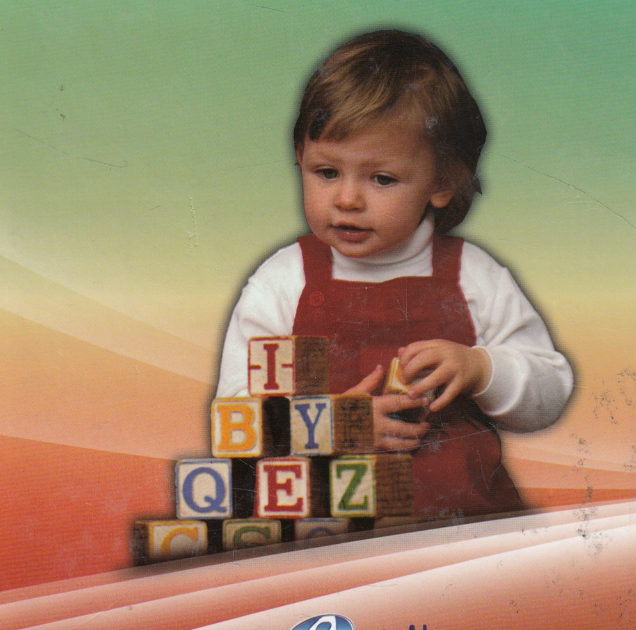
د. هادي نعمان الهيتي

الإعلام والطفل



دار أسامة
للنشر والتوزيع

الإعلام والطفل

تأليف

أ.د. هادي نعمان الهيتي

عميد كلية الاعلام واستاذ الاتصال الجماهيري بجامعة بغداد

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن – عمّان

- هاتف: ٥٦٥٨٢٥٢ -٥٦٥٨٢٥٣
- فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
- ص.ب: ١٤١٧٨١
- Email:darosama@wanadoo.jo

طبعة

٢٠١١ م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٧/٥/١٢٤٤)

٣٠٦

الإعلام والطفل/ هادي نعمان الهيتي: دار أسامة، ٢٠٠٧.

(   )ص.

ر.أ.: (٢٠٠٧/٥/١٢٤٤)

الواصفات: /الاتصال الجماهيري//بث المعلومات//الأطفال/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

المقدمة:

أصبح لعملية الإعلام والاتصال الجماهيري علم قائم بذاته له تفرده بين العلوم الانسانية، هو علم الاتصال الجماهيري، اذ توفرت لهذا العلم أبنية منهجية كالنظريات والقواعد والقوانين والنماذج والفروض، حيث تعاملت حركة البحث العلمي الاتصالي منذ الخمسينيات من القرن الماضي مع عمليات الاتصال وحركة تناقل الافكار بقصد فهم هذه العمليات، وتفسيرها، والتحكم في ظواهر الاتصال والإعلام، والوقوف على مآلات ظواهرها وفعالياتها.

وكانت حصيلة البحث العلمي الاتصالي ان تضافرت تلك الابنية مع الذخيرة المعرفية الميدانية والنظرية بحيث امكن الانتفاع منها في عملية تناقل الافكار بدل الركون الى الاجتهاد، إذ أمست لهذه العمليات اسس على جانب كبير من الدقة والحساسية. وصار لزاما على العاملين في الاتصال التفنن في الاستعانة من حركة التنظير على صعيد التطبيق.

وبهذا وثب العلم الجديد في نهضة عاقلة حيث أخذ على العاتق الانتقال بالابنية المنهجية الى ذخيرة معرفية وبهذه الذخيرة الى تطبيقات عملية، وبهذا طوّع الفكر الى علم، وانتقل بالعلم الى فن عند التطبيق، وبهذا كان سباقا الى إقتحام ميدان العمل الفني.

واستعان العلم الجديد في تطبيقاته الفنية بالتقنيات الحديثة في تجسيده المعاني، وبذا أحدث انعطافات واسعة في مجمل ابداعاته.

ومع هذا ظلت حركة الاتصال تواجه مشكلات شتى من خلال علم يتعامل مع الانسان اولا، وهذا التعامل هو شديد الخطر، لذا كثيراً ما وصف بأنه ذو حدين يمكن ان ينتهي الى حلول او ينتهي الى عُقَد تبعاً لظروف يصعب تبين مكوناتها.

ويظل علم الاتصال يزدرد المعلومات ويعالج الظواهر مواكباً عمليات الاتصال وحركة البحث العلمي من اجل تحقيق وظائف اساسية على صعيد العلم والفن. ولهذا يستمر صدور البحوث والدراسات، وبذا عدت حصائل علم الاتصال الجماهيري جديدة ومستمرة.

ويضم هذا الكتاب عشرة فصول يشكل كل فصل دراسة علمية، منها ماهي، دراسات نظرية، ومنها ماهي دراسات ميدانية. وقد تباينت موضوعات الفصول الا انها التقت عند نقطة جوهرية هي ان مجمل هذه الفصول تتناول قضية الطفولة في علاقتها بحركة الإعلام والاتصال.

المؤلف

د. هادي نعمان الهيتي

عميد كلية الإعلام

واستاذ الاتصال الجماهيري في جامعة بغداد

الفصل الاول

الأطفال في أجواء الإعلام

الأطفال في أجواء الإعلام:

تؤلف حركة الثقافة وفعاليات الاتصال والتعبير جواً ذهنيا يتحقق فيه تناقل المعاني بين الأطراف، ويتم ذلك التناقل عن بعد عبر وسائل الاتصال الجماهيري او وجها لوجه.

وتبدو مكونات ذلك الجو في كل مجتمع، حيث تطبع تلك المكونات ظلالها على اسلوب الحياة، ويبدو في الجو الذهني، لكل مجتمع قدر من التفرد، وقوام ذلك الجو، وحدات تتخذ لها إنتظاما على سلالم معينة، واتجاهات بعينها. ولتلك السلالم والاتجاهات درجة من الدينامية ومستوى من التفاعل، وقدر من التبادل.

ويحيا أفراد المجتمع في هذا الجو الثقافي والفكري، ولهم فرص متباينة من المشاركة في الارسال والاستقبال، وهم يختلفون في مدى تأثرهم بهذا الجو مثلما يختلفون في اتجاهاتهم، وطرائق تفكيرهم، وردود افعالهم.

والجو الثقافي والفكري لمجتمع من المجتمعات غير معزول عن الأجواء الاخرى، وكثيرا ما يتحقق "الاتصال" المتبادل وبالتالي "التأثير" المتبادل بين هذه الاجواء وتلك.

وفي أي بيئة يولد الطفل فان من حوله مصادر تطلق رسائل إتصالية، ويستطيع الطفل - بعد ولادته بأشهر قليلة- استقبال بعض تلك الرسائل والاستجابة لها او التغاضي عنها او التمرد عليها. ويكون استقبال الطفل للرسائل بصورة مباشرة خلال بدايات العمر الاولى، ثم يمكن له، بعد ذلك، استقبال الرسائل بصورة غير مباشرة، أي عبر وسيلة اتصالية.

وهذا يعني ان الطفل يحيا في بيئة إتصالية، منذ وقت مبكر من عمره، وقوام تلك البيئة رسائل اتصالية متعددة ومختلفة المصادر، ومن هذه الرسائل ما هي مقصودة يستهدف مرسلوها تحقيق هدف بعينه، ومنها ما هي عارضة، كما ان منها ما هو مرغوب فيها، ومنها ما هو مرغوب عنها.

وحين يتخطى الطفل السنوات الاولى من عمره يكون قد تجاوز استقبال

الرسائل المباشرة وبدأ في استقبال رسائل غير مباشرة عبر التلفزيون والسينما، وبعدها: عبر الاذاعة والكتب والصحف والحاسوب. وهذا يعني ان مع ولادة الطفل تبدأ عمليات اتصالية تظل في تطور مستمر حيث يحرص المجتمع على صوغ رسائل ذات مضامين محددة ولها شيء من التفرد في صياغتها والتوجه بها الى الأطفال في عمليات درج البعض على تسميتها "إعلام الأطفال"، وهذا المستوى الإعلامي يؤلف جزءً مما يستقبله الأطفال، حيث يتلقى الطفل الكثير من عمليات الاتصال غير الموجهة اليه أصلا.

ولا يمكن تصور مجتمع إنساني بدون اتصال بين أفراده وجماعاته، ذلك ان الاتصال نشاط دائم للمشاركة في المعلومات، لذا فان ولادة الطفل تعني – في هذا المجال – بدء تعرضه لمثيرات المجتمع الثقافية في البيئة، مادامت هناك انشطة مختلفة من الاتصال تقوم على رموز اخرى غير اللغة اللفظية التي لن يكتسبها الطفل الا بعد حين من ولادته.

وهذا يعني ان الطفل طيلة فترة طفولته هو مستقبل لعمليات اتصالية متعددة المصادر، مختلفة المضمون.

وقد تفرد الإعلام العربي بكثير من السمات، اذ هو في موضع التأثر بالتراث الثقافي، والتراث الديني، والوضع السياسي، والوضع الاجتماعي الى جانب ما هو وليد الفكر الوافد، وما هو من إبداعات وإجتهادات اجتماعية لها قدر من الاصالة أو التقدم.

وهذه التيارات الثقافية والفكرية، الداخلية منها والخارجية ذات علاقة بحركة الإعلام العربي، ذلك ان مجمل العوامل تتداخل لتؤول الى الصيغ التي نجدها في تعبير المجتمع العربي عن نفسه وفي تناقله الافكار، كما نجدها ذات تأثير في توجه المجتمع إعلاميا الى الأطفال، فاذا كانت هموم المجتمع العربي وآماله تتمثل في عدد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فان ذلك يتضح ليس في مضمون عمليات الإعلام وحدها، بل في اساليب التعبير إعلاميا عن ذلك المضمون ايضا. ذلك ان العنصر البشري ومكونات الواقع المادية والمعنوية هي التي تحكم مجمل العمليات الإعلامية. وعلى هذا تطبع مجمل الظواهر بظلالها على الإنسان في الوطن العربي راشدا كان أم طفلا، وتلعب دورا واضحا في حركة المشاركة الإعلامية.

وقد عنيت بعض وكالات المجتمع وبعض أفراده بعمليات الاتصال بالأطفال بحبث تؤدي اهدافا رئيسية بتحقق من خلالها إحاطة الأطفال بالمعلومات والأخبار والثقافة وفرص الترويح.

ويتعرض الجمهور العربي لتيارات الإعلام الداخلي والوافد، أي هو يستقبلها بما في ذلك جمهور الأطفال، كما يتعرض الأطفال لنشاط إعلامي نوعي موجه للطفولة هو إعلام الأطفال، إذ تحيط بالأطفال في الوطن العربي مصادر متعددة تبعث برسائلها الى الأطفال، **وتتوزع على:**

١- الإعلام العربي المتمثل بإعلام (الراشدين) .

٢- إعلام الأطفال الذي يتوجه بالاساس الى الأطفال.

٣- الاتصالات المواجهية في الاسرة وجماعات الرفاق والمدرسة.

ومن خلال هذا التوزيع يتضح تنوع المصادر الاتصالية امام الطفولة وتباين طرائق وصولها واختلاف تأثيراتها في بعض المواقف الاتصالية الى حد التناقض – احيانا – ومن هنا يتضح ان الطفولة امام عوامل تأثير شتى. حيث تلعب مستويات الإعلام المشار اليها ادوارا ينبغي ان يعمل المجتمع من اجل ان يدفع بها الى التكامل فى تأثيرها في الأطفال.

ويراد بإعلام الكبار مجمل العمليات التي يستعين بها المجتمع بالرموز اللفظية وغير اللفظية بقصد نشر الأخبار واحاطة الآخرين بالمعلومات، وبث الثقافة، والترويح، من خلال اساليب متجددة في التعبير.

ويحيا الأطفال العرب في مجتمع كبير له ثقافة متفردة تجمع بين عناصرها قوانسم مشتركة. وهذه الثقافة، هي الاخرى، تحيا في عالم له ثقافاته المختلفة، واذا كانت الثقافة العربية تعاني من مشكلات داخلية فهي تعاني، ايضا، من مشكلات تتعلق بحدود التفاعل مع الثقافات الاخرى في العالم، بما فيها مشكلات التفاعل الاتصالي والإعلامي.

واذا كانت بعض مشكلات الثقافة تبدو ذات صفة إعلامية فأن التمعن فيها يفصح انها ذات ارتباط بمشكلات اجتماعية او اقتصادية او سياسية ذلك أن من غير

الممكن النظر الى المشكلة الإعلامية معزولة، في حد ذاتها، عن المشكلات الاخرى في المجتمع.

وبسبب طبيعة النظام العربي، في ذاته، وبتأثير قوى العصر الحاضرة إتخذ الإعلام العربي وضعا وإتجاها واسلوبا متفردا. واذا كان تأثير العوامل الخارجية على قدر عال من التشابك فأن تاثيرات العوامل الداخلية أكثر تشابكا ذلك ان مجمل العوامل تتداخل لتؤول الى الصيغ التي نجدها في تعبير المجتمع العربي عن نفسه وفي تناقله المعاني. كما نجدها أيضا في توجه هذا المجتمع إعلاميا الى الأطفال. فاذا كانت هموم المجتمع العربي وآماله تتمثل في عدد من القضايا والصور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فان ذلك يتضح لبس في مضمون عملياته الإعلامية وحده، بل في أساليب التعبير إعلاميا عن ذلك المضمون، ايضا. ذلك إن العنصر البشري ومكونات الواقع المادية والمعنوية هي التي تحكم مجمل العمليات الإعلامية.

وإذا كان هذا الأمر يتضح على صعيد النشاط الذي تتولاه مؤسسات الإعلام الرسمية وغير الرسمية فإنه يتضح، ايضا، على صعيد ما تتولاه الاسرة، وعلى صعيد ما تتولاه مؤسسات المجتمع المدني التي منها ما يعمل من أجل تحقيق اتصال إعلامي بالأطفال.. ولكن إعلام هذه المنظمات والمؤسسات له تناقضاته واشكالاته ما دام يجري في مجتمع يعاني من التناقضات والاشكالات.

والإقرار بوجود المشكلات في أي مجتمع يقضي بوجوب حضور التفكير العلمي ذلك إن هذا المستوى من التفكير يتعامل مع أي مشكلة بواقعية، وموضوعية، ومرونة، ودقة، وتنظيم، كي ينتهي الى وضع الاجابات أو الحلول.

ومن هنا فإننا نحاول – في هذا الفصل – التعامل، وفق رؤى المنهج العلمي، مع ايجابيات وسلبيات الإعلام الذي يحيط بالطفل العربي من خلال محاولة تبين ملامح الإعلام الموجه إلى الكبار، من جهة، والإعلام الموجه إلى الأطفال، من جهة أُخرى، على أساس أن الأطفال كثيرا ما يتعرضون للإعلام الموجه للكبار. وقد اثبتت دراسات التعرض ان الأطفال يتعرضون لإعلام الراشدين أكثر من تعرضهم للإعلام الموجه اليهم، لذا فان إعلام الراشدين له موحياته في الأطفال مثلما لإعلام الأطفال موحياته في

الطفولة. حيث أنه يتاح لنسبة من الأطفال العرب إستقبال بعض وسائل إعلام الطفولة وبعض وسائل إعلام الكبار، ولما كانت للإعلام تأثيرات موحية، لذا فان ذلك يقتضي الوقوف على ما يحتمل ان يوحي به مجمل الإعلام الذي يتعرض له الأطفال. ولما كان من غير الممكن الوقوف، ميدانياً، على ذلك فاننا في هذه الدراسة نحاول تحليل الإعلام بغية تحديد السمات الظاهرة فيه والتي يمكن لها أن تنتهي الى إيحاءات للأطفال. حيث ان الجو الإعلامي المحيط بالأطفال له تأثيرات ايجابية كبيرة الى جانب اخرى سلبية. وهذه الدراسة تهدف الى تشخيص ابرز الملامح في إعلام الكبار وإعلام الطفولة والتي يحتمل ان تحمل للأطفال إيحاءات، منها ما هي سلبية، ذلك ان فهم أي ظاهرة يقتضي الوقوف على العلاقة بين العناصر المكونة لها.

ولكن تشخيص السمات البارزة في الإعلام العربي للأطفال أو الكبار لا يعني ان لهذه السمات البروز نفسه في كل قطر من الاقطار العربية كلها، اذ هي تتباين في مدياتها، في هذا القطر العربي أو ذاك، من الوجود العابر هنا الى الحضور الدائم هناك، خاصة وإن العرب يشهدون منذ العقد الاخير من القرن الماضي طبعات عربية من الصحف الدولية وقنوات فضائية عابرة للحدود، وتوزيعا للكتب والمطبوعات على إمتداد الوطن العربي الأمر الذي أمكن فيه القول بوجود إعلام عربي على الساحات العربية كلها بعد ان كان الإعلام ينشط قطريا.

ودخول الوطن العربي عصر الاتصال الدولي يعني أن المجتمع العربي يتعامل مع أفكار وأساليب وتكنولوجيات جديدة، ويتطلب الأمر عقلا جديدا في تعامله مع المعطيات الداخلية والخارجية التي لا عهد له بها من قبل.

والإعلام العربي ما يزال إزاء التطورات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والعلمية والمعرفية والاتصالية غير قادر على مواكبة التحولات الكبرى، إذ هو لم يستطع إستيعاب الواقع العالمي الجديد، حيث يستقبل الوطن العربي من الخارج رسائل الاتصال بصورة مستمرة عبر ما يطلق عليه "التدفق الاتصالي" من البلدان المتقدمة الى بلدان الوطن العربي، اضافة الى تبادله الاتصال على الصعيد الوطني والقومي.

وفي وطننا العربي، رغم أن حركة البحث العلمي في المجالات السلوكية هي في تصاعد مستمر، إلا أن ذلك لم يواكبه، بقدر كاف، تغيير في أساليب التعامل الاجتماعي مع الطفولة وفق أسس العلم، حيث ما تزال بعض الاساليب تركن الى الاجتهاد الذاتي، أو الى المحاولة والخطأ أو الى الطرائق التقليدية والمتوارثة، وهناك من ما يزال يصر على أن يظل مجتمعنا مجتمعاً للرجل فيحرص على ترتيب الاوضاع للكبار وحدهم قبل غيرهم دون أن يكون للمرأة الا دور شكلي وللطفولة الا اهتمام عابر.

ومن بين الاوضاع التي وجد الأطفال العرب أنفسهم في أجوائها هو الوضع الإعلامي، اذ يحيا الأطفال في كنف إعلام الكبار، وهم يتأثرون - بقدر أو آخر - ببعض ما يوحى به، ويتشربون ببعض ظواهره، خاصة وإن من غير الممكن عزل الأطفال عن إعلام الكبار ما دام من بين خصائص الإعلام الجماهيري أن يكون متاحا للجميع.

والى جانب إعلام الكبار الذي يحيط بالأطفال ظهر بشكل تدريجي، خلال النصف الثاني من القرن العشرين إعلام للأطفال العرب عبر الكتب والصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما والحاسوب. ومع أنه يسعى الى تحقيق وظائف أخبارية وثقافية وترفيهية الا انه كثيرا ما يوصف بأنه "إعلام الطفولة" او "إعلام الأطفال".

الاهتمام الدولي والعربي بإعلام الطفولة:

نال "إعلام الأطفال" شيئا من العناية الدولية ورد التأكيد عليه في كثير من الاعلانات والمواثيق الدولية، غير أن "اتفاقية حقوق الطفل العالمية" كانت أكثر الوثائق إهتماما به، حيث نصت مواد وفقرات عدة على حق الأطفال في الاتصال، منها الفقرة التي أكدت: (أن يكون للطفل الحق في حرية التعبير: ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والافكار وتلقيها وإذاعتها، دون أي إعتبار للحدود، سواء بالقول، أو الكتابة أو الطباعة، أو الفن، أو باية وسيلة يختارها الطفل)[١].

ونصت فقرة اخرى على ان (تحترم الدول الأطراف حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين)[٢].

ونصت مادة ثالثة:

(تعترف الدول الأطراف بالوظيفة الهامة التي تؤديها وسائط الإعلام وتضمن إمكانية حصول الطفل على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية، وبخاصة تلك التي تستهدف تعزيز رفاهيته الاجتماعية والروحية والمعنوية وصحته الجسدية والعقلية، وتحقيقا لهذه الغاية، **تقوم الدول الأطراف بما يلي:**

أ - تشجيع وسائط الإعلام على نشر المعلومات والمواد ذات المنفعة الاجتماعية والثقافية للطفل ووفقا لروح المادة ٢٩.

ب - تشجيع التعاون الدولي في انتاج وتبادل ونشر هذه المعلومات والمواد من شتى المصادر الثقافية والوطنية والدولية.

ج - تشجيع انتاج كتب الأطفال ونشرها.

د - تشجيع وسائط الإعلام على إيلاء عناية خاصة للاحتياجات اللغوية للطفل الذي ينتمي الى مجموعة من مجموعات الاقليات او الى السكان الاصليين.

هـ - تشجيع وضع مبادىء توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المعلومات والمواد التي تضر بصالحه، مع وضع احكام المادتين ١٣ و ١٨ في الاعتبار[٣].

وعلى الصعيد العربي صدرت الكثير من الوثائق حول إعلام الطفولة من بينها ماأولاه له المؤتمر العربي رفيع المستوى لحقوق الطفل الذي عقد بجامعة الدول العربية خلال الفترة ٢ - ٤ تموز - يوليو ٢٠٠١ اذ دعا المؤتمر مجلس وزراء الإعلام العرب - بسبب وجود ظواهر شديدة الحساسية في إعلام الطفولة في الوطن العربي - الى (وضع ميثاق شرف لإعلام الطفل العربي)، ودعوة اتحاد الصحفيين العرب والاتحادات والجمعيات الوطنية الى (ايلاء هذا الموضوع الاهتمام اللازم)، ودعوة إتحاد اذاعات الدول العربية (لوضع وتنفيذ استراتيجية الإعلام العربي الموجه الى الطفل والبيئة المحيطة به مع الاستفادة من المبادرات الدولية والاقليمية والتجارب الناجحة، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والحضارية العربية)[٤].

وفي أدبيات المجلس العربي للطفولة والتنمية الكثير من الأشارات الى موضوع الإعلام والطفل منها أشارته الى مسؤولية وسائل الإعلام عن تشكيل وتكوين

شخصية الطفل وتنمية قدراته العقلية ومستوى ذكائه الى جانب الدور النفسي الذي يسهم في النضج الانفعالي والتوازن النفسي والاجتماعي للطفل(٥).

وأشارت أدبيات اخرى للمجلس العربي للطفولة والتنمية إلى أن الدعوة ظهرت الى تقويم سلوك الأطفال وأفكارهم وتنقية آذانهم وأسماعهم من ملوثات العصر، الامر الذي أوجب على أجهزة الإعلام دورا متميزا في هذا المجال، وأن تعمل على بث القيم الاجتماعية الايجابية لدى الأطفال، وأن تعمل على تنمية القدرات الابداعية والابتكارية للأطفال، وأن تكون هناك جهات رقابية تقوم بعملية تقييم دوري لنوعية البرامج التي تعرض للأطفال من حيث مستوى المادة العلمية المقدمة، والهدف الذي يسعى البرنامج الى تحقيقه ومدى تناسبه مع عمر الطفل ومستوى ذكائه.. وأن تكون هناك جهات مسؤولة عن وضع إستراتيجيات وتكوين رؤى مستقبلية عن إحتياجات الطفل العربي، ورصد الاحتياجات المادية والبشرية، وتوسيع قاعدة الاهتمام بالاجهزة الثقافية(٦).

ومن هنا تأتي ضرورة تقييم أوضاع الطفل العربي بين إعلام الكبار وإعلام الطفولة على مختلف المصادر الإعلامية بما فيه الإعلام الذي تبثه مؤسسات المجتمع المدني، خاصة وأن (مجال الطفولة قد أصبح احد المجالات ذات الاولوية التي اتجه نحوها قطاع كبير من مؤسسات المجتمع المدني، ويبدو أن الدافع لذلك لم يتمثل فقط في إدراك مخاطر واقع الطفولة العربية، ولكن لأن هذا المجال هو "محايد سياسيا" بمعنى انه وفقا للإدراك العربي لا يتضمن مخاطر سياسية، اضافة إلى أنه مجال نشاط يكمل أداء الدولة "يسد الثغرات" في السياسات الاجتماعية(٧).

مؤسسات المجتمع المدني وإعلام الطفولة:

أخذت بعض مؤسسات المجتمع المدني في الوطن العربي بجانب من النشاط الإعلامي الموجه للكبار حول الطفولة، والموجه الى الأطفال. والتنظيمات المدنية هي كل التنظيمات الاقتصادية او الثقافية او الدينية التي تغطي ساحة النشاط الحر غير المنظم بنظام واحد وعام من قبل السلطة. والذي يسمح لهذا النشاط بالتجدد والتنافس والابداع.. كما أن التنظيم المدني ينطوي ككل تنظيم بشري على عناصر سلطة داخلية

تتضمن إستخدام وسيلتي القمع والاقناع في سبيل ضبط نشاط الأفراد المنخرطين فيه وسلوكهم. ولكن في جميع ذلك يتميز نشاط السلطة في التنظيمات المدنية بأنه اكثر مرونة وتعددية، يربط بعوامل عديدة متبدلة مثل الظروف التي تمارس فيها، والتقديرات الشخصية للقادة وقوة العلاقات الشخصية وجاذبية المصالح المادية، إذ هي تنظيمات شديدة المرونة وقابلة للتأقلم بشكل أفضل مع الظروف والأوضاع المتبدلة في الزمان والمكان. لذلك لا يمكن الإستغناء عنها، في حين يشكل الثبات والتجريد والعمومية وعدم التمييز شرطا تعريفيا من شروط السلطة السياسية(٨)، وهذه السمات تهيء لمؤسسات المجتمع المدني الاسهام بمهام إعلامية للأطفال.

وكانت احدى اللقاءات العلمية المهمة، وهي الندوة التي عقدتها جامعة محمد الخامس بالرباط، قد تناولت معاناة الطفل العربي وأشارت الى عدم وجود منظمات اهلية فاعلة للمحافظة على تكوين الطفل الفكري والجسدي(٩).

وإذا كانت الاسرة تمارس دورا مهما في التنشئة الاجتماعية فأن مؤسسات المجتمع المدني غالبا ما تكون اكثر حداثة في تعاملها مع الأطفال بينما يكون المجتمع في أغلب الاحوال – مثقلا بالمشكلات إذ أنه (على صعيد الوطن العربي ما تزال البنى الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ضعيفة، إذ هو يعيش في مرحلة إنتقالية، ويعاني – في كثير من أحواله – من حيرة فكرية وثقافية وإضطراب عقائدي.. كما يعانى من قصور في حرية الاتصال، إذ هناك كثير من القيود المفروضة على حرية الإعلام، كما تعاني وسائل الإعلام من مشكلات اقتصادية وإدارية، إضافة الى أن الفجوة الحضارية بين الوطن العربي والعالم الخارجي تزداد اتساعا(١٠).

ودخول المجتمع العربي عصر الاتصال الدولي على صعيد الارسال والاستقبال ومجمل جوانب التفاعل مع الاخرين من خلال الكتب والصحافة بما فيها الصحافة الإلكترونية والاذاعة والتلفزيون بما فيها التلفزيون الفضائي والسينما والحاسوب بما فيها شبكة الانترنت، كل ذلك وضع المجتمع في موضع جديد يترتب ان يستتبعه تعامل فكري جديد.

ولكن أجهزة الإعلام ليست معطيات جامدة، بل هي تحمل - بقدر أو آخر - ثقافة المجتمع وتوقعاته وآماله، وتحمل في الوقت نفسه، إيجابيات وسلبيات.

ملامح في إعلام الطفولة:

حقق المجتمع العربي وظائف في الأخبار، والتثقيف، والترفيه بحيث وجدنا إعلاما أخباريا، وإعلاما تثقيفيا، وإعلاما ترفيهيا .. وتوفرت هذه الانماط الإعلامية الثلاثة للجمهور العام، وللجماهير النوعية مثل جمهور الأطفال، حيث يجد الأطفال أعمالا صحفية وإذاعية وتلفزيونية أدبية وفنية موجهة اليهم.

والتمعن فيما وضع للأطفال العرب من الكتب، وما صدر من الصحف، وما أعد من البرامج الاذاعية والتلفزيونية، وما قدم من الاعمال المسرحية، وما أنتج من الافلام السينمائية يكشف عن حقيقة مهمة: هي ان آدابا وفنونا قد انتجت للأطفال العرب، وإن من بين هذه الآداب والفنون ما إرتقى الى مستوى رفيع، وإن مجمل الذين إقتحموا هذا الميدان من الادباء والفنانين والكتاب والإعلاميين قد نذروا أنفسهم لمهمة عظيمة، وإرتضوا أن يعملوا بمثابرة من أجل تقديم عطاءات فنية وأدبية وثقافية مبدعة.

ولقد بذل الكثير من اولئك الكتاب والفنانين جهودا مضاعفة، إذ هم أدركوا ما تتطلبه الكتابة للأطفال من معرفة علمية، فعملوا على مواكبة جوانب من حركة البحث العلمى حول الطفولة وحاجاتها ومراحل نموها العقلي والعاطفي واللغوي والاجتماعي، وحاولوا الوقوف على أسس الاتصال بالأطفال بصورة مباشرة وعبر وسائل الاتصال الجماهيري، بل هم تحمسوا من أجل أن يتعرفوا الى واقع وتطور أدب الأطفال وثقافتهم، وعملوا على الانتفاع من تجارب العالم، فاشتركوا في الندوات العلمية واللقاءات الادبية وتبادلوا الرأي حول مختلف قضايا إعلام الطفولة وفنون الادب، بل هم إرتفعوا بقضية أدب الأطفال وثقافتهم وإعلامهم فاوصولها الى موضع إهتمام القيادات العليا في بعض الاقطار العربية.

ولكن أولى المشكلات التي تعترض إعلام الطفولة، عموما، هي انه غير متاح إلا لنسبة من الأطفال، ليس بسبب انتشار الامية وحدها، ولا بسبب مشكلات الواقع الاقتصادي

حسب، بل الى ان الوعي بإعلام الطفولة بين الكبار وبين الأطفال ايضا ما يزال خفيضا، فاذا كان الراشدون في بعض البلدان المتقدمة في العالم يعملون من أجل إتاحة وسائل إعلام الطفولة لجميع الأطفال فان هذه الظاهرة في مجتمعنا العربي ما تزال ضيقة.

إيحاءات إعلام الطفولة في الطفل العربي:

اذا كان للإعلام، عموما، تأثيراته المحطط لها فان له، في الوقت نفسه، إيحاءاته الناجمة عن تأثيرات غير مخطط لها اساسا، إذ ان هذه الإيحاءات، تتشكل عرضيا، نتيجة عوامل عدة منها تأويلات الجمهور للمضمون، ويصدق هذا بالنسبة الى الأطفال والى الراشدين معا.

ومن هنا نعرض لعشرة ظواهر هي إيحاءات رئيسية، حيث تبدو هذه الظواهر كسمات في إعلام الأطفال:

١- غزارة المعلومات:

كثيرا ما يتجه إعلام الطفولة الى حشر المعلومات لذا تشغل المعلومات فيه حيزا واسعا في الوقت الذي يتطلب فيه الحرص على أن يتضمن هذا المستوى من الإعلام انماء مهارات التفكير، ليس عن طريق إحكام الربط بين المعلومات نفسها، بل عن طريق إثارة المشكلات والقضايا والتساؤلات لان هذه وحدها تشكل مدعاة للتفكير.

ويرجع إهتمام إعلام الطفولة بالمعلومات والحقائق الى مفهوم تربوي قديم يرى ان نقل المعلومات ومفردات التراث الثقافي هي مهمة جوهرية، في وقت ظهر فيه مفهوم تربوي جديد يرى أن التراث الثقافي ليس غاية في حد ذاته، وإن الغاية الرئيسة من النقل الثقافي هو مساعدة الأطفال على النمو الصحيح عقليا وعاطفيا وقد ثبت خطأ النظريات التي تدعو الى العناية بعقول الأطفال عن طريق ملئها بالمعلومات.

ومن جانب آخر قد تعود غزارة المعلومات في إعلام الطفولة الى وفرة المعلومات نفسها، اذ هي مبثوثة في كل مجال ويمكن التقاطها بسهولة، يضاف الى ذلك أن عرضها يتم دون جهد عن طريق رسائل اتصالية لا تلتزم بضوابط فنية او من خلال فقرات متفرقة دون عناء أو إبداع فني.

٢- الانشغال بالتفصيلات:

يحرص بعض كتب الأطفال على تقديم الكثير من المواد بصورة جاهزة مستغلين مختلف الامكانات التكنولوجية والاتصالية في وقت واحد، وكأن الطفل مجرد متلق سلبي، الأمر الذي يقلص من نشاط تفكير الطفل في الوقت الذي يترتب في إعلام الطفولة حفز الأطفال على التجاوب وإتخاذ القرارات الواعية.

وكانت مجلات الاشرطة المسلسلة تبالغ في رسومها في إيراد التفصيلات دون إعطاء مجال لممارسة الطفل لعملياته العقلية المعرفية كالتفكير والتخيل والتصور والتذكر.. وما تزال بعص برامج التلفزيون، تبالغ، هي الاخرى، في إيراد التفصيلات التي تشغل الطفل بشؤون جانبية أو تقدم الافكار جاهزة دون أن يحس الطفل بالحاجة الى إعمال العقل.

وتوجه انتقادات عنيفة الى صحف الاشرطة المسلسلة، لانها تحول دون إستمتاع الطفل بالقراءة وتظهر فيها النصوص كالفقاعات لتعبر عن جزء من المضمون فقط، وهى تمثل إسرافا في إستخدام الرسوم وإغراقا في عرض التفصيلات، مما يقلل من متعة الطفل بالقراءة، ومن تذوقه الادب، ومن فرص نموه اللغوي المنشود، إضافة الى أن ما يستقبله من خلالها من أفكار يظل محدودا، وهكذا يقال عن المواد التلفزيونية التي تقدم الافكار جاهزة بحيث لا تتطلب إعمالا للتفكير.

٣- شيوع التقريرية:

يلاحظ ان بعض الموضوعات فى إعلام الطفولة تصاغ باسلوب تقريري، حيث تقحم فيه الفاظ مجردة الامر الذي يفرغه من القوة والوضوح والجمال ويحول دون بلوغه المستوى الادبي او الفني والذي يكون من خصائصه الابتعاد عن الاسلوب التقريري او الخطابي.

ويزيد من هذه الظاهرة لجوء المدرسة الى بعض أساليب التحفيظ اللفظي وإعتمادها على النصائح والارشادات المباشرة، وإستخدام أساليب تقريرية بدل الاساليب الفنية، مثلما تعمقها الاسرة حين تلجأ الى الاكثار من الاوامر والنواهي الجاهزة.

٤- ضعف التشويق والجاذبية:

كثيرا ما تصاغ رسائل إعلام الطفولة صياغة فيها قدر من الجفاف دون مراعاة لما يتطلبه إستقبال الأطفال للرسائل الإعلامية من تشويق ووضوح توفر

للأطفال الفرص للوصول الى المعاني الدقيقة والخروج بانطباعات صحيحة عن الافكار والمواقف والعلاقات.

ويبدو في إعلام الطفولة وصف المواقف والظواهر بالرغم من أن الوصف وحده غير كاف لتكوين مفاهيم دقيقة لان الطفل – والراشد أيضا – لا يمكنه فهم كلمات تمثل خبرات لم يمر بها من قبل، اذ يترتب أن تتوفر الخبرات الحسية اللازمة كي يتهيأ الإدراك والفهم.

ومن هنا يتعين أن يتضح التجسيد الفني في إعلام الطفولة من خلال تصوير المواقف والعلاقات والمفاهيم بما يجسمها ويجعلها واضحة ومشوقة، وأن لا يقتصر الأمر على تجسيد القيم والعلاقات بل أن يتعدى ذلك الى الشخصيات والى نسيج الحوادث ايضا، وان تتضح فيها العوامل الداخلة في التأثير دون أن تظهر الأفكار وكأنها معلقة. ذلك أن التشويق يتمثل في جذب الطفل وإثارة إهتمامه وخلق الرغبة لديه في الاستمرار في التعرض، والاقتناع بالافكار.

٥- الاجبار على انماط سلوكية:

تظهر في إعلام الطفولة، أحيانا، مواقف تبدو فيها وكأن مصادر الإعلام تحاول إجبار الأطفال على أنماط سلوكية بعينها أو إلزامهم على ترك أنماط سلوكية اخرى الامر الذي يتنافى مع الاسلوب الإعلامي الذي يترتب أن يقوم على الاقناع والاستمالة.

ومن أخطار محاولات إجبار الأطفال على أنماط سلوكية عن غير طريق التجسيد الفني والاقناع أن يميل الأطفال الى ترديد بعض المقولات التي تتواتر على الإعلام دون ان تؤدي دورها في تكوين شخصياتهم وتحديد سلوكهم لانهم رغم ترديدهم الفاظا أو حفظهم قوالب جامدة الا انها لا تقودهم الى التفكير الواعي اذ يكتفون بالاجابات اللفظية ويستسلمون للاجابات الجاهزة.

٦- الضغوط العاطفية:

يبدو في إعلام الأطفال عند التحليل أن الكبار، وهم يصوغون هذا المستوى الإعلامي، كثيرا ما يبدون وكأنهم يحاولون إغراء الأطفال بالميل نحو هذا الاتجاه أو ذاك أو حفزهم نحو ولاءات بعينها، او إستدرار عطفهم نحو مواقف، ويصل بهم

التجسيد الى تكرار المواعظ والارشادات، وفي الأحوال كلها تبدو عمليات الحفز نحو هذا أو ذاك في صيغة ضغوط عاطفية بدل اتباع أساليب الإيحاء نحو قيم عليا واتجاهات إنسانية عامة، إذ لا يراد للأطفال أن يتحزبوا او ينحازوا فئويا، خاصة وإن التعليم المدرسي – الى جانب إعلام الطفولة – كان وما يزال يميل الى املاء الافكار على الأطفال باساليب شتى بما فيها الضغط العاطفي في الوقت الذي يتطلب الامر فيه معاونة الطفل على التأمل في المواقف وإتخاذ القرار.

٧- الانتقاد اللاذع:

ينطوي إعلام الطفولة على ما يشكل انتقادا مغالي فيه ضد بعض أنماط سلوك هذا الطفل أو ذاك، ويبدو هذا من خلال صيغ مختلفة بما فيها شخوص القصص، وهذه المغالاة يمكن إعتبارها إساءة لفظية للأطفال، او عنفا لفظيا، خاصة وإن بعض الانتقادات تأخذ صيغة تحفيز أو تهديد.

وقد وجد أن كثيرا من هذه الانتقادات ترد في صحافة الأطفال ومسرحياتهم وبعض الاعمال الدرامية التلفزيونية وفي الأعمال الاذاعية. كما أن الأسرة في مجتمعنا، كثيرا ما تطلق النعوت والكلمات التي تعبر عن إنتقادات لاذعة وكأنها احكام مغالي فيها، او إتهامات قاطعة لبعض أطفالها.

٨- إقحام الأطفال في ثقافة الكبار:

ينطوي إعلام الطفولة في كثير من المواقف على ما ينمُّ على أن الكبار يحرصون أن يودعوا الكثير من قيمهم وولاءاتهم وعاداتهم وعصبياتهم في ثقافة الأطفال، ويبدو في هذا حرص الكبار على أن يرث الابناء ليس روح ثقافتهم حسب بل ان يمتصوا سماتهم الاساسية[١١]، ومن هنا تحرص الاسرة على ان يكتسب أطفالها ثقافة الكبار، قبل الأوان، وهي كثيرا ما توجه التوبيخات الى الأطفال في حالة عدم تقيدهم بثقافتها في هذا الموقف أو ذاك.

٩- الميل الى التقليدية:

تظهر التقليدية في توجهات كثير من الرسائل الإعلامية في إعلام الطفولة كأن العاملين في هذا المستوى من الإعلام مفتونون بجمال الماضي وسحره وأجوائه، وكأنهم لم يجدوا لصور الماضي بديلا.

وهكذا فان الارتباط بالتقاليد هو سمة يمكن تبينها في إعلام الطفولة، إذ هو يبدو في القيم المقبولة إجتماعيا رغم ان التفكير الخلاق يستدعي تجاوز الكثير من المراكز التقليدية، وبلورة الوعي بالمستقبل، والأخذ بفكرة التغيير والارتقاء والالتزام بالمرونة.

١٠- غياب الاتفاق العام:

كي يمكن أن نطلق على ذلك النشاط الاتصالي الموجه الى الأطفال مصطلح: إعلام الطفولة، يترتب أن يكون لهذا النشاط روح تعبر عن وجود إتفاق عام إزاء جملة أهداف مركزية حول توظيف إعلام الطفولة في مجالات الأخبار، والتثقيف، والترفيه، لان غياب ذلك الاتفاق يجعل الأطفال يحسون أن في إعلامهم مواقف متضاربة وتوجهات متناقضة كأن الإعلام يريد أن تكون للأطفال أنماط سلوك متناقضة في الموقف الواحد.

وقد حاولت كثير من اللقاءات حول ثقافة الأطفال وأدبهم وضع أسس للاتفاق العام غير انها اختلفت وذهبت مذاهب شتى فى محاولتها التعبير عن إتفاق.

ظواهر في إعلام الأطفال العربي:

وعلى هذا فان من ابرز ظواهر إعلام الأطفال العربي:

١- ان الكثير منه وافد:

يلاحظ ان نسبة عالية من الرسائل الاتصالية التي يتلقاها الأطفال العرب هي من الإعلام الوافد حيث ان كماً كبيرا من الكتب والبرامج الاذاعية والتلفزيونية مستوردة او وافدة بسبب قلة وضعف الانتاج الإعلامي العربي المقدم بالاساس للأطفال.

٢- ان الكثير منه ذو قيم استهلاكية:

يحمل إعلام الأطفال اتجاهات وقيما اخلاقية واجتماعية وثقافية وسياسية وهذه الاتجاهات والقيم تتباين تبعا لمنظور الكتاب والمنتجين، ويلاحظ ان الكثير من إعلام الأطفال يؤكد على مفاهيم استهلاكية، كما ان برامج الأطفال في الراديو والتلفزيون تنطوي على قيم استهلاكية، في وقت يترتب فيه ان يحمل إعلام الأطفال في الوطن العربي اتجاهات منافية للاستهلاك كما ان الاعلانات في هذه الوسائل تخرج الاعلان باشكال مشوقة وجذابة الامر الذي يحتمل فيه ان تدفع بالأطفال الى السلوك الاستهلاكي.

٣- كثير منه ذو نزعة لفظية:

تتواتر الشعارات والتعبيرات الفضاضة والرموز غير ذات الدلالة في إعلام الأطفال، لذا يمكن القول بشيوع اللفظية (Verbalism) في إعلام الكبار وإعلام الأطفال معا، وللفظية تأثيراتها في السلوك حيث ينشأ الأطفال ميالين الى الحلول اللغوية بدل الاستناد الى التفكير والربط الموضوعي بين المتغيرات.

٤- ان الكثير منه ذو نزعة متصلبة:

يمكن تبين ظاهرة التصلب في مضمون إعلام الكبار وفي مضمون إعلام الأطفال معا ويرد ذلك تحت اسماء متعددة "كالثبات على المبدأ" و "الصمود" و "الإقدام" وغيرها من المقولات التي تدفع الى "التصلب" وتبرره في الوقت الذي يترتب فيه تنشئة الأطفال على المرونة، خاصة وان "التصلب" طريقة في التفكير تقود الى التنازع الاجتماعي، لذا فان بلورته في الطفولة قد يقود بهم – في الكبر – الى التطرف.

٥- ان الكثير منه يدفع الى الانبهار بالآخر:

يمثل "الانبهار بالاخر" مستوى مبالغا به من الاعجاب بالآخر مع الشعور بانكفاء الذات وعجزها إزاء الآخر، لذا فان الانبهار بالاخر يؤول الى مشاعر اليأس، ويلاحظ ان الكثير من إعلام الأطفال يعطي صورة عن الاخر مغالى في قدرتها دون أن يوازيه إعطاء صورة موضوعية عن عوامل القصور في أداء الذات.

المحيط الاجتماعي لإعلام الأطفال:

يشار الى ان العوامل والشروط المطلوبة لكي يحدث التأثير المتوقع من وسائل الإعلام هي متنوعة، ومنها ما له علاقة بالمصدر ونوع الوسيلة الإعلامية والتي يتعرض لها الأفراد، ومنها ما له علاقة بالبيئة، أي المحيط الاجتماعي الذي تبث فيه الرسالة الإعلامية، ومنها ما له علاقة بالرسالة الإعلامية بما فيه مضمونها، ثم ما له علاقة بالجمهور(١٢).

وتحصل للأطفال نتيجة تعرضهم للإعلام تأثيرات اجتماعية وعاطفية وعقلية ومعرفية وثقافية وروحية مختلفة، اي تغييرات في هذه المجالات، ولكن فاعلية التأثير

ترتبط بعدد من العوامل، منها ما هو على صعيد المهارات الاتصالية، وحدود الإتاحة، والجو الاتصالي والاجتماعي وحدود الانتفاع من التطورات العلمية والادبية والفنية في الاتصال، **ومن ابرز معوقات الاتصال في المحيط الاجتماعي لإعلام الأطفال:**

١- ضعف المهارات الاتصالية للأطفال:

مع ان استقبال وسائل الإعلام هو نشاط سهل، الا انه يتطلب عددا من المهارات والعادات، كالانتباه، والقدرة على القراءة والكتابة، والقدرة اللغوية، وقدرا من النضج، وحيث ان هذه المهارات والظواهر هي في الطفولة في طور النمو فهي لا ترقى بالأطفال الى الفهم الواعي، ومهما اخذ الكتاب بنظر الاعتبار خصائص الأطفال في هذا المجال يظل لهذا الامر وجود – بقدر او آخر – خاصة وان عددا من الكتاب يميلون الى استخدام العبارات والكلمات الصعبة ويتناولون الافكار التي تفوق مستوى نمو الأطفال العقلي واللغوي، لذا يكون لبعض المواد الإعلامية الموجهة الى الأطفال صعوباتها التي يقابلها ضعف في المهارات الاتصالية للأطفال.

٢- القصور في الإتاحة الإعلامية:

من بين خصائص الوسيلة الإعلامية ان تكون متاحة للجمهور حيث تبين ان أفراد الجمهور ينتقون – في الغالب – الطريق السهل في تعرضهم، اذ ان الجمهور ينحو الى قراءة او مشاهدة او الاستماع الى الوسائل المتاحة، وهو – في الغالب – لا يبذل الا جهدا محدودا، لذا فهو كثيرا ما يعزف عن التعرض عندما يتطلب جهدا او تكلفة كبيرة.

ومع ان التطورات التكنولوجية قد اتاحت للوسائل امتدادا الا ان كثير من الاستخدامات الحديثة تعد متاحة لنسبة محدودة من الأطفال، حيث ان بعض الاستخدامات الاتصالية الجديدة ترتب اعباء على الأفراد مما جعل من الإتاحة الإعلامية للأطفال العرب قاصرة.

٣- تشبع الجو الاجتماعي بالمشكلات:

حيث ان الواقع في الوطن العربي يعاني من مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية فان هذه المعاناة تتسلل، بشكل او آخر، الى إعلام الطفولة، لذا نجد

فى هذا الإعلام مستويين، وكلا المستويين يترتب اخضاعه لروح ناقدة حيث لا يجد الأطفال لانفسهم وجودا في إعلامهم الا بحدود، اذ ان هذا الإعلام اما ان يبدو وكأنه مشغول بقدر واضح بمشكلات الكبار او هو غير متوافق مع ثقافة الأطفال وطبيعتهم.

٤- ضعف الوعي الاسري بالطفولة:

يمثل الوعي إدراكا مستنيرا ومعرفة ومهارة وتوجها بشأن موضوع او قضية ويرتبط به كل من السلوك الفردي والجماعي.

ويتمثل الوعي الاسري بالطفولة بمستوى فهم المجتمع لشؤون الطفولة وقضايا نموها او اسس التعامل معها بما فيها التفاعل الإعلامي، ويعد هذا الوعي مطلبا اساسيا للمجتمع في التعامل مع أطفال، حيث ان المجتمع يوكل الى مؤسساته ادوارا محددة، ومن بين تلك المؤسسات: الاسرة، والتي ينيبها المجتمع للقيام بعدد من اوجه العناية والرعاية بهؤلاء الاعضاء الذين هم الأطفال. واداء الاسرة للدور الذي يوكله المجتمع اليها بشأن الأطفال يرتبط بوعي الاسرة بهذا الدور بما في ذلك حدود كفايته في تكوين اجواء نفسية واجتماعية للأطفال ومعاونتهم على النمو.

ولما كان للانظمة الاسرية، المختلفة تفردها حسب بيئة المجتمع واحواله وثقافته ومجمل قيمه لذا اكتسب كل نظام اسري خصائص وسمات ومعايير وقيما بعينها، واشتمل ذلك التفرد على مجمل الوظائف والمسؤوليات بما فيها تثقيف الأطفال وإعلامهم.

ويتألف مجتمعنا العربي من خليط متضارب من علاقات وقيم وبنى اجتماعية تقليدية - من ناحية - وهو (المجتمع) يعيش ازمة التحول التي تعود - في تركيبها ومصدرها - الى مراحل قديمة، بما فيها العلاقات والقيم العشائرية والطائفية المستمدة من الدم والمعتقد من ناحية، والمستحدثة، من ناحية اخرى، وهو مجتمع تابع اي ينقصه الاستقلال والتوجه الذاتي، ويعيش ازمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا(١٣).

وتلعب الاسرة دورا بارزا في إيصال المعاني الى الأطفال، كما ان المحيط الاسري له علاقة بتأثيرات الإعلام في الطفولة، ذلك ان الاسرة تشكل حضنا نفسيا واجتماعيا وثقافيا للطفولة، وبذا يكسب هذا الحضن المعاني التي يتلقاها الأطفال ابعادا

نهٔ خصوصيتها تبعا لما يوحي به من دلالات وتفسيرات. ولما كان الوعى الاسري العربي بالطفولة مشوبا بمشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية فان ذلك يترك آثاره في الطفولة ايضا.

٥- قلة الانتفاع من التطورات العلمية والادبية والفنية:

منذ مطلع القرن العشرين بدأت بالتبلور دراسات العلوم الإنسانية حول الطفولة ونموها، كما تحققت دراسات ادبية وفنية حول أدب الأطفال واسس الاتصال الثقافي بالأطفال، غير ان الانتفاع العملي من تلك الدراسات ظل محدودا.

إيحاءات إعلام الراشدين في الطفل العربي:

يحمل إعلام الراشدين إيحاءات عددية للطفولة، ولا يقتصر الأمر على الأطفال العرب وحدهم بل تبرز هذه النتيجة في الشعوب المختلفة، لذا كثيرا ما توضع الدراسات والبحوث حولها.

وقد نبهت الكثير من الابحاث الى أن الأطفال العرب يتعرضون لكثير من رسائل الإعلام الموجهة الى الراشدين. ومن هنا يمكن الوقوف عند عدد من الظواهر الناجمة عن هذا التعرض.

١- الانبهار بالآخرين:

تحمل وسائل الإعلام العربية الى الإنسان العربي رسائل إتصالية متواصلة تتضمن مختلف الأفكار والأخبار عن الذات والآخر، وفي مواقف متعددة توحي هذه وتلك بدهشة ممزوجة بالحيرة أو التردد مع الاحساس بالضعف، أي هي توحي بالانبهار، حيث ان الانبهار هو ظاهرة نفسية وإجتماعية يمكن أن تصيب الفرد أو المجتمع.

وبسبب سعة الفجوة الثقافية والحضارية الهائلة بين المجتمعات في عالم اليوم، فأن هناك منجزات مادية، واشكالا، واساليب لهذا المجتمع أو ذاك، تفعل فعلها في إثارة إنبهار الآخر، فعلى صعيد الغرب تحول كل شيء الى عملاق، وبفضل التحول التكنولوجي تحولت الآلة اليدوية الى نظام آلي متكامل وتحولت مراحل العمل الصغيرة الى عمليات واسعة ومعقدة، الأمر الذي جعل الأعناق تشرئب صوب الغرب في دهشة.

وكان دانيل ليرنز في دراسته المعنونة" تجاوز المجتمع التقليدي" قد أشار الى أن في منطقة الشرق الاوسط قدرا من الاعجاب بالغرب وحتى الحكام الذي يلعنون صفحة الاستعمار صباح مساء يلوون بأعناقهم مدهوشين بالغرب.

ويعد الانبهار أثر من آثار الإعلام.. وقد تبلورت إنطباعات لدى العرب عن الغرب.. ومن هذه الانطباعات التي عبر عنها الإعلام بصور شتى ما يمكن أن توحي للأطفال بانطباعات تؤول الى انبهارهم بالغرب.. والمشكلة أن الانبهار يمكن ان يقود الى اليأس.. لذا فان انبهار الأطفال بالآخرين يمكن ان يشكل مدعاة الى ميلهم الى التكاسل، خاصة وإنهم يجدون أمثلة للتكاسل في المجتمع.

٢- العنف:

يراد بالعنف إستخدام القسوة الصارمة لاجبار الآخر على الإتيان بفعل أو الإمتناع عن فعل وقد يتخذ العنف أسلوبا فيزيقيا كالضرب أو التعذيب أو السجن أو القتل، وقد يتخذ أسلوب الضغط النفسي.

وعلى هذا ينطوي العنف على ممارسة القسوة الجسدية لإلحاق الإصابة أو الضرر بالاشخاص (او الممتلكات) ولكن يمكن أن يتمثل العنف ايضا في الفعل اللفظي، او غير اللفظي، المرئي مثلا والموجه من طرف الى خصم آخر من أحل هدف معين بحيث يتضمن الفعل إستخدام الوسائل الجبرية او القاسية او التهديد بها بصرف النظر عن الموقف القانوني او غير القانونى للفاعل، أي بمعنى إستخدام القوة أو الخشونة في إصابة او إتلاف أو شل أو الحاق الضرر.. الخ أو تهديد بذلك الإستخدام.. ومع أنه ينظر الى العنف باعتباره قوة مادية تنتج عنها إصابة ذهنية أو اجتماعبة مثل إلحاق الاذى بثقة الناس بأنفسهم او الحاق الاذى بسمعة شخص او مجتمع حيث ان ذلك يمثل عنفا كما لو كانت هناك قسوة مادية فعلية[١٤].

وينطوي الإعلام على أنماط شتى من العنف عبر مجمل الوسائل بما فيها الصحف، والاذاعة، والتلفزيون، والسينما، والانترنت وقد ثبت من خلال البحث العلمي ان العنف من اكثر الموضوعات تأثيرا في الأطفال، إذ تنجم عنه المخاوف والمعاناة النفسية والميل الى التحيز والتعصب، والدفع بالأطفال الى اللا مبالاة العاطفية، ذلك أن

تكرر مشاهد العنف التي تقع على الآخرين تقلل، بمرور الوقت، من حدود إكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية قاسية في الحياة اليومية.

٣- الشدة:

لقد لعبت بعض الايديولوجيات في الوطن العربي دورا واضحا في تكريس التشدد في الرأي وصل، في بعض المواقف، الى التصلب والتطرف، وتفاوتت موضوعاته فشملت الجوانب الدينية والطائفية والعرقية الى جانب المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية.

وحظيت هذه الظاهرة بوجود لها في جانب من الإعلام العربي، حيث حاولت بعض وسائل الإعلام بلورة ثقافة التشدد وتعميقها وإفتعال تبريرات لها أساليب صريحة، وأخرى ضمنية.

والتشدد أسلوب في التفكير والتعامل له أخطاره على إبداعات الفكر الإنساني، وعلى العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، لذا فان له أخطاره على الذات والآخر.

وللمضامين في الإعلام العربي مخاطرها الواقعية، فهي تدفع الى العناد والنظرة الأحادية المغالية فى أحكامها والتي تحتكر لنفسها الصواب وترى ما عداها باطلا.. وكثيرا ما تقف إزاء ما يعارضها موقف الخصومة أو العداء.. لذا يمكن ان ينطوي التشدد على نفرة من أفراد او جماعات او قضايا او مواقف او افكار او مشاعر، وكثيرا ما تقوم هذه النفرة على أهواء او اتجاهات او معتقدات او صور نمطية معينة، إذ يتمثل التشدد في كونه حكما مسبقا ينطوي على إتجاه سلبي ضد الآخر، فردا او حماعة او فكرة او عقيدة او شعورا.

وقد وجد فى دراسات نفسية واجتماعية عن التعصب، بوصفه مستوى في التشدد، لا يقوم – في الغالب – على أسس صحيحة فقد اتضح ان الجماعات، المتعصبة كثيرا ما تكون معلوماتها عن الآخر مشوهة، او غير صحيحة، او أن الآخر لم يستطع التعبير عن نفسه بشكل يقبله المتعصب، او ان التنشئة الاجتماعية قد أخطأت في وظيفتها، او ان الإعلام قد أحدث تزييفا في المفاهيم. وهذا يعني ان التعصب ازاء الآخر يغلب أن يكون ناجما عن سوء فهم وعن مفردات ثقافية اخرى، من بينها

الانطباعات والقوالب النمطية، حيث ان لهذه القوالب الجامدة تاثيرا في نشوء وتزايد حدة التشدد.

ويشكل التشدد حاجزا يصد كل فكر جديد ويترك ضحاياه في معزل عن التطور إذ ان كل افتقار الى المرونة لابد ان يؤدي الى نزعة مقاومة التغيير الذي يعد الحقيقة الاساسية للحياة. والمرونة قدرة إنسانية تتضح في تعامل الإنسان مع الأفكار وطرائق الحياة واساليب السلوك دون تشدد من خلال الاستناد الى معطيات واقعية، كما ان المرونة ليست سيرا في الركب، أي هي ليست مجرد ميل نفسي لأفكار وإتجاهات وأساليب في السلوك المتبناة من الآخرين، ولا هي عملية مسايرة، اي هي ليست انسياقا مع الجماعة او وراء رأي، بل تعد المرونة موقفا مستقلا ومنهجا ينفتح من خلاله المجتمع على الافكار والعمليات والاساليب مع إخضاع هذه كلها للاختبار وفق اسس تفكير منظم[١٥].

وكانت التنبؤات قد أشارت في احد اللقاءات العلمية العربية الى : (إن التعصب هو أحد أهم التحديات التى يواجهها المجتمع والدولة في الوطن العربي، وإذا لم ينجح المجتمع والدولة فى المواجهة الفعالة لهذه الظاهرة فان العرب سيدخلون القرن الحادي والعشرين وهم أكثر تجزئة وتفتتا وتخلفا وتبعية مما هم عليه. وسيكون أطفالنا هم أول الضحايا)[١٦].

ويجد الأطفال من خلال الإعلام ما يوحي بالتشدد وما يدعو الى المواقف المتصلبة أكثر مما يجد ما يحفز على المرونة، كما ان السلوك الاجتماعي من حول الأطفال يدعم، هو الآخر، المواقف المتشددة.

٤ – اللفظية:

تبدو في الإعلام العربي كثرة الصياغات اللغوية التي تعوزها الدلالة الواضحة حيث تتزاحم الجمل والتعبيرات الخالية من المعنى أو ذات الدلالة المشوشة، ويظهر ذلك في الكتابات السياسية دون أن تسلم منها الكتابات الاخرى.

وهذا يعني ان في حالات عديدة يمكن ان تفقد الكلمات دلالاتها فتخلو اللغة من المعاني وقد يردد بعض الكتاب التعابير والكلمات دون ان يكونوا على وعي حقيقي

بدلالاتها ودون ان تتحول الى افعال سلوكية، ويقال في هذه الاحوال ان شيئا من النزعة اللفظية قد اصابتهم.

ويميل بعض الأطفال الى تقليد الكبار فيندفعون الى ترديد أقوال الكبار دون وعي بها، إذ هم يرددونها ترديدا لفظيا أجوف.

ومن أخطار هذه الظاهرة أن الافكار التي يأتي بها الإعلام بهذه الطريقة لا تقود الى بناء شخصيات الأطفال بناءً سليما ولا تعاون في تحديد سلوكهم.

٥- التغاضي عن المشكلات المعقدة:

رغم جسامة المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي، الا ان الإعلام العربي يصمت عن الكثير منها على اساس انها شائكة او حساسة.

والى جانب ذلك يتغاضى الإعلام العربي عن مسائل مستقبلية كثيرة لذا تظهر بعض المشكلات وكأنها نوارل تحل بنا بصورة مفاجئة رغم انها وليدة تراكم اسباب وعوامل.

وهناك مسائل كثيرة في تاريخنا القومي أغفلنا التداول الصريح بشأنها بحجة انها قريبة الى القداسة وبذا يبدو الإعلام العربي وكأنه وضع غشاوة على عينيه وهو يتناول بعض القضايا التاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية.

وبهذا خلق الإعلام جوا مشوشا حول كثير من الظواهر والحقائق، وإذا كان ذلك يسبب التوهم للكبار فهو يغرس في نفوس الأطفال كيفية الكف عن السؤال، ويمكن ان نحدد جسامة ذلك اذا إتفقنا على ان السؤال هو مبعث التفكير.

والتغاضي عن المشكلات المعقدة يمثل طابعا هروبيا عن الواقع وما فيه من مشكلات، او محاولة لاظهار الواقع بصورة مثالية على خلاف حقيقته.

٦- تشتت الولاءات:

الولاء حصيلة الاحساس بالانتماء، وهو إدراك نفسي وإجتماعي قد يكون له أساس موضوعي وقد يكون نتيجة انفعال او توهم.

ويرتب الأفراد والجماعات اولويات ولاءاتهم تبعا لسلالم محكومة بظروف متعدد، اذ تنتظم تلك الولاءات في تدرج، فهناك ولاء للاسرة وولاء للجماعة الاجتماعية، وولاء للسلطة السياسية، وهكذا.

وتتباين الولاءات تبعا لمعايير متعددة كثيرا ما تكون مستمدة من الشعور العام والثقافة الاجتماعية.

وتحرص الاسرة، ومؤسسات المجتمع المدني، والسلطة السياسية على كسب الولاءات او توجيهها باتجاهات محددة، ومن هنا فان الإعلام العربي مع ان السمه الغالبة فيه هي محاولته تحقيق الولاء للسلطة السياسية، إلا ان هناك أجهزة للإعلام تحرص على تحقيق ولاءات لمذاهب وايديولوجيات بعينها ومنها ما تحرص على تحقيق ولاءات للشعور العام او للثقافة الاجتماعية، ويصل الامر الى ان نجد مصادر للإعلام العربي تعمد الى تحقيق ولاءات للوهم والخرافة، ومنها ما تسعى الى تحقيق الولاء لاتجاهات ضيقة.

ومن هنا فان هناك ازمة في الولاءات على الصعيد الاجتماعي العربى حيث لا نجد قاسما مشتركا لولاء رئيس غير الولاء للسلطة ومن هنا كانت للإعلام العربي ازمته بالنسبة الى الولاء حيث يجد الإعلام نفسه في حيرة إزاء الولاءات المتباينة والمتضاربة.

ووسط هذه الولاءات تجد الطفولة نفسها، هي الاخرى، في أزمة، حيث تتجاذبها من خلال الإعلام ولاءات شتى منها ما هي أيديولوجية، ومنها ما هى عشائرية، ومنها ما هي بدوية، في وقت يستلزم الأمر ان يكون الولاء للمجتمع ومستقبله. إذ انه في هذا الوقت الذي يمضي العالم نحو مستقبل جديد ما يزال إعلامنا يدور بين اللفائف القديمة دون ان يستطيع إخراجها في شكل جديد.

وهنا نشير الى أن دراسات كانت قد انتهت الى ان اولى اسباب إنهيار الاتحاد السوفيتي هو انه لم يستطع بناء "مواطن سوفيتي" فقد كانت تتجاذب الناس مشاعر مختلفة إزاء اوطانهم .

٧- محاولة حشر المعلومات في الاذهان:

في الإعلام العربي أعمال ادبية وفنية عالية المستوى غير أن "علو المستوى" ليس سمة غالبة للإعلام العربي ذلك أنه الى جوار الاعمال الفنية الإعلامية العربية العملاقة رسائل إعلامية كثيرة تبدو وكأنها تهدف الى التلقين أو حشر اذهان الجمهور

بمعلومات لا علاقة لها بالواقع، ولا أهمية لها بالنسبة الى المجتمع ولا قيمة فكرية او عملية لها.

والى جانب ذلك وضمن السياق نفسه تظهر في الإعلام العربي مضامين أيديولوجية ثبت فشلها بسبب إنحيازها غير الموضوعي أو بسبب لجوئها الى تزييف الوعي أو إعتمادها تبريرات وحيلا دفاعية أو بسبب بطلان دعاواها.

ومن جانب آخرن يضخ الإعلام العربي بكميات هائلة من المعلومات تفوق ما تحتمله قدرات الجمهور على الاستيعاب.

٨- الميل الى التسلط:

تشير الدراسات الاجتماعية والنفسية الى ان مجتمعنا اقرب الى ان يكون أبوياً أو سلطوياً لهذا فهو يحرص في إعلامه الى غرس الميل الى التسلط في النفوس من جهة أو الى الإذعان للسلطة.

ويشار، في هذا المجال، الى ان المجتمعات العربية كان قد تسيدها في منتصف الخمسينيات نموذج للحكم هو ما يسمى الدولة الرعوية، وهي دولة سلطوية ، حيث لها السيطرة على الجميع بما فيها المؤسسات الدينية والتربوية. ومع حقبة السبعينيات بدأت بالظهور في الوطن العربي ملامح جديدة سمتها الاساسية التخلي التدريجي عن مفهوم الدولة الرعوية وإعطاء دور اكبر للمجتمع المدني، وإستمر التحول حتى مطلع التسعينيات ضمن مرحلة إنتقالية.. وإن الوطن العربي لم يعرف نمطا للحكم غير سلطوي[١٧].

ويعمل الإعلام العربي في هذا الميدان لذا تبدو فيه سمة الخضوع للسلطة، في وقت يتكرر القول انه (قد آن الآوان، في وطننا العربي لانزال السياسة من مرتبة البطولة الى مرتبة الوظيفة)[١٨].

ومن هنا فان إعلاء سمة التسلط في الإعلام لها موحياتها في الطفولة إذ يمكن لها ان تغرس في الأطفال الخضوع للسلطة، وبذا يتهدد المشروع العربي الديمقراطي خطر يترتب ان يساهم الإعلام العربي في مواجهته.

٩- النظرة الاحادية:

يحفل الإعلام العربي بموضوعات عن الأشخاص والأفكار والجماعات والاجتمعات والشعوب الأخرى، حيث ترد الأشارة الى هذا أو ذاك في الأخبار والتحليلات والتقارير وغيرها.. ومن تلك الأشارات ما هو محايد ومنها ما هو منحار، وغالبا ما يكون لهذا الانحياز مبرراته ودواعيه، وفي أحيان أخرى يكون مبعث ذلك الانجاز عاطفيا او قائما على إنطباعات شبه خاطئة. وإذا كان هذا الامر واضحا في إعلام الدول المختلفة، فهو شديد الوضوح في جوانب من إعلامنا العربي إذ تظهر في بعض المواقف التي يعرضها أحادية الرأي والتوجه، وإذا كان هذا قد ظهر منذ بدء الإعلام العربي بالظهور عبر الصحافة فانه لم يتحرر من آثار ذلك حتى اليوم. وهو من جهة أخرى لم يستطع إستعياب التحولات في التاريخ المعاصر حيث يفترض أن تفرض التعددية وجودها.

ومن جانب آخر، تتضح في جوانب من الإعلام العربي إتجاهات تصل الى حد التخويف من الآخر وإظهاره قوة مهددة من خلال الأشارة الى اخطار سياسية أو اقتصادية أو ثقافية يمكن أن تنجم عن هذا الطرف أو ذاك، رغم أن منها ما هو وهمي او مفتعل.

وعلى هذا فان في الإعلام الذي يحيا الأطفال تحت وطأته نظرات أحادية وافتعالا لبعض الاخطار او تجسيدا لهذا الامر الذي يؤول الى وضع الأطفال تحت دائرة القلق الدائم، إذ يمكن أن يتصوروا وكأن خصما او عدوا يحاول الاضرار بهم.

١٠- النزعة الاستهلاكية:

ضاعفت التوجهات الاقتصادية العالمية من المنافسة الدولية من أجل تسويق المنتجات وتحقيق الارباح الأمر الذي يدفع باستمرار الى زيادة النزعة الاستهلاكية لدى الأطفال، والكبار، ايضا، ذلك أن الاعلان ينطوي على إغراءات على إتباع اساليب استهلاكية وثقافية.

ومن الشائع تضمين الاعلانات بكثير من عوامل الاثارة حتى امكن القول أن الاعلانات ذات تاثير قد يفوق تأثير البرامج الاعتيادية. ومن جانب آخر كثيرا ما يكون الطفل هو المستهدف الاول بالاعلان عبر وسائل الإعلام.

وتتزايد الاعلانات في وسائل الإعلام العربية، وقد تهيأ للاعلان خلال العقد الاخير مجال واسع في الوطن العربي وخاصة بعد إنشاء الفضائيات والصحف الدولية والمواقع الالكترونية.

وهكذا فان مستويين للإعلام يحدث تأثيراته في الطفولة، هما إعلام الطفولة من جهة وإعلام الراشدين من جهة اخرى، ويصدق هذا على الأطفال في كل بيئة ثقافية، بما في ذلك البيئة العربية. ومن هنا كانت السمات البارزة في إعلام الطفولة، وإعلام الراشدين في الوطن العربي – والتى مررنا عليها في هذا الفصل – إضافة الى ما يتدفق من الخارج ضمن هذين المستويين هي، في مجملها، عوامل إيحاء فى الطفولة العربية. ويحدد درجة تلك الإيحاءات إتجاهات تلك الظواهر في المجتمع إزاء كل سمة من السمات من حيث مسايرتها او مغايرتها لاتجاه هذه الظاهرة او تلك.

ومواجهة بعض الظواهر لا يقتصر على إجراءات تنفيذية في محال الإعلام وحده ما دامت المشكلة الإعلامية غير منفصلة عن المشكلات الاجتماعية، لذا يترتب تحليل كل مشكلة وفهم عوامل وجودها كي يتحدد الدور الموكل الى الانظمة والمؤسسات ذات العلاقة.

ثنائيات في الإعلام العربي:

يكشف تحليل إعلام الكبار الذي يتعرض الأطفال الى جوانب منه، عن انه مشبع بالثنائيات الضدية وهذه الضديات غير قابلة للتكامل بحيث يبدو من الصعب تعايش الضدين معا، واذا كان هذا الامر مصدرا لارتباك حياة المجتمع فهو ذو تأثير – بقدر او آخر – في حياة الأطفال، حيث يكون الأطفال في مهب تأثيراتها.

ومن بين هذه المفردات الثنائية في الإعلام العربي ماهي:

١ – بين المحافظة والدعوة الى التغيير:

ان تحليلا موضوعيا للإعلام العربي من حيث دعواته الكبرى يفصح ان هناك ضدين في هذا المجال يقف احدهما على ابقاء الماضى والحاضر على ما هما عليه ومواجهة اي تغيير، اذ ترى هذه المفردة الثنائية انه ليس هناك، افضل مما هو قائم.

اما مفردة التغيير فتقف عند الطرف الآخر داعية الى تغيير الواقع وبناء الحاضر من جديد، وكل من المفردتين تحاول تسفيه الآخر وتبرير دعواتها، الامر الذي جعل من السيادة للتبريرات الساذجة وسط اجواء فكرية كان بالوسع ان تنهض.

وترتفع في الوقت الحاضر الدعوات الى التجديد عبر عمليات التحديث او الاصلاح وتهدف هذه الدعوات الى احداث تغييرات مقصودة في حياة الوطن العربي وفي ثقافته، وهي مدار تداول في وسائل الإعلام، ومدار تداول على المستوى المواجهي، منه ما يصل الى مستوى التنازع، واذا كان الكبار ينشغلون - اتصاليا - بهذا المستوى من التنازع ويقدمون التبريرات الايديولوجية، او الموضوعية او العقيدية فان ذلك يجعل الأطفال في حيرة وتردد. خاصة وان من الظواهر ذات الحضور في حياة المجتمع العربي ظاهرة التطرف، ومع انه ليس هناك مجتمع يخلو مس هذه الظاهرة الا ان السنوات الاخيرة شهد فيها المجتمع العربي جوانب من الغلو والتعصب، ومنها ما تسلل الى إعلام الكبار تحت واجهات شتى.

٢- بين العلم والوهم:

تترتب حياتنا الاجتماعية مستندة الى تقاليد وقيم متراكمة واخرى مقحمة، وللفكر العلمي حضوره الهامشي في حياتنا الاجتماعية، اذ تتسلل الى اساليب تفكيرنا كثير من الاوهام.

ويدخل العلم فى إعلامنا في كثير من الاحيان لسد المساحات الفارغة او لعرض أخبار تطورات العلم في العالم، اما التفسير العلمي للظواهر وانماطك السلوك فأن مساحته صغيرة فى حياتنا، ومن هنا فأن هاتين المفردتين من الثنائية تتنازعان معا مما لا يرسي الأطفال عند شاطىء.

٣- بين الماضوية والمستقبلية:

تعني الماضوية التفكير بمنطق الماضي ومناهجه، ومحاولة اعادة تجاربه السابقة لذا فأن الماضوية تنطوي على التعلق بمفاهيم الماضي واتجاهاته والولاء لها

والتعامل بعقل محافظ، ومن هنا فان الماضوية ليست تراث الماضي بل هى جملة المنظورات التي ترى في الاخذ بالماضي حلا وبديلا، وتتجاوز الماضوية ذلك الى ان تكون منظوراً يحكم على الماضي وعلى المستقبل بعقل قديم.

اما المستقبلية فهي نظرة مبدعة تصهر افكار الماضي والحاضر لابداع بدائل وامكانات فكرية امام تطور الإنسان والمجتمع ماديا وفكريا، فالابداع الفكري يتوجه الى المستقبل وان استفاد من تجارب الماضى والحاضر الفكرية منها والعملية.

ومع هذا يستحوذ تناول المستقبل على حيز من الإعلام العربي غير ان انجاهات التعبير يكتنفها الغموض، اذ هى ذات طابع مشوش وغير محدد فى ابعاده ومقوماته في الوقت الذي تشير الدراسات المستقبلية الى ان المجتمع الذي يعي المستقبل وعيا مستنيرا تتوفر له قدرات على بناء مستقبله.

٤ – بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة:

توصف الثقافة الحديثة بانها تستلهم العناصر الثقافية الجديدة وتعمل على اعادة ترتيب تلك العناصر فى سلالم وفق ما تفرضه معطيات الحاضر والمستقبل وتتعامل مع الجديد بمرونة.

اما الثقافة التقليدية فهى تحتفظ بعناصرها المتواترة، واساليبها المتصلبة، وتستعين بالمحافظ من الافكار، وتقاوم حركات التغيير مثلما تحرص على الحفاظ على ترتيب سلالم قيمها ومكوناتها الاخرى .

ووسط هذه الثنائية يحيا الأطفال، حيث تبعث وسائل الإعلام بهذين المنطلقين على مستوى الكبار وعلى مستوى الأطفال.

٥ – بين ثقافة المجتمع وثقافة الأطفال:

ان ثقافة الأطفال تتشكل فى كنف ثقافة المجتمع، وكثيرا ما تذهب ثقافة المجتمع الى تقييد ثقافة الأطفال والحيلولة دون تحررها، ويبدو الامر واضحا على صعيد الاسرة وكثير من الوكالات الاجتماعية الاخرى.

والمشكلة الاكثر بروزا، في هذا المجال، ان وسائل الإعلام كالراديو والتلفزيون والصحافة الموجهة الى الأطفال كثيرا ما تتقيد بنظرات الاسرة وتجاربها في وقت يقتضى فيه ان تكون وسائل إعلام الأطفال متحررة من كثير من النزعات ومن الافكار التقليدية. ذلك ان الأطفال يتهيأون لحياة جديدة، ويقتضي ذلك ان تتشكل ثقافة الأطفال في ظروف تأخذ في الاعتبار اوضاع الحاضر ومتطلبات المستقبل.

ومن بين الاسر العربية من يحاول ان يتخطى الأطفال ثقافتهم ويتعجلوا في اكتساب ثقافة المجتمع اي ان يشب الأطفال قبل الاوان لهذا تكافىء الاسرة العربية الطفل الذي يحسن التشبه بالراشدين حيث ان نسبة من الأُسر العربية ميالة الى ان يكون الأطفال نسخاً من الكبار.

ولا تقتصر ثقافة المجتمع على ثقافة الاسرة، بل هناك ثقافات فرعية كثيرة في المجتمع العربي منها ثقافة البداوة، وثقافة الريف، وثقافة النخبة، ولكل ثقافة من هذه الثقافات اتجاهات لها قدر من الخصوصية قد تبدو في حالة من التنازع بين بعض الثقافات الفرعية، او بين الثقافة العامة واحدى الثقافات الفرعية.

تأثيرات إعلام الكبار وإعلام الأطفال في الطفولة:

يشكل الأطفال جمهوراً لمصادر إعلام متعددة منها ما هي متضادة في اتجاهاتها، وهذا الجمهور عرضة للتأثر بتلك المصادر ما دام التأثير ينطوي على تغييرات في السلوك والتفكير نتيجة التعرض لرسائل ووسائل الإعلام.

ولكن دراسة تأثير الإعلام ما يزال من العمليات المعقدة حيث لم تصل حركة البحث العلمي في هذا المجال الا الى نتائج محدودة، ولهذا ظل باب الاجتهاد أمام خبراء الإعلام وخبراء الطفولة مفتوحا، اذ ينحو الكثير منهم الى ايراد إحتمالات حول التأثير في ضوء نظريات سيكولوجيا الاتصال وعلوم دراسة الأطفال.

واستنادا الى المعطيات المذكورة حول إعلام الكبار وإعلام الأطفال اللذين يحيطان بالأطفال مما يؤلف منهم جمهورا لمستويين من الإعلام اضافة الى

امتصاصهم المعاني بصورة مباشرة، ونظرا لتشتت وتضاد عوامل التأثير في الأطفال فأنه يمكن القول بأن تأثيرات الإعلام في الأطفال العرب تنطوي على تغييرات شاملة على صعيد العقل والعاطفة والحياة الشخصية والاجتماعية والثقافية. ويظل التحقق من حدود صدق اي احتمال منوطا بالدراسات الميدانية والتجريبية.

ومن الممكن أفراد مجالات التأثير في الآتي:

١- التأثيرات الجسمية والمهارية:

يمكن تبين تأثيرات جسمية ومهارية نتيجة لتعرض الأطفال لوسائل الإعلام المختلفة كالصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون والكتاب والانترنت، حيث ان للطفل فعاليته الحركية الكثيرة وله انشطته في اللعب الحركي، لذا فان مهاراته الحركية يمكن ان تنمو بفعل اكتساب طرائق مختلفة من الحركات كالرقص والقفز والضرب والمسك والمصارعة والملاكمة ومختلف الفعاليات الرياضية البدنية، حيث يمكن ان تتحق هذه النواحى بفعل التعرض للإعلام.

٢- التأثيرات الذهنية:

وهي التأثيرات الناجمة عن التعرض لوسائل الإعلام والتي تنطوي على تلك التغييرات الحاصلة في عمليات التفكير والتخيل والتصور والتذكر ذلك ان التاثيرات العقلية ترتبط بهذه العمليات وما ارتبط بأصدار الاحكام ، وتدبير شؤون الحياة الخاصة وما تعلق بالتغييرات ذات العلاقة بالذكاء والقدرات العقلية. ومن هنا فأن التأثيرات الذهنية ترتبط بالعمليات العقلية العليا التي يمكن ان تخضع للقياس.

٣- التأثيرات العاطفية:

وتشمل التغييرات ذات العلاقة بالموضوعت الوجدانية والبناء النفسى، والقابليات على مواجهة مواقف معقدة او جديدة وحدود ضبط التعامل معها، واساليب التعبير عن الانفعالات من حيث الهدوء والتأجج، او التأمل والاضطرابات او التمهل والهيجان عند تعرض الأطفال لوسائل الإعلام.

٤- التأثيرات المعرفية:

وتنطوي هذه التغييرات على مجالات متعددة منها ما تعلق بالعمليات المعرفية كالإدراك الحسي، والتعامل مع المعلومات وعلاقتها بتشكيل المعاني.

٥- التأثيرات في الشخصية:

وتتمثل هذه التأثيرات في ما يحصل من تغييرات في التنظيم الدينامى داخل الفرد، وفي الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية والروحية للطفل بفعل تعرضه لوسائل الإعلام، حيث ان الشخصية هي الجانب الفردي من الثقافة، لذا تنسحب هذه التأثيرات على القيم والمعايير والعادات.

٦- التأثيرات الاجتماعية:

وتشمل هذه التأثيرات مجمل التغييرات المرتبطة بعلاقات الأطفال وتفاعل بعضهم مع البعض الآحر، واتجاهات الأطفال نحو الموضوعات والقضايا والجماعات، ودور الإعلام في هذه المجالات اضافة الى ما ينجم عن التعرض للإعلام من نظرات ومواقف ازاء الآخر.

٧- التأثيرات اللغوية:

لما كانت اللغة نظاما من الرموز اللفظية وغير اللفظية التي يستعين بها البشر للاتصال والتعبير، فان التأثيرات اللغوية تتمثل في التغييرات الرمزية الناجمة عن التعرض للإعلام، ودور اللغة فى التعبير، وحدود فهم الأطفال للرسائل الإعلامية، وعلاقة التعرض بكلام الطفل، واستماعه، وقراءته، وكتابته، حيث ان للغة مظهرين اولهما اجتماعي وثانيهما عقلي.

ومن هنا فأن التأثيرات اللغوية الناجمة عن التعرض للإعلام يمكن القول عنها انها تشمل علاقة التعرض بأوجه النشاط اللغوي ونموه من حيث السرعة والاتجاه.

٨- التأثيرات الخلقية:

وتتمثل هذه التأثيرات في التغييرات الحاصلة في سلوك الأطفال على نطاق الاخلاقيات والاداب واساليب المجاملة نتيجة التعرض لوسائل الاتصال.

٩- التأثيرات الروحية:

وتتمثل التأثيرات الروحية في التغييرات الحاصلة لدى الأطفال على صعيد القيم الدينية والسلوك الديني، وحدود التعلق بالدين والعلاقة بين الدين وبين انماط السلوك وانماط التفكير.

١٠- التأثيرات الثقافية:

وتشمل هذه التغييرات مجمل ما يحصل في منظورات الأطفال للكل المركب من العادات والتقاليد والقيم والافكار والعقائد العامة نتيجة التعرض لوسائل الإعلام.

وتشتمل مجمل هذه التأثيرات على تغييرات كمية وتغيرات كيفية من حيث بروز ظواهر وضمور اخرى نتيجة تعرض الأطفال للإعلام.

هوامش الفصل الأول:

(١) الفقرة الاولى من المادة (١٣) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.

(٢) الفقرة الاولى من المادة (١٤) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.

(٣) المادة (١٧) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.

(٤) تقرير المؤتمر العربي رفيع المستوى لحقوق الطفل، القاهرة، ٢-٤ يوليو، ٢٠٠١، جامعة الدول العربية، ص ٤٢.

(٥) المجلس العربي للطفولة والتنمية، واقع الطفل العربي، التقرير الاحصائي السنوي، ٢٠٠١، ص ٢٠٥.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٧) د. اماني قنديل، تحليل دور مؤسسات المجتمع المدني في تطوير واقع الطفولة العربية، المجلد ٢، العدد ٨، ايلول ٢٠٠١، ص ٥٢.

(٨) د. برهان غليون، بناء المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، ١٩٩٢، ص٧٣٧.

(٩) المجلس الاعلى لشؤون الاسرة، دراسة عن سوء معاملة الأطفال، مجلة الاسره القطرية، العدد ٢، شباط ٢٠٠٢، ص ٢٢-٢٣.

(١٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقرير ندوة الاختراق الإعلامى للوطن العربي، القاهرة، نوفمبر، ١٩٩٦، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(١١) د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨.

(١٢) مصطفى حجازي، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الاصولية، الدار البيضاء، المركز الثقافى العربي، ١٩٩٨، ص ٦٦.

(١٣) د. محمد عبدالرحمن الخضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام: دراسة في النظريات والاساليب، الرياض، مكتبة، العيكان، ص ٤٨.

(١٤) Otto N. Larsen, Violence and the Mass Media, Harper., ١٩٦٨ pp. ٩٩ -١٠٠٠ .

(١٥) د. هادي نعمان الهيتى، إشكالية المستقبل في الوعي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣، ص ١٣١-١٣٢.

(١٦) د. حسن الابراهيم، في مناقشته في الملتقى العلمي السادس للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكتاب السادس، ١٩٨٨.

(١٧) ايليا حريق، الدولة ومسؤولياتها في كتاب الدولة والتعليم فى لبنان، بيروت، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، ١٩٩٩.

(١٨) عصام نعمان، في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن المجتمع المدني في الوطن العربي، ١٩٩٢، ص ١٦٦.

الفصل الثاني

الروح العلمية في ثقافة الأطفال العرب

الروح العلمية في ثقافة الأطفال العرب:

أملت تداعيات الألفية الثالثة الكثير من المطالب على مختلف مجالات النشاط الإنساني بما فيها ثقافة الأطفال التي ترتب ان تكون ذات نزعة مستقبلية واضحة، خاصة وان تلك التداعيات اقترنت بحركة تغيير شملت العالم كله، بدرجات متباينة، وامتدت الى السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والفن، إضافة الى تغيرات علمية وتكنولوجية واتصالية هائلة.

وقبل خمسة عقود، يوم وضعت استاذة التربية ماريان بيسر كتابها عن التنشئة العلمية للأطفال أشارت الى ان الذي حدا بها الى وضع الكتاب (إيمانها بأن العلم هو أحد السبل الذي سلكه اي طفل حتى شب إنسانا يقظا مفكرا قادرا على تحمل مسؤولياته). واوضحت: انها لا تنتظر ان يتعلم القارىء من ذلك الكتاب كيفية تهيئة طفله لان يكون عالما بالضرورة، لانه (كتاب لأي والد يريد ان ينمي في طفله واقع حب الاستطلاع والخيال والوعي، ويعينه على تفهم العالم الذي يعيش فيه، إذ ان العلم والطريقة العلمية صالحتان تماما وبوجه خاص لتحقيق ذلك، غير ان ثمار نواحي النشاط هذه تتجاوز حدود العلم الى آفاق أكثر بعدا بكثير) ثم تؤكد في موقع آخر من الكتاب ان لدى الأطفال الكثير من العجينة التي يصاغ منها العلماء، ولكن الاسرة والمدرسة قد فشلتا في الاستفادة منها[١].

وإذا كان هذا قد قيل قبل خمسة عقود، فان مسألة العلم كانت قد حسمت منذ خمسة قرون، ان اي محاولة لمقاومة طريق التفكير العلمي هي مقاومة مردودة، ذلك ان اتباع طريق العلم اصبح قضية محسومة، حتى إن كان يحلو للبعض ان يجعلوها من جديد موضع جدل، إذ ان العلم أصبح، بفضل منجزاته النظرية والعملية، أكثر عمقا في حياة الناس، وبالتالي أصبحت حاجة الناس اليه اشد. ومن هنا يراد للثقافة باعتبارها جوا معرفيا وسلوكيا فيه نسبة عالية منقولة عن الماضي ان تتضمن نهجا فكريا كي تتوفر في ظلاله شروط الارتقاء العلمي.

وتعد ظاهرة العلم أخطر ظواهر الحضارة الإنسانية وأكثرها تمثيلا إيجابيا لحضور الإنسان في هذا الكون، ولئن يمثل العلم الحديث مرحلة شديدة التميز والتوهج من مراحل تطور العلم والعقل والحضارة إجمالا، فان القرن العشرين أتي في إثرها ليضاعف مردودات العلم وحصائله بمعدلات متصاعدة غير مسبوقة، وبات العلم العامل الفاعل والحاسم في تشكيل العقل والواقع[٢].

والعلم في ذاته، حصيلة للتفكير العلمي، وهوليس مجموعة من المعلومات والحقائق حسب، ولا هو طائفة ساكنة من الافكار، ولا هو جسم من المعرفة بل هو أسلوب في التفكير، ولهذا الاسلوب مجموعة من الضوابط والشروط التي يمكن من خلالها تأمل العالم والحياة. والعلم على اساس ذلك، اقرب ان يكون عملية، هي: التقصي عن الحقيقة. وهو في محتواه يمثل جزءً من المعرفة العامة بحيث لا يمكن للفرد الا ان يحيط بجزء صغير من نوع علمي. والأنواع العلمية شديدة التباين فهي تمتد من دراسة الطبيعة الى دراسة سلوك الإنسان، لذا فان هناك علوما طبيعية وعلوما إنسانية وهذه العلوم تلتقي في عدد من مناهجها وخصائصها، والتي يطلق عليها خصائص التفكير العلمي، على أساس ان العلم لا يقتصر على تصنيف الظواهر والموضوعات او وصف الاحداث بل هو يشمل اتباع الطريقة المنهجية في اكتشاف العلاقات، لان هذه العلاقات هي التي تشكل معرفة علمية أيا كان موضوعها، ذلك ان فهم العلاقات بين الموضوعات يوفر فرصا للتحكم في بعض الظواهر او الاحداث او تكييفها بطريقة معينة، كما ان ذلك يوفر فرصا للتنبؤ بها من خلال الوقوف على مآلاتها. ولهذا يوصف العلم بأنه نشاط في التقصي عن العلاقات بين الموضوعات والظواهر، وهو طريقة في التفكير أكثر من كونه مجموعة من الحقائق والقوانين. ومن هنا فان الانسان العادي يمكن ان يكون ذا سمة علمية في حياته اليومية او في ثقافته.

والتفكير العلمي يتطلب أنشطة عقلية الى جانب أنشطة اخرى كالملاحظة او غيرها، اي هو يستلزم سلوكا يهدف الإنسان من خلاله الى تحقيق اهداف معرفية وسلوكية معا.

ومن بين الفعاليات التى تساعد الطفل على التدرب على التفكير العلمى اتاحة الفرص لممارسة النقد، ومواجهة مواقف الحياة مواجهة فعلية، والربط بين الأفكار والمعلومات، ووضع الحلول للمشكلات وفق ضوابط محددة، وإشاعة مفاهيم التجريب، كما يدخل في هذا الإطار العمل على تحبيب شؤون العلم الى الأطفال، وتبين دوره فى الحياة.

الروح العلمية:

وتتضح الروح العلمية في ثقافة الأطفال في تعامل الأطفال في تلك الثقافة مع الموضوعات بطريقة منهجية، اي تلك التي تأخذ بقدر واضح من شروط التفكير العلمي

فى نظرتها الى الموضوعات وتعاملها مع الظواهر، سواء أكانت تلك الموضوعات والظواهر في المجالات الطبيعية أم الإنسانية.

ومن هنا فان الروح العلمية في الثقافة لا تتمثل في المعلومات العلمية، بل في العمليات المنهجية التي يتدرب الأطفال على اكتسابها والتعامل على اساسها مع تلك المعلومات والظواهر والاحداث بقصد فهمها أي: الوقوف على علاقاتها، وتكييفها، والتحكم فيها، والتنبؤ بمآلاتها.

ولابد من الإشارة هنا الى إن الثقافة هي نسق منظم ومتكامل من السلوك من جهة ومن الأفكار والقيم التي تدعم ذلك السلوك من جهة أخرى، الإ انها – فى حقيقتها – أكثر من كونها مجموعة عناصرها، إذ انها إضافة الى ذلك الطريقة التي تنتظم بها تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر لتؤلف كلاً. وعليه فان اكتساب الثقافة لا يقتصر على اكتساب عناصرها فحسب، بل يتعدى ذلك الى الوعي ببنيانها وسلمها القيمى[٣].

والثقافة هي صورة المجتمع من خلال أفكاره ومعاييره وأساليب سلوكه، وهي الحصن الذي يريده المجتمع منيعا كى يطلق أحكامه ويتعامل مع الطبيعة والحياة اعتمادا على عقائده، وعاداته، ومهاراته، وقيمه، وانطباعاته، وتراثه، ومثله العليا[٤].

وعلى هذا لا تتباين ثقافة عن ثقافة بتباين عناصرها، بل بتباين العلاقات التي تقوم بين تلك العناصر من حيث غلبة بعضها على البعض الآخر، واستغراقه له، او تعارضه معه، فتبرز نزعة سائدة تتميز بها ثقافة دون غيرها ويكون لها قدر من السيادة على العناصر الاخرى[٥]، هذه النزعة هي ما نطلق عليها (الروح).

وعلى هذا، فان الروح العلمية في ثقافة الأطفال لا تعني العلم بمعناه، ولا تعني طرق التفكير التي يمارسها المختصون او العلماء، بل تعني وجودا بقدر ما، لتلك الروح في الثقافة بحيث تحرك وتضبط عملية التفكير. ومن هنا فان القول بالروح العلمية في الثقافة لا يعني ان تتحول بعض مفردات الثقافة الى علوم، ذلك ان الثقافة، فى طبيعتها وتكوينها كل مركب يؤثر كل عنصر في الآخر ويتأثر به وصولا الى قيم ومعايير وأحكام يستتبعها سلوك.

ومن هنا يبدو ان إدخال مفردات العلوم في الثقافة وكأنه عملية إقحام عناصر جديدة في جو غير قادر على إحتمالها، ذلك الجو الذي يتطلب، اولا، نظرة علمية ووعيا بالعلم، وهذه كلها لا تتشكل عبر الثقافة الا بإدخال روح العلم من خلال إدخال طرائق علمية وضوابط فكرية وسلوكية كالواقعية والتنظيم والتعميم والدقة والمرونة والتحليل والتركيب، ولكن بطريقة تختلف عن تعامل العلماء مع الموضوعات.. إذ ان القول بالروح العلمية في الثقافة يعني إلتزاما بشروط التفكير العلمي في جوانب من شؤون الحياة اليومية.

وهكذا فإن الذين يتحدثون عن تنمية التفكير في المجتمع او في الثقافة يشيرون الى ان التفكير العلمي او العقلية العلمية بالمعنى الواسع لا يعني تفكير العلماء وحدهم، الا أنه من غير الممكن إلقاء الضوء على هذه الطريقة العلمية في التفكير الا فى حالة الالمام بشيء من اسلوب تفكير العلماء الذي انبثقت منه تلك العقلية العلمية في مجتمعاتهم، فتفكير العلماء هو مصدر الضوء، ومن هذا المصدر تنتشر الاشعاعات في شتى الاتجاهات، وتزداد خفوتا كلما تباعدت، ولكنها تضيء مساحة أكبر في عقول الناس العاديين كلما كان المنبع الاصلي أشد لمعانا، ومن هنا تترنب العودة، من حين لآخر، الى الطريقة التي يفكر بها مبدعو العالم، لا في تفاصيلها الفنية المتخصصة، بل في مبادئها واتجاهاتها العامة والتي هي الاقوى تأثيرا في تفكير الناس العاديين[٦].

وإذا كان الراشد يتدرب على التفكير العلمي من خلال عمليات البحث العلمي، فان الطفل يتدرب على التفكير العلمي في الأسرة والمدرسة والمجتمع. ومن خلال اللعب، والسفر، والقراءة، وممارسة عمليات الاستطلاع والتخيل والملاحظة والتعامل مع المشكلات على وفق أسس، والربط بين المعلومات وصولا الى حقائق، وإصدار الأحكام بعد تأمل فكري، وممارسة النقد السليم، ومشاهدة التلفزيون والسينما والمسرح والاستماع الى الاذاعة والمشاركة في الحوارات، وما يماثل هذا وذاك.

وهذا يفرض ان تضع مجمل المؤسسات الاولية والثانوية الروح العلمية في اعتبارها إبتداءً بالاسرة والمدرسة مرورا بوسائل الإعلام الموجهة الى الأطفال. الا أنه من الضروري أن ترافقها بلورة وعي الكبار بهذه الروح، ايضا، نظرا لان هناك تلازما بين ثقافة المجتمع وثقافة الأطفال، ولا يمكن لثقافة المجتمع ان تنقل سمة او روحا الى ثقافة الأطفال ان هي كانت تفتقر الى تلك السمة.

ثقافة الأطفال والتفكير العلمي:

من بين الامثلة التي يستعين بها المعنيون بالمنطق تلك التي تشير الى انه من الممكن ان نفرض شخصين لدى احدهما من المعرفة العامة والمعلومات ما يساوي او يقارب ما لدى الآخر، غير انه من الممكن ان نجد ان تفكير احدهما يتسم بالعلمية فى وقت يتسم تفكير الآخر باللا علمية، إذ يميل الاول الى تحليل الموضوعات الى العوامل والاسباب ويلتزم في تفكيره بالموضوعية والتنظيم والواقعية، في وقت يذهب الآخر مذاهب شتى في تناوله الموضوعات الى تفسيرات تقوم على الظنون او تأويلات تعتمد الحظ او الخرافة او تخضع لتفكير تسلطي.

ومن هنا أمكن القول ان التفكير كنشاط عقلي تتعدد انماطه، منها التفكير العلمى فى جانب والتفكير المضاد للعلم في جانب آخر.

واذا كان ذاك هو منطق المنطقيين فان للباحثين في الثقافة ما يمكنهم من القول ان للثقافة روحا، اي ان لثقافة المجتمع توجها.

وإذا كانت ثقافة الأطفال هي ثقافة فرعية، فان ذلك يعني انها تتمثل في ذلك الكل المركب من افكار الأطفال وعاداتهم ولغتهم وأساليب أدائهم الانشطة المختلفة وتعبيرهم عن أنفسهم، ويعنى أيضا أنه يمكن ان تتضح في ثقافة الأطفال سمة واضحة أو أكثر، أي يمكن أن تكون لثقافة الأطفال روح معينة كالروح العلمية، او الروح الفنية، او الروح الادبية. وتتطلب حياة الأطفال ان تكون هذه كلها في ثقافة الأطفال إلا أن الاشارة هنا الى الروح العلمية في ثقافة الأطفال العرب، ذلك ان مدخل العرب الى الألفية الثالثة تحتم أن يكون العلم مدخلا، بعد ان ظلت المداخل كلها موضع اختبار ولم يتحقق فيها النجاح. كما ان هناك قدراً واضحاً من الحضور للتفكير الخرافي والتفكير التسلطي والتفكير عن طريق المحاولة والخطأ في ثقافة المجتمع العربي، وحضور هذه الانماط اللا علمية من التفكير، بما فيها الخرافية يعني انها تفعل فعلها السلبي في حياة المجتمع العربي وتشكل عاملا اساسيا في الحيلولة دون تلاؤم المجتمع العربي مع العصر الحديث ودون ارتقائه، خاصة وان تداعيات متغيرات العصر الحاضر تملي على المجتمعات كلها الاشتراك في عدد غير قليل من الظواهر العالمية، وإلا بدا كمن يتوانى عن ذلك متخلفا عن متابعة إيقاع الحياة الجديدة وعن المشاركة الفعلية فيها.

وهناك من يذهب، اليوم، الى القول ان العلم هو ثقافة المستقبل من خلال التركيز على أهمية المدخل العلمي، وضرورات شيوع العلم في المجتمع خاصة وان هناك نظريات تنسب العلم الى المجتمع(٧) وترى ان العلم نشاط مجتمعي في مجمل مفاصله.

وإذا كانت تلك العوامل تشكل بعض دواعي الاهتمام بثقافة الأطفال باعتبارها اللبنة الاساسية لبناء الأطفال، فانها من جانب آخر تؤلف أسبابا لان تكون عملية تثقيف الأطفال ليست حشوا لأذهانهم بالمعلومات بل تدريبهم على التفكير، والتفكير العلمي بالذات خاصة وأن الأسلوب العلمى فى التفكير ليس قاصرا على موضوع دون آخر. إذ يمكن الأخذ به في مختلف جوانب الحياة العلمية والفكرية، كما ان التفكير العلمي ليس هو تفكير العلماء وحدهم، بل يراد لأساسيات هذا المستوى من التفكير أن يشيع في المجتمع، كل مجتمع، وان يكون له دوره في السلوك بأنماطه المختلفة. ولا يتحقق ذلك الا إذا تدرب الأطفال، منذ صغرهم، عليه، خاصة وان هناك تأكيداً (ان التفكير العلمي مطلبه عسير على غير من دربوا عليه، فعامة الناس يأخذهم الضيق من بعض ما يفرضه هذا المستوى من التفكير)(٨). كما ان نشر أفكار علمية، رغم صدقها، لا يعد من الانشطة الاتصالية اليسيرة، وما تزال الإنسانية تحتفظ بأمثلة عن وقائع علمية كثيرة لم تحصل على القبول في ثقافة البشر، ومنها لم يتحقق له قدر من الانتشار على المستوى الاجتماعي الا بعد جهود مضنية.

والثقافة، في حد ذاتها تتمثل في جانبين اساسيين: اولهما معرفي، وثانيهما سلوكي، حيث يقود المكون المعرفي، بكل ما ينطوي عليه من معلومات وأفكار وقيم وخبرات ومعايير واحكام الى أنماط سلوكية مشتركة في المجتمع الواحد.

المدرسة والروح العلمية:

وكانت المدرسة قد حاولت من منطلق خاطىء إعطاء التلميذ أكبر قدر من الحقائق والمعلومات، وكان هناك إعتقاد خطأ يرى أنه كلما زادت معرفة الفرد فان بوسعه رؤية الصواب على أساس ان الناس إذا تعلموا تعليما كافيا فان الصواب يعم العالم وبالتالي تنتشر الفضيلة. وهذا الاعتقاد أدى الى تأييد فكرة العناية بتزويد التلاميذ بأكبر قدر من المعلومات المتنوعة في المواد الدراسية المختلفة، ودعم فكرة إزدحام المقرر المدرسي بهذه المواد، كما

وجهت بعض الاعتقادات عناية المنهج المدرسي الى تدريب التلاميذ على سرد معلوماتهم والتحدث عنها كهدف في ذاتها.. وكانت تلك الاعتقادات ترى ان المثقف هو من يستطيع رواية الاخبار (رواية التاريخ) وإلقاء الشعر، والذي يستطيع التحدث عن كثير من نواحي الحياة مهما كانت معلوماته ضئيلة القيمة من الناحية العملية والعلمية، والذي يستطيع المناقشة والحوار – بصرف النظر عن قيمه ذلك علميا وعمليا – وكان مثل هذا الشخص يبرز فى كثير من الاوساط وتصبح آراؤه واحكامه مقبولة في كثير من الاحيان(٩).

ومع هذا فان للمدرسة اليوم دورا في تدريب الأطفال على اتباع الاسلوب العلمي في التفكير من خلال أنشطة متعددة تراعي مستويات النمو، ومن بينها(١٠):

أ- التدريب على أساليب التخطيط وإدراك أهمية التخطيط في أي وجه من أوجه النشاط الذي يقوم به الفرد او تقوم به الجماعة.

ب- تدارس الأطفال لمشكلاتهم الشخصية ومحاولة الوصول الى حلول لها.

ج – إصدار أحكام سليمة عن الظواهر المختلفة مع التخلص بقدر المستطاع من التعصب.

د- تدارس الأطفال – بقدر الامكان – للمشكلات الاجتماعية المختلفة في بيئتهم، ونقد العيوب، وتتبع طرق العلاج، واقتراح ما يمكنهم اقتراحه من طرق الاصلاح، وتدارس مدى صلاحية هذه الطرق.

هـ – التدرب – بقدر الامكان – على ما يستطيعون الإسهام فيه من وسائل علاج العيوب الموجودة فى البيئة المحلية.

وعلى هذا الاساس مع انه ليس هناك طموح بأن يكون تفكير الأطفال علميا في اي مجتمع من المجتمعات، الا ان هناك قدرة لان تكون في ثقافة الأطفال روح علمية تتبلور فى نظرة علمية Scienific Outlook من خلال الميول والاتجاهات والانماط السلوكية بما فيها التفكير، بحيث تشكل هذه المكونات طابعا في هذه الثقافة الى جانب تقليص دور الخرافة والوهم فيها.

وهذا يعني ان تغيرات الحاضر والمستقبل تتطلب ان تحتضن ثقافة الأطفال روحا علمية، دون ان تعمل على حشر المعلومات العلمية في أذهان الأطفال، بل يترتب العمل على نشر إحساس عام بين الأطفال بأهمية العلم، وصدقه، وثباته ومرونته،

وواقعيته، وتكوين رؤية مستنيرة بهذه الجوانب، اي ان يكون العلم في ثقافة الأطفال ميلا ذهنيا يتأملون فيه الحياة والعالم ويتقرر من خلال ذلك سلوكهم وتفكيرهم.

وجدير بالذكر انه بالرغم من ان هناك من يعني بالثقافة العلمية مجمل المعلومات والافكار العلمية في الثقافة، الا ان هذا المفهوم يظل قاصرا إذا لم يتسع ليشمل استخدام طرائق واساليب التفكير العلمي في تعامل المجتمع مع عناصر الثقافة بما فيها جوانب المعرفة العامة.

الروح العلمية والارتقاء العلمي:

وهناك من يرى (إن مجتمعنا العربي بعيد تماما عن الحد الادنى المطلوب لحدوث التراكم الثقافي للثقافة العلمية، وبالتالي لاي تحول كيفي للعلم كثقافة، وعلى هذا فان المجتمع العربي يحتاج الى استيعاب العلم كمكون ثقافي لان ذلك شرطاً اساسياً للارتقاء المادي الذي يحتاجه المجتمع العربي، ذلك ان لكل مجتمع مشكلاته، لكننا مازلنا نعاني من الاشكال القديمة لثلاثية التخلف: الفقر والجهل والمرض، ولا حل لذلك الا بثلاثية التقدم: العلم، والتكنولوجيا، والتنمية، فنحن نحتاج الى إجادة لغة العلم والى ممارسة التفكير العلمى، والذي يرى البعض انه ليس انجازا او حالة من حالات الارتقاء البشري، بل هو الارتقاء البشري نفسه)[١١].

وهناك تساؤل يظل في تزايد هو ان الارتقاء العلمي الحديث الذي بدأت تباشيره الاولى في منطلقات حديدة مع القرن الخامس عشر يفرض على المجتمع العربى أساليب تفكير جديدة، وإذا كان هناك إصرار عربي – في حدود ما – على التمسك بأساليب قديمة في التفكير، فان هذا الاصرار هوواحد من العوامل التى اعاقت عمليات الارتقاء لانها قللت من حدود المشاركة الايجابية والاسهام في الانتاج العلمى، خاصة وان هناك أطروحات عربية تدعو الى عودة العرب الى العطاء العلمى، والى مسألة العبور الى المستقبل، خاصة وان الروح العلمية ذات نزعة تنبوئية لان التنبؤ الذي يقوم على مقدمات واقعية هو أحد وظائف العلم الاساسية، لهذا فان هذه الروح فى الثقافة تعني بلورة ثقافة مستقبلية ترتكز في جوانبها على أدبيات علم المستقبل مثلما تدعو الى تداعيات التغيير في العالم.

وكانت دراسات قد ناقشت قضية التفكير في ضوء المتغيرات الجديدة، وخلصت الى ان الإنسانية في حاجة لان تعيد طريقة تفكيرها كي تحمي مستقبلها(١٢).

وإذا كانت المدرسة، في عمليات التعليم، تؤدي وظائف ثقافية، فأن الاسرة ومجموعات الرفاق ووسائل الاتصال بالأطفال كالكتب والصحف والإذاعة والتلفزيون والسينما والانترنت والمسرح تؤدي، هي الاخرى، وظائف ثقافية، وإذا كانت المدرسة تبدأ عملية التعليم بعد اجتياز الأطفال مرحلة عمرية بعينها فان امتصاص الأطفال للثقافة يبدأ في مرحلة عمرية مبكرة من خلال اكتسابهم انماطا سلوكية وعادات وقدرات على التعبير وقدرات على التفكير فيما يسمى الولادة الثقافية للأطفال.

ويعاني التعليم في الوطن العربي، وتعاني الثقافة، بما فيها ثقافة الأطفال من مشكلات شديدة التعقيد، كان من بينها تضييع كثير من فرص الارتقاء واستمرار تخلف الوطن العربي.

توصيات:

ننتهي بعد هذه المعطيات عن ثقافة الأطفال، وعن الروح العلمية وضرورة تضمينها في ثقافة الأطفال، مع استمرار إذكاء النظرة العلمية، الى التوصيات التالية:

١- لما كانت هناك محذورات متعددة من إشغال الأطفال بالمعلومات او حشرها في اذهانهم، لذا يترتب ان تعمل مؤسسات الاتصال الثقافي بالأطفال على الربط بين تلك المعلومات بقصد إنماء عملية التفكير العلمي بالذات، خاصة وان المعلومات – في حد ذاتها – لا تشكل عنصرا ثقافيا إذا لم تتكامل مع عناصر في الثقافة لتشكل كيانا من الافكار او الاتجاهات، او الميول، او القيم او الانماط السلوكية.

٢- ان الرغبة في إشباع ثقافة الأطفال بالروح العلمية ذات ارتباط بالنظرة العلمية في ثقافة المجتمع. ومن هنا يترتب ان تعمل وسائل الاتصال في المجتمع على تنمية وعي الكبار بثقافة الأطفال، وبالروح العلمية، مع مواجهة كل الانماط الخرافية في التفكير، وان يتحقق التركيز على قيمة العلم الاساسية كالتغيير، وعدم الجمود، والدقة، ودحض الاوهام والتأويلات الخرافية.

٣- فى إستمالة الأطفال نحو النظرة العلمية لا يراد ان يكون ذلك على حساب ميول الطفل الادبية او الفنية لان في ذلك جنوحا الى النزعة العلمية Scientism التى تبالغ في قدرات العلم، وتنزع – احيانا – عن العلوم الإنسانية صفتها العلمية، وترى في العلوم الطبيعة دون غيرها مدخلا للارتقاء، مع ان الإنسانية لا يمكن لها ان تستغنى عن الفنون والآداب والتعبير الذوقي والعاطفي.

٤- ان تسعى وسائل الاتصال الثقافى بالأطفال الى تكوين انطباعات ايجابية لدى الأطفال عن العلوم، والعلماء، والنظرة العلمية، وان يدركوا ان العلم معرفة إنسانية واسلوب في التفكير، وانه بكل خصائله العظيمة نتيجة للجهد الفكري للبشر.

٥- تشجيع الأطفال على الألعاب ومجمل الانشطة المنظمة والمثيرة للتفكير. وان تكون إثارة التفكير انسليم واحدة بين أهداف اغلب أنشطة الطفل، مع مراعاه عدم إقحام اي هدف بصورة مفتعلة.

٦- توفير فرص للأطفال للتعامل مع المشكلات وكيفية وضع الحلول السليمة لها، وممارسة النقد الصحيح والملاحظة المنظمة ومجمل الفرص التي تعزز الروح العلمية للأطفال.

٧- ان تسعى وسائل الاتصال الثقافى بالأطفال لان تدخل في روع الأطفال ان بوسع مجتمعاتهم تحقيق خطوات علمية، وان العلم من صياغة بشر التزموا بضوابط الفكر العلمي، مع إظهار العمل العلمي شيقا وممتعا للأطفال، إذ ان من العلم ما يمكن ان يظهر للأطفال وكأنه لعبة جذابة.

٨- ان تتوفر للأطفال فرص التدرب على التنظيم، والواقعية، والمرونة، والتعميم، والدقة، إذ ان هذه المفردات هى شروط للتفكير العلمي، وان تتوفر للأطفال فرص تجسيد المعانى والافكار العلمية.

٩- ان يدرك الأطفال ان العلم وراء ازدهار الحياة وارتقائها وان المجتمعات التى حققت درجات عالية من الرقى لا تختلف عن مجتمعنا الا في المستوى الثقافي.

١٠- إطفاء روح التعصب والمغالاة بين الأطفال، خاصة وان في ثقافة الكبار بعض ما يعزز ذلك.

هوامش الفصل الثاني:

(١) ماريانا بيسر : التنشئة العلمية، ترجمة احمد محمود سليمان، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ٣، ١١، ١٣، ١٤.

(٢) د. يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠، ص٧.

(٣) د. هادي نعمان الهيتي: صحافة الأطفال في العراق، بغداد، دار الرشيد، ١٩٧٩، ص ١٣ - ١٤.

(٤) .. هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨.

(٥) د. صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٠، ص ٤.

(٦) د. فؤاد زكريا: التفكير العلمى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٧٨، ص ٧ - ٨.

(٧) أنظر: د. احمد شوقي: العلم ثقافة المستقبل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ٢٨٩.

(٨) د. زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ص٤٦.

(٩) أنظر: د. عبداللطيف فؤاد ابراهيم: أسس المناهج، القاهرة، دار مصر، ص ٣٨٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٨٨.

(١١) د. احمد شوقي: مصدر سابق، ص ١٥.

(١٢) أنظر: ربورت اورنشتاين وبول ايرليس، عقل جديد لعالم جديد، ترجمة د. احمد مستجير، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠.

الفصل الثالث

توجهات ثقافة الأطفال

توجهات ثقافة الأطفال:

يحيا الأطفال العرب في جو ثقافي فيه قدر كبير من التعقيد، حيث تتشابك فيه الثنائيات، وتتصارع القوى، وتتنافس المصالح. والى جانب ذلك تحيط بالطفل العربي مصادر للاتصال لكل مصدر منها ثقافته التي تتبرم من الاخرى حتى أمكن القول: إن أطفالنا يعيشون في عصر له من السمات والظواهر ما يجعله متفردا.

ويتلقى الا طفال الثقافة في عملية "الاتصال الثقافي" حيث تبث وكالات المجتمع المختلفة بالرسائل الاتصالية، بطريقة مباشرة او غير مباشرة، لذا يجد الأطفال أمامهم الصحافة بما فيها الصحافة الالكترونية والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والفيديو والانترنت، حيث تحققت خطوات تكنولوجية امكن الانتفاع منها في عملية الاتصال والتجسيد الفنى. اذ رافقت التطورات التكنولوجية في الاتصال تطورات اخرى على صعيد تجسيد المعانى والافكار بحيث تتشكل رسائل فنية تتوفر لها عناصر الجمال والوضوح والقوة، حيث امكن القول بظهور ثقافة الكترونية لها بلاغتها، كما حصلت تغييرات واسعة على صعيد المعاني والمعلومات حيث تتضح امام الانسان باستمرار موضوعات جديدة.

والى جانب ذلك أتيح للاتصال الثقافي ان يتخطى الحدود ويتجاوز المسافات ليصل الى كل المساحات في هذا العالم بحيث لم تعد هناك مناطق نائية ولا مجتمعات معزولة. ومن هنا برزت كثير من نقاط الإلتقاء بين المجتمعات على صعيد المعلومات الثقافية والجغرافية غير ان ذلك لم يوفر – الا بحدود – فرصاً للتعاون الدولي اذ ظل الصراع سمة بارزة من سمات الوضع الدولي القائم، حيث تفرض المصالح سياسات واوضاعا ومواقف.

وكان مارشال ماكلوهان قبل اكثر من اربعين سنة قد كرر القول ان "العالم سيصبح قرية صغيرة بفضل الاتصال " لكن ماكلوهان لم ينبه الى اولئك الذين سيحكمون القرية الصغيرة ويتسلطون عليها عند ظهورها. ويتضح اليوم ان القوة تفرض ارادتها على حركة الاتصال في العالم، حيث يتصدر الحركات والمواكب

اباطرة المال وكهنة تكنولوجيا المعلومات، الأمر الذي يقود الى مشكلات ثقافية في كثير من بلدان العالم، وهذه المشكلات تحدث تأثيراتها في ثقافات المجتمعات، بما فيها ثقافات الأطفال في العالم.

وعلى هذا فان مصادر الاتصال تتعامل مع معلومات منتجة رسائل اتصالية ثقافية واخبارية وترفيهية تبعث بها الى جمهور الأطفال في عمليات اتصالية منها ما يتخذ اسلوبا ادبيا ومنها ما يتخذ اساليب إعلامية اخرى، وهذا يعني ان المعلومات التى اتسعت وتزايدت واتخذت لها اوعية ومصادر عملاقة وادوات نقل الكترونية نشرت ظلا على عمليات الاتصال الثقافي بالطفولة ايضا.

وبهذا، فان عناصر جديدة قد إقتحمت جو ثقافة الأطفال العرب بعد ان كان هذا الجو مقتصرا على الاتصال المواجهي من خلال التشكيلات الاجتماعية. اذ انه حتى عقود قليلة ماضية كانت المواد المقدمة للأطفال العرب تقحم ضمن مجلات وبرامج الاسرة الاذاعية والتلفزيونية حتى تفردت وسائط موجهة الى الأطفال العرب، فوجدنا بدايات اولى ظهرت في العشرينيات من القرن العشرين. كانت قد ظهرت امتدادا للمدرسة من خلال الصحافة المدرسية، حتى كانت بدايات النصف الثاني من القرن العشرين قد شهدت جهودا تقوم على محاولات ناجحة وتحاول توظيف الادب في عمليات الاتصال الثقافي.

وقد آل ذلك الى ظهور مصادر للاتصال بالأطفال وتبلور تيارات في عمليات ثقافة الأطفال العرب ومحاولة كثير من الادباء والكتاب العرب تقديم نتاجاتهم الى الأطفال، وصار مجال ثقافي موجه للأطفال العرب عبر الانترنت الذي يعتبر اليوم، احدث وسائط الاتصال. ويعني هذا كله ان الأطفال العرب يشهدون، بدرجة ما، عمليات إتصال ثقافي جماهيري، وهم في الوقت نفسه يتعاملون، بشكل او آخر، مع ثورة الاتصال.

ومن هنا فان الاتصال الثقافي بالأطفال يشكل حركة وتيارا اليوم، وهذه الحركة تتفرد بعدد من الظواهر، من بينها:

١- ضآلة الانتاج الثقافي العربي:

تصل الى الأطفال العرب رسائل اتصالية عبر الانترنت والاذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما، منتجة فى الخارج، حيث ان ما ينتج في الوطن العربي ضئيل، ويفتقد جزء كبير منه الى الجودة.

ومن هنا فان الطفل العربي يقف مبهورا امام ما يصله من المنتج الإعلامي والثقافى من مصادر اجنبية. ولما كان كثير من ذلك المنتج على قدر واضح من الجودة، فان ذلك يجعل الطفل وقد اصيب بالاحساس بالانبهار بما هو أجنبي مع تقليله من شأن المنتج الوطني.

وعلى هذا فان برامج الفضائيات والانترنت تصل الى قطاع الطفولة العربية حيث ان هناك ما يقرب من مئة قناة فضائية ناطقة بالعربية وهي بين جامعة ومتخصصة، وحكومية وخاصة. وتشمل القنوات المتخصصة ما كانت للأطفال اضافة الى قنوات متخصصة بالاخبار، والرياضة والموسيقى والسينما، والتاريخ والخدمات. ومن هذه القنوات ماهو بث تماثلي، ومنها ماهو بث رقمي. ومن البث الرقمي ماهو مفتوح ومنه ماهو مشفر.

وعلى هذا يتدفق الاتصال في حركة المعلومات من الدول المتقدمة الى البلدان النامية بما فيها اقطار الوطن العربي، ومع ان بعض المصادر الغربية غير مكترثة بصياغة عقل الآخر، الا ان منها ما يستهدف ذلك عن قصد.

وعلى أية حال فان ضآلة الانتاج الثقافي العربي وضعف مستواه يشكل ظاهرة في حركة الاتصال الثقافي بالأطفال، غير ان هذا لا يقلل من شأن كثير من الاعمال العربية المقدمة للأطفال حيث ان هناك برامج تلفزيونية وصحفا وكتبا ومسرحيات عربية قد انتجت للأطفال وكانت بمستوى مرموق.

وشهدت حركة الكتابة للأطفال إنصراف عدد غير قليل من الكتاب للأطفال بحيث أمكن القول بوجود مستوى مرموق من الذخيرة الإعلامية والادبية للأطفال العرب.

٢- المسايرة دون المغايرة:

احتضن تراثنا القومي دعوة تقول :لا تعلموا ابناءكم على عاداتكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم، وتحمل هذه المقولة الدعوة الى "التجديد" غير ان حركة الاتصال الثقافي بالأطفال تنشغل بما هو تقليدي اكثر مما هو تحديثي. حيث يتطير بعض الكتاب من تقديم الافكار المجددة او التي تنتقد التقليدية، لذا يلاحظ ان كثيرا من الرسائل الاتصالية العربية هي مسايرة وليست مغايرة لثقافة المجتمع، مع ان الثقافة العربية ظلت تعاني من رواسب الماضي، لذا هي لم تستطع ان تكيف نفسها مع كثير من مواقف المستقبل، بل ان الدراسات التي عنيت بالمستقبل العربي توصلت الى ان هناك ازمة في وعي العرب بالمستقبل[1] خاصة وان من الواضح ان الثقافة العربية فى حاجة ماسة الى عمليات تعمل على تحريك الثقافة العربية وتخليصها من الرواسب وامدادها بعوامل الجدة. اذ لا يراد للأطفال ان يكونوا حملة ثقافة الآباء والاجداد بقدر ما يراد ان يكون في مقدورهم استيعاب ما يبعث في تلك الثقافة روحا جديدة.

٣- التسلطية:

تتضح في ثقافتنا العربية بعض مظاهر النزعة التسلطية التى تتمثل فى تأكيد السيطرة والقوة والخضوع لما هو سائد من الافكار والمفاهيم والتقاليد والاعراف وكثير من المعلومات ذات العلاقة بالتأويلات والتفسيرات المعنوية.

ويعني هذا شيوع أنماط التفكير التسلطي في الثقافة، وهذا المستوى يقوم على استيحاء الفرد تفكيره من اساليب الآخرين واخضاع تفكيره له.

يضاف الى هذا ان المحتمع ومؤسساته ووكالات التنشئة فيه كثيرا ما ندفع الى التسلطية، فالاسرة كثيرا ما تفرض على الطفولة ارادتها هي، وتسهم المدرسة في جانب من هذا، ولا تنجو وسائل الاتصال الثقافي من النزعة الابوية، بقدر او آخر، ويصل بها الامر الى تهديد الأطفال بما تنزله العناية الآلهية من عقاب، ومن هنا فان منظورات تقليدية تجد لها وجودا في الثقافة العربية إذ ان هناك من يذهب ان مجتمعنا العربى هو - قبل كل شيء - مجتمع أبوي - بطركي او نيو بطركى Neo Patricarchal Society يتألف من خليط من العلاقات والقيم والبنى الاجتماعية التقليدية، من ناحية،

والمستحدثة، من ناحية اخرى، وهو مجتمع ينقصه الاستقلال الذاتي والتوجه الذاتي ويعيش ازمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية[٢].

وعلى هذا فان التسليم بهذه الاطروحات حول المجتمع العربى يقود الى القول ان الطفولة العربية تحيا فى وسط ثقافي فيه قدر غير قليل من البطركية، وان وسائل الاتصال الثقافي تساهم في امداد الأطفال بالمعلومات التي تعزز منطلقات هذه الثقافة، وهي تشكل مصدرا يسهم في تكريس الطابع الابوي والعلاقات التقليدية مما يتنافي مع قيم التقدم. في وقت يقتضي فيه ان تقوم عمليات الاتصال الثقافي بالأطفال على الديمقراطية واحترام الآخر، ونبذ الصيغ التسلطية.

٤- اجواء العناد الاجتماعي:

لما كان من بين اهداف الاتصال الثقافي بالأطفال هو تكييف الأطفال لمتطلبات الحياة الحاضرة والمقبلة وانماء الذكاء الاجتماعي للطفولة، لذا فان من بين ما يستدعيه ذلك نبذ كل مستويات التصلب، والتعصب، والتطرف، ذلك ان من المعلومات التي يتناقلها الاتصال الثقافي ما هي منقوصة او احادية الجانب او متحيزة او هي افكار نمطية، ومثل هذه يمكن ان تقود، ان هي قدمت للأطفال عبر وسائل الاتصال، الى ميول متحيزة او متعصبة او تكوين انطباعات غير صحيحة عن الافراد، والمجتمعات والموضوعات، او تكوين نزعات لديهم قبل الآوان، ويمكن لهذا كله ان يؤلف جوا اوليا لتبلور اتجاهات احادية، وهو يفضي الى العناد الاجتماعى الذي يشكل جوا للتعصب.

وقد تبين من خلال كثير من عمليات تحليل المحتوى ان ادب الأطفال بأنواعه المختلفة كالقصص والمقطوعات الشعرية والمقالات الفنية ينطوي على افكار واتجاهات وقيم وميول وعواطف، مما يمكن القول معه ان أدب الأطفال كثيرا ما يتبنى توجهات فكرية وعاطفية وبقدر يجعل الكثير منه ملتزما بقضايا، منها ما هي ذات أفق واسع، ومنها ما هي ضيقة أوغير ودودة، او عدائية، إذ يتعذر ان نجد نتاجا ادبيا للأطفال الا ويحمل مغزى او منحى. ويمكن ان يقال الشيء نفسه عن الرسائل الاتصالية الاخرى

غير الادبية والموجهة الى الأطفال[٣] عبر الصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والانترنت.

وإذا كانت للمرونة دواعيها ومزاياها وضروراتها في ثقافة الأطفال فان للتعصب اخطاره الجسيمة في حاضر الطفولة ومستقبلها في هذا المجتمع او ذاك.

وإذا كان بالوسع وصف "المرونة" بانها طريقة في التعامل مع الافراد والجماعات والقضايا والمواقف، بحيث تبتعد تلك الطريقة في التفكير عن الجمود والتصلب والتشدد والمغالاة، وتقبل المراجعة والتغيير، فان التعصب يقف على النقيض من ذلك، لانه يتصف بالتحجر والنظرة الأحادية المغالية في أحكامها، والتي تحتكر لنفسها الصواب، وترى ما عداها باطلا، وكثيرا ما تقف إزاءها موقف الخصومة والعداء.

ولم يكشف اي تحليل لأدب الأطفال في اي مجتمع، انه يخلو تماما من التعصب الطائفي او العرقي او العقيدي، غير ان حدود التعصب ومستوياته تتباين فى الثقافات المختلفة.

والتعصب الذي تعاني منه البشرية اليوم، هو أحد أخطر المشكلات التى تهدد التماسك الاجتماعي، والتي تحدث فجوات عميقة في صميم التكامل الانساني، وإذا كان التاريخ قد قدم مؤشرات كثيرة كانت قد أفصحت عن سعة الويلات المفجعة، التي تحملتها البشرية عبر العصور الماضية بسبب التعصب بأنواعه المختلفة، فأن الحاضر لم ينج من آثاره المدمرة، كما ان مؤشرات علم المستقبل تتوقع ان يكون خطر هذه المشكلة اكبر، وان الانسان سيظل ضحية لها، إذ هي لا تستنزف قدراته العقلية وإبداعاته الفكرية فحسب، بل هي تهدد بمسخ إنسانيته، لذا لم يكن التعصب مقتصرا، في ضحاياه، على الارواح وحدها، بل هو يمتد الى اغتيال السلام الاجتماعي والعاطفي للانسان، خليفة الله على الارض.

ويشير أحد مؤرخي اليوتوبيا الى ان مزيدا من الدم قد سفك في القرن العشرين لحساب التفكير البيروقراطي والنقاء العنصري والتضامن العنصري، والطائفية الدينية

والانتقام.. وقد زاد عدد القتلى على يد الانسان خلال العقود السبعة الاولى من القرن العشرين على مئة مليون ويقدر عدد من قتلوا في صراعات عنيفة منذ عام ١٩٨٩ اكثر من اربعة ملايين، وعقب الابادة الجماعية على نطاق واسع في حادثة انفصال بنغلادش الى مقتل مليون إنسان(٤). كما ان ملايين العراقيون قد ابيدوا على ايدي المليشيات والارهابيين في حرب ضروس استمرت بضع سنوات بعد حرب عام ٢٠٠٣، وكانت اعمال القتل والتعذيب والاعتقال ترفع شعارات طائفية متعصبة.

ويبدو ان الصراعات الناجمة عن التعصب ستظل قائمة ما دام لهذه الظاهرة وجودها. لذا ليس امام عمليات الاتصال الثقافي بالأطفال الا العمل الجاد المستند الى معطيات الفكر العلمي من اجل ان تفهم الطفولة ذاتها وتفهم الآخر وتعي الاختلافات العرقية، واللغوية، والقومية، والدينية، وهي أمور واقعية لا تتطلب عداءً ونفرة وخصومة.

وعلى هذا فان التعصب كطريقة في التفكير، أوجد على مدى العصور اجواء توفر له الانتعاش في المجتمعات ولايزال البشر يختلقون المكونات الفكرية لاستمراره، دون ان يقدروا – بحكمة – عواقب ذلك، وما يلحقه من تحطيم للذات والآخر.

ولا يقتصر ظهور الاتجاهات في أدب الأطفال، بل هو يظهر في مجمل انواع الاتصال الثقافي بالأطفال، وذلك عندما تظهر في مضمون تلك الانواع ما ينطوي على عداء او نفرة من افراد او جماعات او قضايا او مواقف او افكار او مشاعر، وعندما يقوم ذلك العداء على أهواء او اتجاهات او معتقدات او صور نمطية معينة.

وقد وجد في دراسات ميدانية نفسية واجتماعية كثيرة ان التعصب، في الأغلب، لا يقوم على أسس صحيحة، فقد اتضح ان الجماعات المتعصبة كثيرا ما تكون معلوماتها عن الآخر غير صحيحة او مشوهة، او ان الآخر لم يستطع التعبير عن نفسه بشكل يقبله المتعصب، او ان عمليات الاتصال الثقافي قد اخطأت في وظيفتها وهذا يعني ان التعصب إزاء الآخر يغلب ان يكون ناجما عن سوء فهم او خطأ في المعلومات.

وتظل هناك خشية من تسلل الاتجاهات التعصبية عند عرض المادة الثقافية ذات الارتباط بقضايا الوطن والهوية او العرق مثلا، حيث ان التحيزات عموما، كثيرا ما تكون ناجمة عن تأثير التجارب السابقة او بعض العوامل الانفعالية الذاتية او معلومات غير موضوعية مما ينجم عن ذلك اخطاء في الحكم او محاباة اتجاه دون آخر.. وعلى هذا، وفي الاحوال كلها، فان الجماعات المتعصبة تفتقر بقدر او آخر الى المعلومات التي تجعل موقفها واتجاهاتها غير متفقة مع الواقع الفعلي او ان عملية الربط بين المعلومات لا تتخذ لها منهجا موضوعيا.

ومن جانب آخر يقال عن التعصب الوطني او العرقي انه من العوائق ذات التأثير في الاتصال بين الثقافات، اذ من غير الممكن للاتصال "البين – ثقافي" ان يتحقق في ظل نظرة فوقية لثقافة ما تجاه ثقافة اخرى، فالحكم بمقاييس الثقافة على ثقافة اخرى غالبا ما يؤدي الى إساءة فهم سلوكيات الآخرين[٥].

وتظل هناك ضرورة للاشارة الى موضوع "الهوية الثقافية للأطفال" وهي موضع تناول وطني ودولي بحدود لافتة للنظر، في وقت تتزايد فيه الدعوة الى العولمة وقد اتخذ تناول موضوع الهوية صيغا شتى، ابتداءً من الشعارات والصيحات المنفعلة الى التطير في التعامل مع معطيات العصر، الى المقاومة والتعصب، الى التعامل العلمى المرن.. وقضية الهوية الثقافية من القضايا الحساسة، الا ان بالوسع الحكم ان المجتمع الديناميكي هو الذي "يظل يبحث عن هوية"، لان المجتمع الذي يتعلق بعناصر بذاتها تعلقا أعمى، ولا يبدي الاستعداد لأجراء تغييرات ثقافية تتوافق مع طبيعة الحياة والمستقبل لا يتهيأ له تحقيق خطوات في طريق التقدم او التحديث او التغير الاجتماعي، وعلى هذا يترتب النظر الى الهوية الثقافية للأطفال على انها ليست ثابتة، بل هي مرنة تقبل التطور.

وعلى هذا اذ كان الاجدر بالانسان ان يعيد النظر فى علاقته بالآخر، وجملة الآخرين، فان عليه ايضا ان يعيد النظر في مضمون واسلوب توجهه الى الأطفال.

٥- مسألة إنماء التفكير:

كانت المدرسة قد وصفت بانها كثيرا ما تحشر المعلومات في أذهان الأطفال، وعدت هذه الظاهرة إحدى اوجه القصور في هذه الوكالة، إذ أريد لها ولسائر وكالات التنشئة والتثقيف ان تعمل على تنمية تفكير الأطفال، لهذا تتزايد الدعوة الى نبذ التلقينية Formal Teaching التي تعتمد على حفظ المعلومات وتذكرها مما يشكل كبتا للتفكير.

واذا كانت كل معلومة هى مادة خام فان الربط بين المعلومات هو عملية تفكير لذا يقال انه لا قيمة للمعلومة في معزل عن المعلومات الاخرى الا اذا قادت بالضرورة الى بناء فكري.

والتفكير انعكاس رمزي للعلاقات بين المعلومات، وهو عملية مستمرة لدى الانسان سواء أكان طفلا او راشدا، ولكن التفكير يختلف في مبعثه وهدفه ونوعه وتترابط العمليات المعرفية الاخرى مع التفكير كالإدراك، والتصور، والتذكر، والتخيل. وكثيرا ما تنتهي هذه العمليات الى تفكير، لذا فهي تشكل خلفية للتفكير وليس من الممكن القيام بالتفكير دون بعض او جميع هذه العمليات.

وعند الحديث عن تفكير الأطفال يقال "انه يراد للأطفال ان يفكروا تفكيرا سليما"، وهذا يقود الى التنويه بان هناك اساليب في التفكير تفتقر الى السلامة. من هذه الاساليب التفكير الخرافي التي تعزى من خلاله الظواهر والمشكلات الى تكوينات شائعة لم يتم التحقق من صحتها.

والتفكير باعتباره نشاطا سلوكيا ذهنيا لمواجهة المواقف والمشكلات يصاحب عمليات الاتصال الثقافي، عادة، ويمكن القول ان فهم اي معنى من المعاني او اكتساب اي خبرة يستلزم تفكيرا.

وقد صاحب التفكير الحياة الانسانية منذ نشأتها الاولى، وكان القوة العظمى التي أثرت في تلك الحياة ودفعت بها الى التغير المتواصل، حيث استطاع الانسان بفضلها مواجهة كثير من مسائل الحياة واستثمار قواه، وتطويع كثير من قوى الطبيعة..

وهنا لا تعنينا بعض جوانب التفكير التي آلت بالانسان الى العبث والتخريب والتي أدت الى ما هو أدهى وأمر.

وما دمنا نريد للأطفال ان يحلوا المسائل المتعلقة بحياتهم والمشكلات التي تواجههم، ويفسروا الظواهر تفسيرا صحيحا - قدر الامكان - فان هذا يعني اننا نريد لهم ان يفكروا بطريقة صحيحة، وبالاضافة الى ذلك نريد لتفكير الأطفال ان يكون غير خرافي وغير وهمي، بل ان يمضى في خطوات معتمدة على بعضها، وان يكون هادفا، ودقيقا، ومرنا، وبعيدا عن الجمود، وغير قائم على التعصب، وان يكون واقعيا وهذه السمات هي خصائص التفكير الصحيح.

وتعد وسائل الاتصال الثقافي بالأطفال مثيرات أساسية لتفكيرهم، ومع اهمية المعلومات في إثراء التفكير الا انها لا تقود الى تحقيق هذه الوظيفة ان هى قدمت على شاكلتها دون عمليات ربط، فضلا عن ان المعلومات عرضة للتغيير، كما ان من المعلومات ما ليس له علاقة بحياة الأطفال ومستويات تفكيرهم[٦].

٦- النزعة اللفظية:

كثيرا ما يميل بعض المشتغلين بالمعرفة الى التنقيب عن تطابق دلالة الاقوال على دلالة الافعال، ويميلون الى تحليل السلوك بأنواعه المختلفة، من السلوك الفكري الى السلوك اللغوي والى السلوك العملي لمقاصد ذات ارتباط بهذه الانماط السلوكية.

وفي الثقافة العربية هناك قدر واضح من تسلط الكلمات على التفكير بوازبه خلو اللغة من الافكار في بعض مجالات التعبير مما يعني وجودا للنزعة اللفظية Verbalism ، فهنالك الكثيرون ممن يرددون الفاظاً رنانة مجرد ترديد، ويحدون في الاجابات الجاهزة ردودا شافية عن الكثير من المواقف والمشكلات التي يتطلب الامر فى واقع الحال إعمال العقل، وصار الحديث لدى البعض عن المسائل "الصعبية" امراً سهلا.

واللفظية داء فكري يتمثل في اسلوب لغوي، وهذه الظاهرة يمكن لها الانتقال الى الأطفال فيرددون جملا وتعابير دون ان تتحول الى افعال سلوكية، بل تبدو كتابات واصواتاً.

وتجد النزعة اللفظية وجودا لها في تغاضي الراشدين، بوجه خاص، عن المتناقضات ترجيحا لمعتقداتهم الشخصية او مصالحهم الذاتية، كما لن يكون لها وجود فى تبرير انماط سلوكية او مواقف اعتمادا على الالفاظ العاطفية لذا فان هناك مستوى من مستويات النزعة اللفظية هو منطق العواطف Logic of the Sentiments .

وترجع النزعة اللفظية لدى الأطفال الى اسباب منها: لجوء وسائل الاتصال الثقافي الى اساليب التحفيظ اللفظي واعتمادها على النصائح والارشادات المباشرة واستخدام اساليب تقريرية بدل الاساليب الفنية في الاتصال، كما ان بعض الأطفال يميلون الى تقليد الكبار تقليدا اعمى فيندفعون الى ترديد ما يفرض عليهم ترديدا لفظيا أجوف.

ومن أخطار هذه الظاهرة ان الافكار التي يرددها الأطفال لا يتهيأ لها ان تؤدي دورها في تكوين شخصياتهم وتحديد سلوكهم، لانهم رغم ترديدهم الفاظا او حفظهم قوالب حامدة الا انها لا تقودهم الى التفكير الواعي، إذ يكتفون بالاجابات اللفظية ويقتنعون بالاجابات الجاهزة، لذا يقال ان هذه الظاهرة تقود الى التعليم الاعمى الذي لا ينطوي على فهم المغزى.

وتؤدي النزعة اللفظية بالأطفال الى عدم التكيف مع الثقافة تكيفا صحيحا، والى عدم إدراك ادوارهم الاجتماعية وبالتالي عدم ادائها بشكل صحيح، لهذا يقال عن هذه النزعة انها تقود الى مشكلات عديدة حين تنتشر بين جيل من الاجيال.

٧- مشكلات تتعلق بالتجسيد الفني للمضمون الثقافي:

يتطلب الاتصال الثقافى تعاملا مع المعلومات والافكار بما يؤول الى تكوينات وابنية لغوية (رسائل اتصالية) تتميز بالجمال، والقوة، والوضوح سواء أكان ذلك على صعيد الأدب أم على الصعيد الإعلامي.

ومع ان الانسان مارس عمليات التجسيد الفني في افصاحه عن نفسه وفي تعبيره عن الحالات والمواقف منذ القدم مستعينا بالكلمات والاصوات والاشارات والالوان والحركات الا ان ظهور وسائل الاتصال الحديثة المتمثلة بالصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والحاسوب أتاحت انتاج الكلمات والصور والرسوم والاصوات وغيرها من العناصر، بالجملة، وارسالها الى جمهور واسع في وقت واحد او في أوقات متقاربة.

والأطفال يستقبلون الرسائل الاتصالية وهم يعرفون انهم لا يواجهون الحياة نفسها، بل يواجهون ما يمثلها في قوالب فنية، ولو كانت هذه الرسائل تنقل وقائع وحالات بنفس مواصفاتها لكان الأطفال اكثر إحساسا بالملل من غيرهم، واكثر نفورا منها، لكن الأطفال والراشدين معا يرتضون ان تضاف عناصر جديدة في عملية الاتصال لتجعل منها عملية ممتعة ولذيذة.

ولهذا فان الاتصال الثقافي بالأطفال، شأنه شأن أنماط الاتصال الاخرى يعمد الى الاستعانة باللغة اللفظية واللغة غير اللفظية ليشكل للمعنى ابعادا في عملية التجسيد الفني، وعلى هذا فان التجسيد لفني هو تحويل المعاني والحالات الى صور وهيئات بحيث تبدو جميلة، مثيرة، وواضحة.

ويشير تاريخ الفن الى ان الانسان حاكى الطبيعة وحاول تصور موجوداتها وظواهرها منذ عصور طويلة، وتجاوز هذا بعد ذلك في عصور لاحقة، منطلقا من مجال المحاكاة الى الابداع الفني.

وحين ظهرت وسائل الاتصال الحديثة أوجدت للانسان أدوات جديدة لاستخدام الفن في التأثير، حيث هيأ العصر أساليب عديدة للاستفادة من عدد من العناصر لتجسيد الافكار.

ويمكن ان يتحقق جانب من عملية التجسيد الفني عن طريق الاستعانة باللغة اللفظية وحدها، لذا تعد الاعمال الادبية تجسيدا فنيا للمضامين من خلال اللغة، فالقصة والشعر والمقالة وغيرها من الاصناف الادبية تحمل مضامين مجسدة فنيا، ولهذا كان تأثيرها في الناس كبيرا.

ولكن الاستعانة باللغة اللفظية غير كاف لاعطاء المضمون صفة الجاذبية والوضوح والقوة، ويرجع ذلك الى عوامل عديدة منها ما يتعلق باللغة نفسها، ومنها ما يتعلق بطبيعة الانسان. إذ إن للغة اللفظية قدرات خاصة تعجز عن تخطيها، لذا هي في حاجة الى ما يساندها من الاصوات والالوان والحركات والرسوم التي تؤلف – هي الاخرى لغة غير كلامية، حيث ساعدت، هذه الاخيرة على التصور بشكل اكثر دقة ووضوحا، وتعد هذه اللغة المسماة اللغة غير اللفظية اكثر ليونة – في حالات كثيرة – من اللغة اللفظية لانها لا تخضع لبعض ما تخضع له اللغة اللفظية من قيود، وبذا تتيح مجالا واسعا للتفكير، وعلى هذا إذا كانت اللغة اللفظية وعاء للفكر فان اللغة غير اللفظية وعاء آخر له، حيث أتيح للانسان بفضلها ان يفكر من خلال الاشكال والاصوات والالوان والحركات.

وإذا كان التجسيد الفني عملية لازمة في التوجه الاتصالي عموما سواء كان الى الراشدين ام الى الأطفال، فان لزومه للأطفال اشد، لان حواس الأطفال شديدة الاستجابة لعناصر التجسيد الفنى، ولهذا عملت وسائل الاتصال الثقافي بالأطفال على تقديم المضمون اليهم بأطباق من الذهب فازدانت مطبوعاتهم وافلامهم وبرامجهم بهذه العناصر.

ولا تشكل عناصر التجسيد الفني معينات للايضاح وإبراز المعاني حسب، بل هي تشكل حوافز لإثارة انتباه الطفل، وإثارة اهتمامه، وخلق الاستمرار لديه في استقبال المضمون الثقافي من خلال ما تضفيه من عناصر التشويق والجاذبية.

ويعتبر جذب انتباه الطفل مسألة اساسية في عملية الاتصال الثقافي لانه يهيء ذهنه لاستقبال الرسالة الاتصالية ويركز طاقته العقلية، ويضع مضمون الرسالة في مركز شعوره، مع إبعاده عن المؤثرات الخارجية.

وتخرج عملية التجسيد الاتصال الثقافي عن طريقة التلقين التي تعد غير مناسبة للأطفال، والتي عاني منها الصغار على مدى أجيال طويلة، حيث كان يراد

للمعلومات ان تصب في العقول الصغيرة رغم إنها غير مهيأة لان تكون آنية تحتمل كل ما يسكب فيها.

ويتيح التجسيد الفني للطفل ان يتوحد مع المواقف التي يحملها المضمون الثقافى دون ان يحس بأنه يتلقى مواعظ وتوجيهات وإرشادات ثقيلة او معلومات جافة.

والتجسيد الفني يهيء للأطفال ان يروا او يسمعوا المعنويات دون الاستعانة بالعيون او الآذان، حيث تبدو لهم كأنها محسوسة، كما تتضح لهم المحسوسات بشكل أوضح.

وتملي هذه المؤشرات ضوابط وشروطا على عمليات الاتصال الثقافى بالأطفال، وتظهرها بأنها عملية غاية في التعقيد، ويترتب ان تتضافر الجهود مستعينة بمعطيات علم الاتصال لتشكيل تيارات من الانشطة الاتصالية بالطفولة.

هوامش الفصل الثالث:

(١) انظر: د. هادي نعمان الهيتي: إشكالية المستقبل في الوعي العربي، بيروت، مركز دراسات المستقبل العربي، ٢٠٠٣.

(٢) د. هشام شرابي: الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطراكي، من بحوث الندوة الرابعة للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٥.

(٣) د. هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال بين المرونة والتعصب،المجلس العربي للطفولة والتنمية، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ١ ربيع ٢٠٠١، ص ٥.

(٤) راسل جالو كوبي: نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللا مبالاة، ترجمة فاروق عبدالقادر، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠١، ص ١٩٨ -١٩٩.

(٥) د. عبدالله الطويرقي: الاتصال المعاصر، دراسة في الانماط والمفاهيم، عالم الوسيلة الإعلامية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧، ص ٣٠٠.

(٦) د. هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨، ص ٩١ – ٩٧.

الفصل الرابع

الأطفال من الثقافة إلى الهوية الثقافية

الأطفال من الثقافة الى الهوية الثقافية:

مع ظهور "العولمة" دخل متغير جديد في مصفوفة العلاقة بين الثقافة والأطفال، رغم ان العولمة مظهر جديد لكيان قائم. ولهذا الكيان تأثيراته الثقافية فضلا عن تأثيراته الاجتماعية والنفسية بما في ذلك التأثيرات المتبادلة فى الثقافة والهوية الثقافية.

وترتبط الثقافة والهوية الثقافية بإعلام الطفولة حيث ان للإعلام وظيفة ثقافية الى جانب الوظيفة الاخبارية والوظيفة الترفيهية، اذ يجسد إعلام الطفولة المضمون الثقافي وينقله عبر قنواته المختلفة الى الأطفال من خلال نشره جوا ثقافيا من حولهم.

والثقافة هي إشارة الى نمط حياة المجتمع والعلاقات الشخصية بين أفراده وتوجهاتهم ، لذا فهي كيان من المكونات الذهنية والعاطفية الى جانب مكونات سلوكية مستندة الى المعنويات والمبادىء العامة. وهذه المكونات تجد لها وجودا في كل محتمع، ويشارك الافراد فيها مجتمعهم.

ويمتص الأطفال الثقافة من المجتمع، شيئا فشيئا، حيث ان للمجتمع وكالاته التي يبث من خلالها الثقافة، وتعد مصادر الاتصال من بين تلك الوكالات.

وتتباين الثقافات تبعا للمجتمعات، لذا قد تتقارب بعض الثقافات من بعضها البعض غير ان من غير الممكن ان تجد ثقافتين متماثلتين، لان الثقافة تبرز بذاتها حقيقة تفردها. ومع هذا يمكن تقسيم الثقافات تبعا لصفة او سمة فيها، كالقول ان هناك ثقافات مرنة، واخرى لها قوة مقاومة، وثالثة تتفرد بالخشونة، ورابعة يخالطها – بشكل واضح – الفن او الادب، وهكذا.

ومع ان الثقافة تتألف من القيم والافكار وطرائق التعبير والايديولوجيات واللغة والاحكام العامة إلا إنها، من جانب آخر، تحتضن ثقافات فرعية منها ثقافة الأطفال مادامت لهم من المعنويات وانماط السلوك ما هو سائد بينهم، حيث ان للأطفال قيمهم وافكارهم وطرائق تعبيرهم ولغتهم وميولهم ومعاييرهم والعابهم، ولهم ايضا اساليب حركية او رمزية او اتصالية او عقلية او عاطفية.

والطفل يولد مرتين، إحداهما: ولادة بيولوجية، والثانية ولادة ثقافية، حيث تبدأ الولادة الثقافية بالتكون مع بدء إمتصاص الطفل من المجتمع للغة والافكار والعادات وأنماط السلوك الاخرى، مما يشكل ثقافة الأطفال التي تمثل هذا الكيان من العناصر التي يشترك فيها الطفل مع مجمل الأطفال الآخرين في المجموعة او الجماعة او المجتمع.

ويمكن القول، إفصاحا عن الثقافة، ان للثقافة بعدين اساسيين، اولهما بُعد عام يتمثل في مفردات المعنويات والسلوك، وهذه المفردات لها وجودها في كل الثقافات، اما الثاني فيتمثل في ما هو سائد في الجوانب الفكرية والسلوكية في هذه الثقافة دون تلك، كما يتمثل في كيفية إنتظام تلك المفردات في مواقعها على سلم الثقافة، وهذه الخصوصية الاخيرة تؤول في النهاية الى بروز جوانب متفردة في الثقافة هي (الهوية الثقافية)، "والهوية Identity مع إن لها معنى واسعا الا انها تتضمن الاحساس الذاتي بالوجود المستمر"(١). كما انها تتضمن إحساسا بالانتماء وإحساسا بالعضوية وإدراكا بالارتباط بوجود ثقافي يبدو في أنماط السلوك بحيث يمكن ملاحظته وقياسه من خلال المواقف والاتجاهات وردود الافعال وحدود المشاركة، والتعاون، والتنافس، والصراع وغيرها من صنوف السلوك إعتمادا على أُسس عامة لها قدر عال من الشيوع في المجموعة او الجماعة او المجتمع.

وكل من الثقافات العامة والثقافات الفرعية تدخل في عمليات ثقافية متعددة من ابرزها: الاتصال الثقافي، والتثقف، والتنشئة، وهذه العمليات تؤول الى إحداث تغييرات في المستقبلين وفي هذه الثقافات بما فيها ما يحصل في الهويات الثقافية.

ومثلما يكتسب الأطفال الثقافة من المجتمع من خلال مجمل العمليات الثقافية، فهم يكتسبون الهوية الثقافية باعتبار الهوية مفهوما إجتماعيا نفسيا يشير الى كيفية إدراك مجتمع أو حماية لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تستند الى مواقف ثقافية مرتبطة تاريخيا بقيمة إجتماعية وسياسية وإقتصادية لجماعة او مجتمع(٢).

وتنطوي الهوية الثقافية على صفة إجتماعية، وبذا تختلف عن الهوية الفردية.. ويمكن ان نجد، الى جانب الهوية الثقافية، هويات أخرى لها الصفة الاجتماعية، أيضا،

منها (الهوية العرقية) التي تتضح فيها مواقف ومشاعر وتحيزات نتيجة الاحساس بالعرق.

الهوية الثقافية للأطفال:

مثلما تنطوي الثقافة العامة على "هوية" فان ثقافة الأطفال تنطوي، هي الاخرى على "هوية" تتمثل فيما تتفرد به هذه الثقافة عن سائر ثقافات الأطفال فى المجتمعات المختلفة، ويشمل الامر تفردها، ايضا، عن الثقافات الاخرى والثقافات العامة في المجتمع الواحد. ومن هنا أمكن الجزم بوجود هوية ثقافية للأطفال العرب، وذلك عند تبين تميز هذه الثقافة بعدد من المفردات المعنوية والسلوكية وتفردها بانتظام تلك العناصر على سلم، الى حد ما، لان الخصوصية الثقافية هي هوية اي شخصية تتفرد فى جوانب ثقافية.

ومن المعلوم، على الصعيد المنهجي، ان الوقوف علميا على عناصر التفرد فى كل ثقافة، عامة ام فرعية، وبالتالي تشخيص مكونات الهوية، هو عملية معقدة. الا ان بالوسع تحديد جوانب اساسية في كل ثقافة من خلال الاستعانة بطرائق من بينها الملاحظة المنظمة، وعمليات تحليل المضمون، والمقارنة بين النظائر.

وهناك إشارات كثيرة الى ان مسألة الهوية باتت ذات أهمية، وخاصة في إطار العولمة وتفاقم التأثيرات الخارجية[٣]. وبصرف النظر عن المواقف ازاء "العولمة" كظاهرة ونظام هناك مبررات كثيرة تفرض العمل على تبين العلاقة بين قضية وطنية وقومية هي "الهوية الثقافية" وبين قضية عالمية هي "العولمة" هذه المتغيرات التي تعد "العولمة" اليوم، ابرز مظاهرها. وأقل ما يمكن ان يقال عن العولمة إنها تريد مواءمة وتكييف الكيانات والثقافات الوطنية.

وقد تنبهت النخب الفكرية وبعض القيادات الى اوجه التناقض بين المصالح الوطنية والعولمة، إذ ان هذه النخب وجدت نفسها مطالبة بتقديم قوة تتأسس على منظور فكري وطني إستراتيجي، وليس على أي ملابسات سياسية او توجهات قصيرة المدى، بحيث ان قوة الدفع الفكري الوطني هذه تكون هاديا استراتيجيا للرأي العام وللقوى السياسية

في تلمس الطريق برشد عند اختيار السياسات وعند التطبيق، إذ انه في غيبة قوة الدفع المذكورة فان ردود الفعل الوطنية لتوجهات عولمية تأتي في إطار إجتهادات عاجلة أكثر مما ترتكز على فكر متكامل او بصيرة إستراتيجية محددة المعالم(٤).

وكان موضوع "الهوية الثقافية" موضع تناول وطني ودولي بحدود لافتة للنظر. وقد إتخذ ذلك التناول صيغا شتى، إبتداء من الشعارات والصيحات المنفعلة الى التنبير في التعامل مع معطيات العصر، الى المقاومة والتعصب، الى التناول العلمي المرن، فضلا عن الدعوات القانونية الوطنبة والدولية حول الاقرار ببعض الصيغ والاشكال القانونية.

وكان بيان المكسيك الصادر عام ١٩٨٢ حول السياسات الثقافية قد أكد (ان كل ثقافة هى مفهوم كلي واحد، ولا يجوز ان تستبدل بفرض مجموعة من القيم، وذلك لان كل شعب يؤكد وجوده فى العالم عن طريق تقاليده وطرق تعبيره... ولابد لكل شعب ان يسعى للدفاع عن سيادته وإستقلاله والحفاظ على تراثه الثقافى وتقديره حق قدره، وبهذا يستطيع تأكيد هويته الثقافية وتدعيمها) وقد نبه البيان الى ضرورة الاستعانة بوسائل الاتصال المختلفة لتأكيد الهوية الثقافية والحفاظ على السيادة(٥).

ونصت الفقرة (ج) من المدة (٢٩) من إتفاقية حقوق الطفل التي دخلت حيز التنفيذ في الثاني من أيلول (سبتمبر) ١٩٩٠ على (تنمية إحترام ذوي الطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة، والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل، والحضارات المختلفة عن حضارته).

ونصت الفقرة (د) من المادة نفسها على (إعداد الطفل لحياة يستشعر المسؤولية فى مجتمع حر بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين؛ والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الأثنية والوطنية والدينية والاشخاص الذين ينتمون الى السكان الاصليين).

ونصت المادة (٣٠) انه (في الدول التي توجد فيها أقليات إثنية او دينية او لغوية او اشخاص من السكان الاصليين، لا يجوز حرمان الطفل المنتمي لتلك الاقليات

او لاولئك السكان من الحق في ان يتمتع مع بقية افراد المجموعة، بثقافته، او الاجهار بدينه وممارسة شعائره او استعمال لغته)[٦].

الهوية الثقافية والتغيير:

تحمل الادبيات المختلفة، الايديولوجية منها والعلمية معا، تقديرا للهوية الثقافية غير انها تقر ان الهويات تتكون بوعي وبغير وعي، وتلعب في ذلك التكوين عوامل تاريخية وسياسية وإقتصادية واجتماعية ودينية.

وقضية الهوية الثقافية من القضايا الحساسة، إذ هي تحمل أكثر من دلالة لدى الافراد ولدى الثقافات والجماعات، الا ان بالوسع الحكم أن المجتمع الديناميكي هو الذي "بظل يبحث عن هوية" لان المجتمع الذي يتعلق بعناصر بذاتها تعلقا أعمى، ولا يبدي الإستعداد لإجراء تغييرات ثقافية توافقا مع طبيعة الحياة والمستقبل لا يتهيأ له تحقيق خطوات في طريق التقدم او التحديث او التغيير الاجتماعي.

وهنا، إذا كانت الهوية خصوصية في الثقافة منقولة عن الماضي ومصبوغة بقدر ما بالحاضر فان "البحث عن الهوية" يحمل في اطوائه عملية صنع للمستقبل. وكل خطوة مستقبلية مخطط لها تقتضي توفير أسس أو تحقيق عمليات في الثقافة.

ويعزز مذهب الطواعية في الثقافة والهوية هو ان الهوية بذاتها ليست معطى نهائيا مكتمل الصورة، ولا هو مفهوم محدد تماما... بل إن الهوية تنطوي على عناصر متفاعلة، وأحيانا، متناقضة. وهي كثيرة التشابك والتعقيد، ومع هذا فيه وجه يمكن التعرف عليه من قسماته الاولى[٧].

وعلى هذا يترتب النظر الى "الهوية الثقافية" على إنها ليست ثابتة بل هي مرنة تقبل التطور، وإن الهويات الثقافية في عدد من تجارب العالم كانت في تطورها منطلقات لتغييرات إجتماعية واسعة، حيث أمكن لها التكيف مع المستجدات بفضل طواعيتها على التجدد.

أما الهويات التي تنغلق على نفسها فهي تتوهم انها وحدها تمتلك المزايا، وتوهم نفسها انها تمتلك تبريرات لما يبدو فيها للآخرين سالبا.

وهناك خشية من أن تغلب في هوية ثقافية عناصر تقوم على التركيز العرقي، حيث أن التصفيات التي كانت تقوم على الأعراق والتفريق بين البشر على أساسها لم يعد لها سند علمي، وثبت ان الفروق بين البشر تعود الى فروق ثقافية، بالاساس[٨]، وكانت الحركات التعصبية قد إتخذت من المفاضلات العرقية أساسا في نظرتها الى ذاتها والى الآخرين، وكان لهذه النظرات ضحاياها، وما تزال تشكل أخطارا تهدد الامن الاجتماعي للبشر. و (يشار الى صراعات بين الهويات تنعكس في توترات عرقية)[٩]، كما يشار الى التجربة السوفيتية في مسألة الانتماء القومي (حيث أوضحت ان من الولاءات والانتماءات المتباينة بين المجموعات كانت أقوى من الاشتراكية العلمية)[١٠].

وهناك خشية أن تفهم "الهوية الثقافية للأطفال" بانها ذات قداسة، خاصة وإن موقع "الهوية الثقافية" زمنيا يغلب ان يكون مرتبطا بالماضي أكثر من إرتباطه بالحاضر، لأنها في المحصلة، كثيرا ما تكون وريثة الامس لكن هذا لا ينفى عنها دورها المستقبلي وتأثيرها في التطلعات سلبا أم ايجابا.

وكثيرا ما تختلط عمليات الاتصال الثقافي للأطفال بميل الكبار الى المبالغة في إبراز عناصر الهوية الثقافية، والى المغالاة في تمجيد الذات، وتصوير الماضي، وكأنه سلسلة من المفاخر والانتصارات مما يسبب للأطفال صدمات قوية بعد ان يكبروا ويدركوا ما يخالف ذلك، وخاصة بعد ان يخطىء الكبار في تصوير الهوية الثقافية وكأنها نموذج مثالي متكامل.

وعلى صعيد آخر فان من الملاحظ أن الاطراف المغالية في محافظتها كثيرا ما تتذرع باسم "الهوية الثقافية" للوقوف بوجه التحديث والعصرنة ومجمل عمليات التقدم الانساني. وهي كثيرا ما تجد في الهوية الثقافية ما يفرض تضييقا للتطلعات الواقعية وتبريرا لمقاومة التغيير.

ويمكن أن نجد بين المدافعين عن الهوية الثقافية تيارين رئيسيين يرى اولهما: ان الهوية الثقافية تقتضي التمسك بمجمل العناصر الثقافية التي تشكل خصوصيات ثقافية مع مقاومة كل ما لا يتطابق معها، وبالتالي مواجهة كل محاولات التغيير فيها فى نفس الوقت الذي يقتضى فيه الامر مواجهة ثقافة الآخر. وقد يقتضي الأمر العزوف

عن التفاعل الاتصالي أو الاكتفاء بصيغ شكلية منه. ويرى ثانيهما: أن الخصوصية الثقافية حقيقة قائمة لكل ثقافة، وإنها من الطواعية بحيث تقبل التطوير دون ضغوط، اي هي تقبل الاتصال الثقافي القائم على التفاعل والتبادل الاتصالي شريطة ان لا يحمل الفبول بالتغيير تسليما بالأمر الواقع.

ولابد من الإشارة الى أنه باسم التيار الاول كانت قد ظهرت مواقف متعصبة، ووضعت تبريرات لحجب الحق عن المجتمعات في الاتصال وفي التغيير الثقافى. ويشهد التاريخ الانساني ان مجمل عمليات مقاومة التقدم قد توسلت، بدرجات متباينة، بشعارات منها ما يدخل تحت طائلة التيار الاول، وخاصة في حالات المغالاة.

وتنطوي عملية اكساب الأطفال الهوية، في العادة، التأكيد على (النحن) لذا فان خيطا رفيعا ينبغي الالتفات اليه وهو ان التأكيد على (النحن) يقتضي التأكيد على قبول الآخر، اذ اريد للتأكيد على (النحن) ان لا يحمل استعلاء على الآخر.

وعلى اساس ذلك، هناك من ذهب الى القول : ان تأكيد الهوية الثقافية قد ينطوي على خطر التورط في الاعتداد المبالغ فيه بالتقاليد والنزعات الى حد بوقع الجماعة فيما يسمى "بالروح القومية المتعصبة المستعلية" وبهذا تنتهي هذه الجماعة الى الاعتقاد باكتفائها الذاتى. والامر الذي يقود بها الى التراجع والإنطواء ورفض التبادل مع الآخرين. ولهذا فان من أهم الامور في هذا لمجال الالحاح على دور الهوية الثقافية في تزويد الشعوب بالثقة والدفع اللازمين.. لكي تكون اساسا للاحترام المتبادل بين المجتمعات المختلفة، فقد ثبت بشواهد عديدة ان التمسك المنفتح بالثقافة القومية هو خير وسيلة للوصول الى إحترام الثقافات الاخرى، وهذا شرط لكي يثري كل شعب ثقافته بما يتلقاه من روافد تلك الثقافات[١١].

ثقافة العولمة:

مع إنتهاء التسعينيات من القرن العشرين كانت نهاية للحرب الباردة التي كانت بمثابة نهاية لحرب عالمية ثالثة وجدت فيها الكتلة الاشتراكية إنها قد رفعت الراية البيضاء قبل بدء القتال، وبذا ظهر نظام دولي جديد لم يلبث ان تبلور الى ما يطلق عليه اليوم: العولمة.

والمشكلة ان اغلب الكتابات عن العولمة تنشغل بعموميات دون ان تنفذ الى العمق الحقيقي لما تريد العولمة عولمته من الموضوعات. ومع هذا تصور بعض الخطابات العولمة على إنها تنطوي على مواقف كثيرة من بينها إنها تحرر من الولاء لثقافة ضيقة الى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والامم جميعا، وتحرر من التعصب لايديولوجيا معينة الى الانفتاح على مختلف الافكار من دون تشنج، وتحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة او دين او ايديولوجيا بعينها الى عقلانية العلم وحياد الثقافة[١٢].

ومع هذا فهناك من يشير الى انه ليست هناك أدلة على ان اتجاه العولمة، بالضرورة، يهدف الى محو الهويات الثقافية المتعددة، اذ إن العولمة ليست بحاجة بالضرورة، الى فرض نظام ثقافي موحد على كل انحاء العالم، كما ان من المستحيل تحقيق ما يشكل محوا للتعدد الثقافي[١٣]. ورغم إختلاف مفاهيم النظر الى العولمة الا إنها تعني، ضمن ما تعنيه، غياب البعد الوطني او القومي كفاعل مؤثر، كما ان سياسة المصالح الوطنية تفترض وجود الهوية[١٤].

والتمعن في الادبيات الخاصة بالعولمة يفصح انها، اليوم، في مراحل عولمة الراسمال حيث تتسع الخطوات الرأسمالية الى استغلال منجزات التقدم العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات لمصلحتها وتحقيق ارباح اكبر، وذلك عن طريق تمكين التكتلات الرأسمالية الكبيرة من إحكام السيطرة على العالم وتكتيل القوى من اجل تلك الاهداف المركزية بما فى ذلك صناعات الثقافة والإعلام والتأثير في مجمل الاتجاهات الفكرية في العالم والحيلولة دون إستمرار الاتجاهات والمضامين المغايرة، ومن هنان تتضح الابعاد الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية للعولمة الراسمالية.

وعلى هذا يمكن النظر الى ثقافة العولمة بانها تنطوي في اهدافها على اقصاء الخصوصيات وتكييف العمل العقلي في موضوعات بعينها وتنميط العاطفة والذوق في مجالات محددة وإنماء الاستهلاك في حدود سلع وخدمات ثقافية معينة، مع إحداث تعييرات قيمية تتوافق مع التحولات الاقتصادية.

ومن هنا تبدو للعولمة تجلياتها الثقافية والاتصالية، ويظهر في كيانها العام وكأن لها ثقافتها التي تنطوي على منتجات ومعنويات ترسم اساليب للحياة في ظل الاوضاع الاقتصادية الجديدة.

ومن هنا لايمكن النظر الى ثقافة العولمة الا باعتبارها مواجهة للهويات الثقافية للجماعات والمجتمعات ما دامت تحمل ما يمهد لتجاوز مجمل الولاءات القائمة والانتماءات الاجتماعية بما فيها الانتماءات الثقافية، وهي ما تزال في طور التبلور والتكوين، واذا كانت قد بدأت في بعدها الاقتصادي فان الابعاد الآخرى تعد لاحقة، تمهيدا لان تلعب القوى التكنولوجية والتكتلات الاقتصادية والشركات الثقافية والاتصالية ادوارا اكبر في تشكيل مستقبل مختلف.

ولما كانت لأطراف العولمة مصالحها، لذا فان لها ضحاياها، ويبدو ان بلدان العالم النامية هي الضحية الاكبر، وان كل تبلور في نظام العولمة يقود الى خسائر اكبر للبلدان النامية، غير ان بوسع هذه الاخيرة ان تقلل من الخسائر ان هي تداركت كثيرا من المواقف، واحسنت رسم سيناريوهات للمستقبل اكثر واقعية واكثر انتفاعا من قدرات الانسان، ومن الموارد، واتاحت لنفسها الانتفاع من حصائل العلوم الانسانية والطبيعية.

وهناك محاولات ترمي الى الى عولمة الثقافة من خلال وضع تقنيات اخلاقية ملزمة للشعوب والمجتمعات، وتبدو الخطورة البالغة لهذه المحاولات في كونها تتم صياغتها في غيبة ممثلي الثقافات المختلفة، وهي اشبه ما تكون بمحاولة لفرض مركزية القيم الحضارية الغربية(١٥). وعلى هذا وفي إطار تحليل التجليات الثقافية للعولمة تتبدى الدعوة لبناء ثقافة تتضمن نسقا متكاملا من القيم والمعايير لفرضها على كافة الشعوب، مما قد يؤثر على الخصوصية الثقافية للشعب العربي(١٦)، واقل ما يقال عن هذه الثقافة التي هي ثقافة العولمة ان مضمونها يحاول ان يؤكد ان الفكر الغربي الحاضر هو ايديولوجيا الحياة الانسانية على مدى الزمن القادم.

وهذه تلقي مسؤوليات على مجمل المؤسسات والهيئات التي تتولى عمليات اكساب الأطفال بالثقافة. وبهذه المناسبة نشير الى ان مقولة المؤرخ بول كندي يظل لها وقع واقعي، اذ هو يقول: (ان العقل يقتضي ان نفترض ان معظم شعوب الارض

تستطيع ان تتعامل ايجابيا مع تحديات التغيير اذا شاعت هي، ولابد من التخلص من التعصب المذهبي الصارم، والايمان بحرية السؤال، والاختلاف والتجريب، والايمان بامكانيات التطور، وايلاء الجانب العلمي اهتماما يفوق الجانب التجريدي، والعقلانية التي تتحدى القوانين الجامدة، والدوغمائية والرواسب)[١٧].

وكالات تثقيف الأطفال العرب من الاسرة الى ادب الأطفال:

يحرص المجتمع العربي على إكساب الأطفال بالثقافة السائدة وتعتبر الاسرة وجماعة الرفاق والمدرسة ووسائل الإعلام هي الوكالات الاساسية التي تجد نفسها معنية بثقافة الأطفال، بما في ذلك الهوية الثقافية.

ولا تتماثل تلك الوكالات في المضمون الثقافي الذي تبثه الى الأطفال رغم ان بالوسع الوقوف على قدر من التشابه، لذا فان الأطفال يخضعون لعوامل تأثير ثقافي مختلفة في توجهاتها، مما يقود الى شيء من صراع الولاءات والى الولاء المزدوج لدى الطفل. وهذه المواقف تؤلف عوامل تعيق تبلور نموذج تصوري لدى الأطفال.. بل ان الوكالة الواحدة يمكن ان تختلف في مستويات مفرداتها الى مدى واسع. فالاسرة العربية تنظر الى "الهوية الثقافية العربية" بمنظورات شديدة التباين، كما انها لم تلتق عند مكونات خصوصية ثقافة الأطفال، ولم تلتق ايضا، عند مراتب المكونات على السلم الثقافي، فضلا عن ان الإطار الايديولوجي يلعب دورا كبيرا في النظر الى المفهوم في اساسه بمنظورات واسعة الاختلاف يصل الى حد اعتبار مكون معين خصوصية في ثقافة الأطفال في وقت ينكرها منظور آخر، وهذا يعني ان الاتفاق على محتوى "هوية الأطفال الثقافية" غير قائم الا في حدود.

اما على مستوى المدرسة العربية فان من الممكن القول ان لها ثقافتها، غير ان من بين قيمها ماهي امتداد لقيم الاسرة وهي لم تستطع ان تنمي مهارة التفكير، اضافة الى انها ما تزال تدرس المواد التوجيهية كالدين والتربية والوطنية والتاريخ باساليب لا تؤهل الأطفال لامتصاص هوية ثقافية متناغمة مع متطلبات الحياة الجديدة.

هوامش الفصل الرابع:

(١) انظر: د. هادي نعمان الهيتي: إشكالية المستقبل في الوعي العربي، بيروت، مركز دراسات المستقبل العربي، ٢٠٠٣.

(٢) د. هشام شرابي: الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطراكي، من بحوث الندوة الرابعة للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٥.

(٣) د. هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال بين المرونة والتعصب،المجلس العربي للطفولة والتنمية، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ١ ربيع ٢٠٠١، ص ٥.

(٤) راسل جالو كوبي: نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللا مبالاة، ترجمة فاروق عبدالقادر، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠١، ص ١٩٨ -١٩٩.

(٥) د. عبدالله الطويرفي: الاتصال المعاصر، دراسة في الانماط والمفاهيم، عالم الوسيلة الإعلامية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧، ص ٣٠٠.

(٦) د. هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨، ص ٩١ – ٩٧.

الفصل الخامس

الاتصال المواجهي بالأطفال (الأسرة مصدرا)

الاتصال المواجهي بالأطفال (الأسرة مصدرا):

تشكل الأسرة وكالة اولى للمجتمع في اداء ادوار اجتماعية وثقافية للطفولة، اذ يتلقى الأطفال من خلالها رسائل اتصالية مباشرة ومستمرة. ومن هنا صار لزاما ان تكون الأسرة مستنيرة وعلى قدر عال من الوعي بوظائفها إزاء الطفولة.

أولا – منظور الدراسة:

ويمثل الوعي (Consciousness) إدراكا، ومعرفة، ومهارة، وتوجها بشأن موضوع او قضية، ويرتبط به كل من السلوك الفردي والاجتماعي.

ومن بين أنماط الوعي الاجتماعي: الوعي الأسري بالطفولة، الذي يعد مطلبا اساسيا للمجتمع في معاملة الأطفال، حيث ان المجتمع يوكل الى مؤسساته ادوارا محددة، من بين تلك المؤسسات: الأسرة، التي ينيبها المجتمع عنه لانتاج أعضاء جدد والقيام بعدد من اوجه العناية والرعاية بهؤلاء الاعضاء الذين هم الأطفال.

وأداء الأسرة للدور الذي يوكله المجتمع اليها بشأن الأطفال يرتبط بوعى الأسرة بهذا الدور بما في ذلك حدود كفاءته في تكوين أجواء نفسية وإجتماعية للأطفال ومعاونتهم على النمو.. ومن هنا فان هذه الدراسة تعنى بموضوع وعي الأسرة بالطفولة في علاقته باساليب معاملة الأطفال.

هناك دواع علمية وإجتماعية، تبرر تناول مسألة الوعي الأسري بالطفولة وعلاقته باساليب معاملة الأطفال ومن بين الدواعي العلمية وجود ضرورات تقضي أن يكون للأسرة العربية نصيبها من المعرفة حول موضوع معاملة الأطفال، خاصة وإن المعرفة الحاضرة للأسرة العربية فيها قدر غير قليل مما هو غير واع وغير منتفع من حركة البحث العلمي الا في حدود.

ومن بين الدواعي الاجتماعية لتناول هذا لموضوع ان كثيرا من المؤسسات التي ينيبها المجتمع العربي لأداء وظائفها إزاء الطفولة بما فيها الأسرة ما تزال في حاجة الى تطوير كفاءتها في هذا المجال، مما يقتضي النظر علميا الى هذه المسألة بقصد تحقيق حصائل عملية على الصعيد الاجتماعي.

ويكاد ان يكون موضوع الطفولة في مقدمة الموضوعات الاستراتيجية الاساسية فى المجتمعات عموما، وتبدو لتناول الوعي الأسري بها أهميته بسبب عوامل وطنية وقومية واخرى خارجية. فالمجتمع العربي يعاني من مشكلات إقتصادية وإجتماعية ونفسية كالفقر، والامية، وإنخفاض المستوى الصحي، والبطالة. وهذه بدورها تظهر واضحة على الصعيد الأسري اذ تبدو عليها مشكلات وافرة ناجمة عن التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والسياسية والاتصالية الواسعة، وتمر الأسرة العربية بتحديات متعددة الأمر الذي يتطلب التعامل مع المتغيرات الجديدة مع الحفاظ على أساليب معاملة الأطفال بصورة صحيحة وتحسين تلك الاساليب وفقا لمنظور التفكير العلمي.

ومن جانب آخر فان الأسرة العربية في حالة مستمرة من التغير، الا ان من ذلك التغير ما يبدو على شكل تصلب، او انغلاق، او إنكفاء، او خيبة، وخاصة بعد ان خبت على الصعيد القومي الكثير من التطلعات والآمال التي إرتفعت خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين.

وبالاضافة لى هذا، فان عمليات معاملة الأطفال، هي الاخرى في تغير مستمر، حيث تنتهي حركة البحث العلمي باستمرار الى نتائج جديدة تتطلب أن تأخذ الأسرة بمعطياتها الأساسية في تعاملها مع الطفولة، خاصة وان الأسرة العربية كثيرا ما يبدو عليها التمسك بالاساليب التقليدية في هذا الميدان في الوقت الذي يتطلب ذلك التعامل عملية تجديد مستمرة، ما دامت الاساليب التقليدية عاجزة عن تكييف طرق معاملة الأطفال وفق المتطلبات المتغيرة.

وتهدف هذه الدراسة الى فهم مكونات "الوعي الأسري بالطفولة" من حلال الوقوف على علاقات تلك المكونات بأساليب معاملة الأسرة للأطفال في الوطن العربي، حيث ان فهم اي عملية لا يتحقق الا من خلال الوقوف على أبعادها أو مكوناتها، خاصة وإن للوعي عناصره المعرفية والمهارية والتوجيهية. ولمعاملة الأسرة للأطفال هي الأخرى أنماطها. ويأتي هذا الهدف النظري بقصد محاولة توظيفه عمليا فى التنبيه الى مسألة الوعي الأسري بالطفولة، ولفت أنظار الهيئات والمؤسسات الى الأدوار التي يمكن أن تؤديه من مسؤوليات في هذا المجال.

وقد حاول البحث إعتماد الملاحظة، وتحليل بعض الادبيات والدراسات العربية للوصول الى عدد من المؤشرات حول حدود وعي الأسرة، وتحديد أساليب معاملة الأسرة العربية، وصولا الى تشخيص ابرز سمات تلك المعاملة.

ثانياً- الأسرة ووظيفتها إزاء الطفولة:

منذ أكثر من ربع قرن، يتردد القول أنه: إذا أردنا لأطفالنا النمو السليم فيجب أن نبدأ جهودنا معهم قبل أن يولدوا بربع قرن، أي ان نبدأ بالأسرة من خلال تهيئتها لمعاملة الأطفال وفق أساليب صحيحة.

ولم يكن ذلك المبدأ إجتهادا إعتباطيا، بل هو نتيجة لتضافر مساع علمية متعددة، كان من نتيجتها تأكيد أهمية ودور الأسرة ليس في مجال تنشئة الأطفال حسب، بل وفي تحقيق خطوات التغيير الاجتماعي للمجتمع كله.

وقد تراكمت مجمل المساعي العلمية لتشكل أفرعا علمية متعددة تعنى بموضوعات الأسرة، من بينها "علم الاجتماع العائلي" الذي كانت بداياته الاولى قد اتسعت منذ مطلع القرن العشرين، إلا أن فهم الأسرة وضبط السلوك الأسري والتنبؤ بما تؤول اليه المؤثرات فيها ما تزال تخضع للكثير من الاتجاهات الايديولوجية والتأملات الفردية والاجتهادات الذاتية، رغم خطورة دور الأسرة في المجتمع، وضرورات الاعتماد على الحصائل العلمية لفهم طبيعة العائلة ووظيفتها وطبيعة العلاقات فيها، وأدوار أعضائها وصولا الى فهم واقع البناء الاجتماعى للمجتمع، خاصة وإن التعرف الصحيح الى الأسرة يعد حجر الزاوية في التعرف الى المجتمع، فضلا عن أن التغييرات المستقبلية للأسرة ترتبط تبادليا بمستقبل المجتمع[١].

والأسرة، باعتبارها جماعة اجتماعية هي في تغير مستمر، غير ان سرعة التغيير الحاصل فيها اقل بكثير من سرعة تغير الافراد، وأحيانا، اقل بكثير من سرعة تغير المجتمع. ومن هنا تبدو كأنها لا تواكب حركة التغيير في عصر سريع التغيير. كما ان لها بعض إتجاهات تغيرها التي تتفرد بها إزاء كثير من القيم والموضوعات والمواقف والعلاقات. ولهذا قيل (إن الأسرة مرتبطة بالمجتمع، فهي تدعم المجتمع وتناهضه في آن واحد)[٢].

ومن هنا فان الأسرة بالرغم من انها جزء من المجتمع الا ان لها قدرا من التفرد في ايقاع حياتها، مثلما لها ثقافتها الفرعية التي تشكل كلًا من العادات والأفكار والقيم التي تشترك فيها مع سائر الأسر في المجتمع او الجماعة.

ويمكن النظر الى الأسرة على انها لبنة أساس في بناء المجتمع، وهى تؤلف جماعة أولية صغيرة من جانب، وهي من جانب آخر مؤسسة لها طبيعتها البنائية ولها المعايير التي تقوم عليها والوظائف التي تؤديها، وعلى اساس ذلك أمكن دراستها بوصفها نظاما من الأدوار والعلاقات يسعى الى تحقيق عدد من المتطلبات، ويدخل مع الانظمة الأخرى في عمليات تفاعل. ومن هنا فهي نسق وإبتداع إجتماعى قابل للتغيير من حيث بناؤه وادواره ووظائفه.

والأسرة، بصفتها الوحدة الاجتماعية الاولى التي تتحقق فيها عمليات إتصال الطفل بالمجتمع توفر للطفل الوليد متطلبات البقاء المادي والمعنوي، وتسهم، بعد ذلك، فى تكوين شخصيته وثقافته، إذ توفر للأطفال فرص الاتصال والمشاركة في المعاني. (فالأطفال – منذ صغرهم – يريدون أن يعرفوا من خلال اتصالاتهم ثلاثة جوانب أساسية هي : ان يتعرفوا الى بيئتهم والعالم من حولهم، ويتعرفوا الى أنفسهم والآخرين من حولهم، في محاولة لان يكتشفوا نسقا من المعاني عن هذه الجوانب)[٣].

ومن هنا، إذا كانت الأسرة تحقق الولادة البيولوجية للطفل فهي تسهم في أن تحقق له ولادة وثقافة من خلال اكسابه اساليب السلوك الاجتماعي وأنماط التفكير، والعادات والميول.

وصيغ السلوك التي يصطلح عليها المجتمع لتنظيم العلاقات فى جوانبها الأسرية تشكل نظاما، هو النظام الأسري، وهو يؤثر ويتأثر بالأنظمة الاخرى كالنظام الديني، والنظام السياسى، والنظام الاقتصادي، والنظام التعليمي، ونظام الإعلام والاتصال، ونظام الملكية، ونظام تعدد الزوجات، ونظام أحادية الزوجة.. وهذه الانظمة تسير نماذج السلوك وتضبطه. وتتولى أداء وظائف الانظمة، في العادة، منظمات كالهيئات والمؤسسات. ويتألف كل نظام في المجتمع من ثلاثة عناصر أساسية هي العنصر البشري والعنصر المادي المتمثل بالاجهزة التي يستعين بها النظام لأداء

وظائفه، والعنصر الثالث المتمثل في طرق عمل وقواعد ومواثيق وتقاليد النظام. فالأسرة تتكون من عنصر بشري هم افرادها، ومن عنصر مادي هو السكن واللوازم المنزلية، ومن عنصر ثالث من بين تشكيلاته طرق معاملة الأسرة للطفل.

ثالثاً- الوعي الأسري بالطفولة، المفهوم والمبررات:

إن وظائف الأسرة ومسؤولياتها المتداخلة والمعقدة يفرض عليها أن تكون على قدر من الإدراك والفهم للعلاقات والمعاني والاساليب لمجمل تلك المسؤوليات، وأن تكون على إحاطة بأجراءاتها العملية، اي على وعي شامل بتلك المسؤوليات. إذ ان الوعي الشامل ينطوي على إدراك وفهم علاقة أو معنى أو اسلوب أو عملية، مع معرفة عمليات التطبيق. واي قصور في جوانب الوعي يؤول الى ما يسمى الوعي المنقوص او الجزئي.

وللوعي موضوع، لذا يشكل الوعي الأسري بالطفولة نظاما من المعارف والاتجاهات والمهارات التي تمتلكها الأسرة وتأخذ بها في نظرتها الى الأطفال ومعاملتها لهم. إذ هو يؤول الى تأهيل الأسرة وزيادة كفاءتها للقيام بمعاملة الأطفال بطرق ملائمة وتحسين قدرتها على نقل ثقافة للأطفال متوافقة مع متغيرات الحاضر ومنسجمة مع متطلبات المستقبل. وإنماء الوعي الأسري لا يقتصر على النهوض بافراد الأسرة على حدة فقط، بل يتطلب النهوض بالأسرة كوحدة إجتماعية، ما دامت الأسرة بناءً في النظام الأسري. ومن جانب آخر تظل كل الخدمات المقدمة للطفولة غير ذات فاعلية إذا لم تبذل جهود منظمة للارتفاع بالوعى الأسري، ووعي المجتمع كله بالطفولة.

والوعي بالطفولة يلقي على الأسرة مسؤوليات كبيرة ليس في علاقة الأسرة بالأطفال فقط، بل في مسؤولياتها في التعاون مع المؤسسات والهيئات ذات العلاقة بالطفولة. وهو قابل للتطور ما دامت المعرفة والمهارات الانسانية في تطور مستمر، وما دامت آفاق التطلع الى المستقبل تفرض على الحاضر الكثير من الشروط.

ومن خلال هذا العرض فان من بين ما يقتضيه (الوعي الأسري بالطفولة) في معاملة الأسرة للأطفال:

١- جوانب معرفية بما يتعلق بمسائل النمو الجسمي، والعقلي، والعاطفي، والاجتماعي

والثقافي، وإدراك ما على الأسرة من مسؤوليات إزاء الطفولة ومشكلاتها، وخصائصها، واساليب الخدمات اللازم توفرها لمواجهة المشكلات او إشباع الحاجات.

٢- إتجاهات حول أسس معاملة الأسرة للأطفال، وعلاقة أساليب تلك المعاملة في حياة الطفل الحاضرة والمستقبلية.

٣- مهارات حول كيفية توظيف الجوانب المعرفية والاتجاهات عند معاملة الأسرة للطفل، مع إستثمار إمكاناتها لتحقيق رعاية الطفل وحمايته وحل المشكلات التي تواجه الأسرة.

ولما كان "الوعي" اكثر من كونه مجموعة عناصر محددوة بل هو آفاق فكرية ومهارات، لذا يترتب ان يكون للوعي منظورات ورؤى ذات ابعاد ستراتيجية.

ونشير هنا الى أن التقصي عن متغيرات أي مشكلة من مشكلات الطفولة يفصح أن الأسرة تشكل واحدة من تلك المتغيرات، لذا يمكن القول ان الكثير من ظواهر وفيات الأطفال، والاعاقة، والتشرد، والجنوح، والانحراف، علاقة بأوضاع الأسرة وأساليب معاملتها للأطفال وحدود وعيها بالطفولة. حيث ان هذه كلها ذات تأثير في أداء الأسرة لوظائفها.

وحصلت تغيرات في الأسرة العربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن بين تلك الظواهر ما أدى الى (تهميش الكثير من وظائف الأسرة حتى بالنسبة الى وظائفها في ما يتعلق بالأطفال في سن ما قبل المدرسة)[٤]، في وقت يشار فيه (ان وعيا زائفا ومشوها يسود الآن في أدوار أعضاء الأسرة العربية)[٥].

وعلى هذا يعد الأطفال ضحايا وفق اي منظور، كما ان الأطفال صاروا من بين ضحايا المشكلات السياسية والحروب[٦]، ونجم عن هذه العوامل بروز ظاهرة أطفال الشوارع الذين يتزايدون في الوطن العربي بشكل متصاعد[٧].

ويشار في الوقت الحاضر الى قضايا أطفال فلسطين الذين يعانون من الاحتلال الأسرائيلي، والى أطفال العراق الذين يعانون معاناة قاسية بسبب الظروف الحاضرة، حيث إمتدت هذه الظروف بتأثيراتها الى مجمل جوانب حياة الأطفال الاجتماعية والنفسية والصحية والتعليمية مثلما إمتدت الى واقع الأسرة.

رابعاً- معاملة الأسرة للأطفال، اشارات عربية:

إن فترة الطفولة الانسانية الطويلة وحاجة الوليد الى العناية والرعاية القيا على الأسرة أداء وظائف بيولوجية ومجتمعية. وهذا يعني ان علاقة الطفل بالأسرة هي علاقة عضوية وثقافية، لذا فان كل الجهود الموجهة للأسرة تعود على الطفل وحياته ونموه، وهو لو حرم من الأسرة فان من غير الممكن الا تعويضه عنها. كما ان الأسرة في المجتمعات المختلفة، وخاصة في المجتمعات الحديثة، غير قادرة على أداء كثير من الوظائف التى يحتاجها الأطفال، لذا ظهرت اجهزة اخرى تكمل دور الأسرة.

ومع ان هناك خدمات يحتاج إليها الأطفال ذات صفة تخصصية لا يمكن للأسرة اداءها الا ان هناك قدرا من الوعي لابد ان يتوفر لها، حيث تتعامل الأسرة في معاملتها للأطفال مع علاقات تنظم ما يربط أطفالها بالآخرين من الاقارب بمختلف أعمارهم، وبالأقران الآخرين وبالمنظمات والجماعات. ولها دورها في تحديد علاقات أطفالها بالظواهر المختلفة في المجتمع بما فيها حركات الفنون والآداب والهوايات والالعاب والانشطة الاجتماعية والاتصالية والترفيهية.

ومعاملة الأسرة للأطفال: هي مجمل اساليب سلوك الأسرة مع الطفل وتعاملها مع بيئته. وقد اصبحت معاملة الأطفال إحدى المهارات المهمة التي ساهمت الكثير من العلوم في بلورتها، واصبحت كذخيرة معرفية ومهارات ورؤى وضرورة اساسية للأسرة في ان تقف، على الاقل، على أولوياتها العامة.

ويراد لمعاملة الأسرة للأطفال ان تشمل جهودا منظمة باساليب فعالة لانماء الأطفال وتوفير أجواء التآلف والمشاركة ومساعدة الأطفال على النمو الجسمى والاحتماعي والثقافى والعاطفي والعقلي واللغوي، حيث يرسم الوعي، هذه الاساليب والطرق، فاذا كانت الأسرة في وعيها على درجة عالية فان إحتمالات نشأة الأطفال في احضانها نشأة سليمة تكون كبيرة. ومن هنا يمكن القول أنه ما دام الطفل قاصرا في وعيه، عادة، فانه يترتب على من يتعامل معه ان يكون على وعي شامل.

واساليب معاملة الأسرة ومجمل المجتمع للأطفال هي احدى مؤشرات الحكم على تقدم المجتمع او تخلفه، لهذا فان نسب وفيات الأطفال، ونسب الاعاقات، ومكونات

ثقافة الأطفال وحدود تواؤم تلك الثقافة مع التطورات الحديثة، واساليب الأطفال في التفكير وحدود سلامة نمو الأطفال تعد دلائل تعطي المؤشر في المقارنة بين المجتمعات من حيث تقدمها او تخلفها.

وفي هذا الصدد يشار الى تراجع في دور الأسرة العربية في التنشئة الاجتماعية قد حصل فعلا، وهذا التراجع خلق فراغا لا تملؤه وكالات التنشئة الاخرى، وهذه الوكالات، لايمكن أن تكون بديلا كاملا عن دور الأسرة(٨).

ويمكن ان نجد أصنافا متعددة لمعاملة الأسر للأطفال(٩)، ومن الممكن تحديد أبرز تلك الاصناف في الآتي:

١- المعاملة المغالية في التأديب Over Correction ويتمثل هذا الاسلوب فى تأكيد الأسرة على الوصول بالطفل الى الالتزام بضوابط في مجمل سلوكه، مع ميل الأسرة الى الاستعانة بطرق معينة كالتأنيب والتوبيخ. وهذا الاسلوب ينطوي على قدر من تجاهل حاجات الطفل.

٢- المعاملة المغالية في الاخضاع Over Submission وتحقيق الطاعة، وتكون المعاملة وفق هذا الاسلوب عن طريق إخضاع الطفل للأسرة وإذعانه لها، وإطاعة أوامرها ونواهيها طاعة عمياء.

٣- المعاملة وفق مذهب الكمال Perfectionism ويتمثل هذا الاسلوب من خلال تصور تحقق السمو في سلوك الطفل، وهو ينطوي على تجاهل الكثير من خصائص الأطفال، والنظر اليهم وكأنهم ناضجون.

٤- المعاملة عن طريق إنزال العقوبة Punitiveness ووفق هذا الاسلوب تميل الأسرة الى الاسلوب التأديبي، مدفوعة بالتصور ان معاملة الطفل تقوم على إستمرار إنزال القصاص بالأطفال جسديا او لفظيا.

٥- المعاملة القائمة على الاهمال Negligence وتقوم هذه الطريقة في المعاملة على عدم إيلاء الأسرة للطفل إهتماما او عناية عاطفية.

٦- المعاملة القائمة على إزدراء الطفل Rejection وتتمثل هذه الطريقة في نبذ الطفل وعدم الاكتراث له وإزدرائه والاستخفاف به.

٧- المعاملة القائمة على التوهم الوسواسي Hypochondriasis ويتعدى هذا الاسلوب في شعور الأسرة بقلق مبهم او خوف في النظر الى الطفل والتعامل معه، ويرافق ذلك حرص شديد ومبالغ فيه على الطفل.

٨- المعاملة القائمة على تدليل الطفل Over Indulgence ، وهو اسلوب يقوم على الافراط في تدليل الطفل من خلال المبالغة في اشباع حاجاته والمغالاة في تلبية مطالبه.

٩- المعاملة القائمة على الحماية الزائدة Over Protection ويتمثل هذا الاسلوب في الافراط في شدة حرص الأسرة على الطفل والعمل على حمايته من كل فعالية، ويصل الامر الى محاولة الأسرة التدخل في نمو الطفل وفي حاجاته الطبيعية.

١٠- المعاملة القائمة على الافراط في تحمل المسؤولية Excessive Responsibility ويتمثل هذا الاسلوب في محاولة الأسرة تخليص الطفل من أداء اية مسؤولية، والقيام نيابة عنه بانجاز الفعاليات التي هي من شأن الطفل.

ويعطي هذا التصنيف العام بطرائق معاملة الأسر للأطفال الصورة عن التباين بين الأسر المختلفة التي تتراوح بين محاولة صياغة الطفل من خلال عمليات التأديب الى محاولة تحمل المسؤولية نيابة عنه. ويمكن ان نجد هذه الطرائق بدرجات متباينة في المجتمعات المختلفة بما فيها المجتمع العربي، غير ان هناك مجتمعات تزيد فيها اساليب معينة وتنقص اخرى.

وقد أجريت بعض الدراسات النفسية ودونت الكثير من الملاحظات عن اساليب المعاملة الاجتماعية للأطفال في بعض اقطار الوطن العربي. وقد ركزت الكثير من الدراسات والملاحظات حول السلطة الابوية في الأسرة العربية.

خامساً- إتجاهات الأسرة العربية في معاملة الأطفال:

هناك عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية قادت الى تبلور اتجاهات تؤول الى الاخذ بهذا النمط او ذاك من انماط معاملة الأطفال، **ومن بين تلك الاتجاهات:**

١- ان الأسرة العربية ميالة، في أحوال كثيرة، الى تشجيع خروج الطفل على طفولته، لذا فهي تهلل للأطفال الذين يستخدمون لغة الكبار، وقيمهم، ومفاهيمهم. وكأن الأسرة العربية ترنو الى ان يشب الأطفال قبل الآوان.

٢- تميل الأسرة العربية، الى محاولة نقل ثقافة الكبار الى الأطفال، وهي تستعين بأساليب متعددة من اجل الحفاظ على قيمها ومجمل عناصر ثقافتها، لذا يبدى الكثير من الاباء تبرما عند خروج الأطفال على ما درج عليه الكبار.. علما ان المضمون الثقافي المنقول عن أجيال ماضية له حيز واسع في ثقافة الأسرة العربية، اذ يتواتر عن طريق التقليد. ومن بين هذا المضمون ما له قدر من الاستقرار والجمود، ومنه ما يشكل معوقا لعملية التغيير فى ثقافة الأسرة العربية.. خاصة وان جزءً من وعى الأسرة العربية هو وليد طرق في التفكير لا تتوافق مع شروط التفكير العلمي. منها التفكير الخرافي، والتفكير التسلطي، والتفكير عن طريق المحاولة والخطأ.

٣- للخدم والمربيات ادوار في التأثير في إتجاهات المعاملة في بعض اقطار الوطن العربي. وهناك آراء متعددة في حدود ذلك التأثير واتجاهاته، غير ان هناك إجماعا من الباحثين على وجوده وحضوره[١٠].

٤- تركز الأسرة العربية على المسايرة دون التركيز على المغايرة، كما تركز على بعض المعايير التقليدية. وتتبع اسلوب تلقين الأطفال مضمون الثقافة.

٥- تركز الأسرة العربية على تنمية روح انتماء الأطفال للأسرة وقد يأتى ذلك على حساب انماء الانتماء للوطن.

٦- تميل الأسرة العربية في معاملة الطفل على تأكيد فرديته المستقبلية، وكأنها غير معنية بتنمية التطلع الاجتماعي.

٧- توحي الأسرة العربية للأطفال بتقبلها ورضاها عن خضوع الطفل واستسلامه لها، دون انتباه كاف الى ما لهذا الايحاء من تاثيرات في سلوك الطفل المستقبلي.

٨- تركز الأسرة العربية، بقدر لافت للنظر على التشدد في الآراء بدل إنماء عمليات النقاش وقبول الآخر، وتحاول إثارة روح الثبات على الرأي أكثر من تأكيدها على التعامل مع الرأي وفق منظورات التفكير السليم.. ويمكن أن يكون لهذا الموقف ما يثير الولاءات الضيقة[١١].

٩- لم يتضح للأسرة العربية دور في تحقيق المفهوم التنموي الحضاري مع انها المؤسسة الاجتماعية الاولى التي تنعكس عليها أية عملية تنموية[١٢] ومن جانب

آخر فانه ما يزال ينظر الى الطفل في كثير من الاقطار العربية كنتاج طبيعي يخص الأسرة ويدخل في نطاق مسؤوليتها المباشرة، بالرغم من إرتباط العناية بالأطفال بالتنمية، لان ذلك الارتباط يمثل إجراءً هاما وحاسما لايجاد الثروة البشرية اللازمة لبناء المجتمع السليم(١٣).

١٠- إن حدود مشاركة الأسرة العربية مع المنظمات الاخرى في البيئة محدودة، مما يضعف التكامل في دور الأسرة بأدوار هذه المؤسسات في العناية بالأطفال، ومنه ما يقتضي العمل المشترك بين الأسرة وتلك المؤسسات، فضلا عن أن المجتمع الخارجي من خلال المؤسسات يؤثر في الأسرة وفي منظوراتها واوضاعها.

١١- فرضت تجليات العولمة ومجتمع المعلومات، والهيمنة الاتصالية كظواهر عالمية تغييرات أسرية، واستعدادات للتغيير، ولكن من الملاحظ ان الأسرة العربية. ما تزال في عزلة أو هي تتفرج عما يحدث في العالم، فى وقت يقتضي فيه ان يكون للأسرة دورها في مواجهة التحديات من جهة وفي إستثمار الجوانب الايجابية في الظواهر العالمية عموما.

١٢- ان الاحباطات التي مر بها الوطن العربي والتغيرات الواسعة في المنطقة قد ابرزت الكثير من الظواهر في الأسرة العربية، وفي اجوائها النفسية بالذات، وفي المقدمة منها: إنكفاء الأسرة العربية على الذات وخفوت مستوى التطلع، وهذا يعني ان الأسرة العربية، شاءت أم ابت، تغرس شيئا من هذه المظاهر في نفوس الأطفال.

١٣- إن معاناة الأسرة العربية بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية وإرتفاع نسبة الامية وضعف ضمانات المستقبل جعلت الأسرة العربية، بنسبة واضحة، تحرص على إنماء روح الصراع بين الأطفال والتنافس من اجل المصالح الشخصية بدل إنماء روح التعاون حتى قيل: (انه بعد ان كان أداء الأسرة العربية جماعيا بدأ ينحو منحى فرديا يكرس القيم المشوهة ويعيد انتهاجها)(١٤).

ومع هذا فان اسس معاملة الأسرة للطفل العربي ليست وليدة دراسات متعمقة فى الغالب، ومنها ما هي ملاحظات في وقت يقتضي ان يتم التعامل معها علميا والوصول الى بناء ستراتيجي في معاملة الأسرة للطفل.

هوامش الفصل الخامس:

(١) د. هادي نعمان الهيتي: إتصالات الفضاء واحتمالات تأثيرها في الأسرة العربية، دورية الأسرة العربية، العدد الثاني، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٤، المنظمة العربية للأسرة، ص ١٦٢.

(٢) د. هشام شرابي: العائلة والتطور الحضاري في المجتمع العربي، وقائع ندوة (ازمة التطور الحضاري)، نيسان ١٩٧٤، ص ٤١٨، جمعية الخريجين، الكويت.

(٣) Wood S. Barbara, Children and Communication, Verbas and non-verbal Language Development, Englewood Cliffs, Prentic hass, INC, ١٩٧٦p,١٨،٨.

(٤) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، الادارة العامة للشؤون الاجتماعية، الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة: الدراسة الاساسية، سلسلة وثائق الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، ١٩٨٥، ص٧٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٦) انظر:

أ – برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية، الأطفال والحرب في لبنان، المحنة والمعاناة، ١٩٨٦.

ب– عبدالرحمن عبدالخالق وآخرون، الأطفال والحرب، حالة اليمن، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ١٩٩٩.

(٧) المجلس العربي للطفولة والتنمية، أطفال الشوارع، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٨) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، الادارة العامة للشؤون الاجتماعية، الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٩) هيفاء ابو غزالة، دور العائلة والمحيطين بها في مشكلات الأطفال، دورية (الأسرة العربية) العدد الثاني، نوفمبر ١٩٩٤، تونس، ص ٧١.

(١٠) انظر: المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، التنشئة الاجتماعية بين وسائل الإعلام الحديثة ودور الأسرة، البحرين، ١٩٩٤.

(١١) د. هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال بين المرونة والتعصب،المجلس العربى للطفولة والتنمية، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ١ ربيع ٢٠٠١، ص ١٥ - ٢٣

(١٢) محمد الامين العابد، الأسرة العربية في مواجهة تحديات المستقبل، دورة الأسرة العربية، المنظمة العربية للأسرة العربية، العدد ٢، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٤، ص ٧.

(١٣) د. بهية الحبشي، تنسيق وتكامل خدمات الطفولة في دول مجلس التعاون الخليجى في كتاب، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، رعاية الطفولة، تعزيز مسؤوليات الأسرة وتنظيم دور المؤسسات، البحرين، ١٩٩٤، ص ٤٣ - ٥٠.

(١٤) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، الادارة العامة للشؤون الاجتماعية، الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، مرجع سابق، ص ٧٤.

الفصل السادس

ثقافة حقوق الأطفال ودور الإعلام في إثرائها

ثقافة حقوق الأطفال ودور الإعلام في إثرائها:

شاع في الاستخدام الإعلامي مؤخرا مصطلح "ثقافة حقوق الطفل" ، وظهرت هيئات منها مؤسسات للمجتمع المدني تدعو الى اثراء هذه الثقافة والى بلورة عناصر جديدة لها، والى نشر مقوماتها على نطاق اوسع نظرا لما لها من أهمية في عصر ارتفعت فيه دعوة مؤداها القول: يجب ان نعطي للأطفال اقصى ما نستطيع من الحقوق والحريات والاحتياجات المعنوية والمادية الاخرى.

والتمعن في مفهوم ثقافة حقوق الطفل يكشف ان هناك اعترافا بان "حقوقا للطفل" لها كثير من التفرد عن حقوق الانسان التي اختصت بالراشدين، اولا. كما يكشف ان هناك اقرارا بحضور ثقافة خاصة بحقوق الطفل في المجتمعات المختلفة، واذا كانت حقوق الأطفال تتقارب من حيث مكوناتها واتجاهاتها ذلك ان للأطفال حقوقهم المتشابهة في المجتمعات المختلفة في وقت لهم ثقافاتهم المتباينة، حيث ان حقوق الأطفال اليوم هو مشروع جماعي للانسانية كلها وقد اتسع ليشمل اعدادا كبيرة من الاعلانات والمواثيق والمعاهدات في وقت ما تزال ثقافة حقوق الأطفال كيان غير متكامل وغير منظم وغير عميق.

ومن هنا، فان هذه الدراسة حرصت على تباين مكونات واتجاهات ومفاهيم هذه الثقافة ودور الإعلام في بلورتها في وجود فكري وسلوكي وصولا بهذه الثقافة الى مستوى ارفع، لاسيما وان هذه الثقافة، في توجهاتها الجديدة، ماتزال وليدة، وقد مرت بمراحل متعددة حتى اصبح لها مستواها الحاضر.

والتمعن في نشأة هذه الثقافة يفصح ان لها اصولا منذ نشأة الحياة الاجتماعية، حيث يمكن الافتراض انه كان قد تبلورت لدى الكبار من الامهات والآباء، منذ فترة مبكرة من بدء الحياة الانسانية، افكار وقيم وعادات واساليب حول العناية بالأطفال واسس تنشئتهم وطرائق التعامل معهم، ويقود هذا الافتراض الى القول: ان ثقافة فرعية Subculture قد تشكلت منذ البدء، وان هذه الثقافات قد اخذت طريقها الى الاتساع والتعمق. من بين هذه الثقافات ثقافة المجتمع ازاء الأطفال وتنشئتهم، وان هذه الثقافة قد

انطوت - بقدر ما - على ما يشكل حقوقا للأطفال. ومن هنا كانت ثقافة حقوق الطفل قضية لها وجود في حياة البشر على مدى الزمن غير انها تطورت شيئا فشيئا حتى صار لها وجودها الحالي الذي تشكلت مكوناته من عناصر اسهم في بلورتها الحس الدارج، والتفكير عن طريق المحاولة والخطأ، حتى صار للفلسفة والفكر العلمي، بعد ذلك، تأثيراتها الحديثة فيها، وبذا احدثت المجالات الفكرية تطورات في هذه الثقافة.

وهذا يعني ان ثقافة المجتمع حول التعامل مع الأطفال قد تألفت عبر تطوراتها منذ عصر مبكر، من حياة الانسانية وكانت وليدة طرائق في التعامل قامت على اساليب اجتهادية واساليب المحاولة والخطأ، وهي اليوم، مع انها لا تستغني عن الاجتهاد والتجارب لكنها تستند، بقدر ما، في كثير من المواقف، الى منطق العلم، بفضل ما له من قواعد وقوانين ونظريات وتطبيقات امدت الانسان بان يحدث تطويرات في ثقافته في التعامل مع الأطفال ويدخل في هذه الثقافة روحا علمية ذلك ان تطور الأطفال هو من المسائل الحساسة على مستويات النمو الجسمي والعقلي والعاطفي والاجتماعي واللغوي.

ومن هنا كانت علوم التربية، وعلم النفس، والطب، والاجتماع، والاتصال، والقانون، قد تناولت جوانب مهمة من موضوعات العناية بالطفولة ورعايتها اضافة الى إيلاء الاداب والفنون اهتماما بالأطفال اذ صارت للأطفال ادابهم وفنونهم، وبذا عدت اسهامات الادب والفن في حياة الأطفال اضافات فكرية جديدة.

مفهوم ثقافة حقوق الأطفال:

واستنادا الى هذا يمكن الاقرار بوجود ثقافة للكبار حول التعامل مع الطفولة، ما دامت الثقافة كلاً مركبا من القيم والعادات والاساليب التي تشترك فيها الجماعة او المجموعة الاجتماعية وما دامت في الثقافة الواحدة ثقافات فرعية متعددة، ولكل ثقافة فرعية موضوع ومن هنا أمكن الافتراض بوجود ثقافة فرعية يتركز موضوعها حول حقوق الطفل.

وإعتمادا على التجارب والجهود الفنية والادبية والحصائل العلمية حرج الانسان بأن هناك حقوقا للأطفال، وقد أقر المجتمع الدولي تلك الحقوق عبر وثائق دولية منذ فترة مبكرة من تاريخ قيام المنظمات الدولية منذ العشرينيات من القرن

العشرين، إبتداءً بأعلان إتحاد غوث الأطفال لحقوق الأطفال عام ١٩٢٣، مرورا باعلان جنيف لحقوق الطفل عام ١٩٢٤، وإعلان الاتحاد الدولي لرعاية الأطفال عام ١٩٤٨ واعلان حقوق الطفل عام ١٩٥٩، وإتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩. والاعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه، وخطة العمل كما اقرها مؤتمر القمة العالمي من اجل الطفل عام ١٩٩٠، واتفاقية حظر أسوأ اشكال عمل الأطفال عام ١٩٩٩، ووثيقة "نحو عالم مناسب للأطفال" عام ٢٠٠٢.

وكان إقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في العشرين من شهر كانون الاول ١٩٥٩ وإذاعتها اعلان حقوق الطفل حدثا بارزا في النظرة الى الطفل، اذ كان ذلك الحدث بيانا صريحا بالحقوق والحريات التي وافقت الاسرة الدولية على ان يستمتع بها كل طفل بدون إستثناء.

ومع ان كثيرا من تلك الحقوق والحريات كان قد نودي بها فعلا في الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اقرته الجمعية العامة فى عام ١٩٤٨ الا ان التأكيد عليها كان بمثابة استقرار للرأي على ان ما تقتضيه احتياجات الأطفال، بصفة خاصة، يبرر وضع اعلان جديد خاص بالأطفال.

واعلان حقوق الطفل، شأنه في ذلك شأن الاعلان العام لحقوق الانسان يحدد مستوى يجب على الجميع ان يحققوه، لذا فانه لزام على الآباء والامهات والافراد والهيئات التي تعمل طواعية على رعايته، وعلى السلطات المحلية والحكومات ان يعترفوا بالحقوق والحريات التي ينادي بها الاعلان وان يعملوا على مراعاتها.

ويتكون الاعلان من عشرة مبادىء يؤيد حقوق الطفل في ان يستمتع بوقاية خاصة وان تتاح له فرص وتسهيلات تؤدي الى تنشئته على نحو يكفل له رعاية طبيعية وصحية كاملة في ظل الحرية والكرامة، وان يكون له اسم وجنسية من وقت ولادته. كما يكون له حق الاستمتاع بمزايا الامن الاجتماعي، ويشمل ذلك التغذية الكاملة والمأوى والرياضة والخدمات الطبية، وان يمنح حق العلاج الخاص والتعليم والرعاية اذا اصيب بعجز، وان ينشأ في جو من العطف والأمن، وفي حدود الامكان، في رعاية والديه وفي نطاق مسؤوليتهما. وان تتاح له الفرصة لكي يتعلم، وان يكون اول من

يحصل على الوقاية والاغاثة في الاوقات التي تحدث فيها النكبات، وان تتاح له الوقاية من كافة ضروب الاهمال والقسوة والاستغلال وكذلك من الاعمال التي قد ينجم عنها اي نوع من التمييز. ويبين الاعلان، ايضا، ان الواجب يقتضي تنشئة الطفل وفقا لروح التفاهم والتسامح والصداقة بين الشعوب والسلام والاخوة العالمية الشاملة(١).

وعلى هذا نص إعلان حقوق الطفل الذي اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة واذاعته عام ١٩٥٩، على وجوب نشر الاعلان من خلال النص:

لما كان إعلان حقوق الطفل يقتضي من الوالدين وكافة الافراد رجالا ونساءَ والهيئات التي تعنى طواعية برعاية الطفولة وكذلك السلطات المحلية والحكومات القومية، **أن تعترف بالحقوق الواردة في ذلك الإعلام وتعمل على مراعاتها:**

١- توصي الجمعية العامة حكومات الدول الاعضاء والوكالات المتخصصة بأن تتوسع في نشر نص هذا الاعلان الى اقصى مدىمستطاع.

٢- ترجو من الامين العام أن يعمل ايضا، على التوسع في إذاعته وتوزيعه بعد بذل كل ما يستطاع من جهود لنقله الى كافة اللغات.

كما أهاب الإعلان بالآباء وبالرجال والنساء والأفراد وبالهيئات التي تعنى طواعية برعاية الطفولة وبالسلطات المحلية والحكومات القومية، أن تعترف بهذه الحقوق وتعمل على مراعاتها بما تقوم بها من إجراءات تشريعية وغيرها على ان يتم ذلك تدريجيا وفقا للمبادىء المثبتة(٢).

اما إتفاقية حقوق الطفل، فقد اوجبت تعهد الدول الاطراف بأن تنشر مبادىء الاتفاقيات وأحكامها على نطاق واسع وبالوسائل الملائمة والفعالة بين الكبار والأطفال على السواء(٣).

وهذا يعني ان اللوائح والاتفاقيات الدولية قد أكدت على نشر أفكار عامة حول مضمون تلك الاتفاقيات، اي هي أرادت نشر العموميات التي تتفق عليها الثقافات المختلفة، ويظل لكل ثقافة خصوصياتها الاخرى من السمات الثقافية.

ولهذا، في الوقت الذي صدرت فيه لوائح وإتفاقيات دولية حول حقوق الطفل، وأقرتها الاقطار العربية او صادقت عليها فان مواثيق عربية قد صدرت حول حقوق

الطفل العربي، منها ميثاق حقوق الطفل العربي، عام ١٩٨٤، والدليل التشريعي النموذجي لحقوق الطفل العربي الذي اعتمده مجلس وزراء العمل عام ٢٠٠٠، والاطار العربي لحقوق الطفل عام ٢٠٠١.

وقد تضمنت إتفاقية حقوق الطفل الدولية: انها تأخذ في الاعتبار تقاليد كل شعب وقيمه الثقافية لحماية الطفل ورعايته.

مضمون ثقافة حقوق الطفل:

قد يوحي مفهوم ثقافة حقوق الطفل بأساس قانوني الامر الذي يدفع بالبعض الى التصور ان مجرد اجراء تعديلات في القوانين يكفل حقوقا للأطفال، غير ان توفير هذه الحقوق يتطلب عمليات اجتماعية وثقافية واتصالية واقتصادية قبل كل شيء.

ومع ان المواقف التشريعية ذات صلة بهذه العمليات، اذ هي لا تستغني عنها حيث يظل للثقافة السائدة في المجتمع موقعها البارز والأساسي.

ومن جانب آخر فان مضمون ثقافة حقوق الأطفال لا ينطوي على نصوص اللوائح والاتفاقيات الدولية، او الاقليمية، او الوطنية، بشأن حقوق الأطفال، في حد ذاتها، ذلك ان ما يشكل ثقافة في هذا المجال يتركز فيما ينجم عن استيحاء دلالات تلك النصوص من القيم والأفكار والاتجاهات واساليب التنفيذ، لان الثقافة سلوك يستند الى أساسيات فكرية. غير ان النصوص القانونية الدولية والاقليمية والوطنية تظل قواما عاما لمضمون هذه الثقافة اذا لم تتضافر معها العناصر الثقافية وطرائق الأخذ بها سلوكيا.

ولكي يأخذ المجتمع بحقوق الأطفال يترتب ان يكون لتلك الحقوق ثقافة بدل ان تظل مجرد نصوص تشريعية، وقد وجد، على مستوى الأخذ بحقوق الانسان، ان كثيرا من الدول تنص دساتيرها وقوانينها على تلك الحقوق دون ان تجد تلك الحقوق تطبيقا واقعيا.

ومن جانب آخر فان الاقتصار على اللوائح والاتفاقيات الدولية لحقوق الطفل والنظر اليها وكأنها وحدها قوام ثقافة حقوق الطفل يتناقض مع طبيعة الثقافة نفسها، تلك الطبيعة التي تتميز بصفة أساسية هي محليتها او وطنيتها، اي خصائصها الذاتية، ومن هنا أمكن النظر الى تداعيات اللوائح والاتفاقيات الدولية لحقوق الطفل انها جزء أساس من عموميات ثقافات الأطفال في البيئات المختلفة.

وهذا يعني ان ثقافات حقوق الطفل تستمد كثيرا من عناصرها العامة من منطلقات اللوائح والاعلانات والاتفاقيات الدولية الى جانب منطلقات اخرى يكسبها وجودها الواقعي في الصعيد الداخلي، إذ انه ليس هناك ثقافة عالمية لحقوق الطفل بل هناك ثقافات لحقوق الطفل في العالم، تلتقي في نقاط وتفترق في نقاط اخرى، وترجع الاختلافات الى تباين في بعض العناصر الثقافية وفي مواقع كل عنصر على سلالم قوام الثقافة.

ومن هنا فان مضمون ثقافة حقوق الطفل تشتمل في مضمونها على جوانب قانونية وصحية واقتصادية، بالطفولة وحقوقها ومشكلاتها وآمالها ومجمل أساليبها في التعامل مع الأطفال في الظروف المختلفة.

ويراد لهذه الثقافة، في نمطها المستنير، ان لا تكون موضع إهتمام النخبة وحدها، بل يراد ان تشيع في المجتمع كله، ذلك ان من خصائص الثقافة ان يشترك الافراد فيها.

كما يراد تفعيل دور النخبة ومؤسسات الاتصال في الاسهام بنشر هذه الثقافة على نطاق واسع، ما دام التعامل مع الأطفال يهم الكبار جميعا دون ان يقتصر على الأم والأب والمعلم. ومن هنا تظل هناك ضرورة ان تدخل ثقافة حقوق الأطفال في ثقافة المجتمع بما فيها الثقافات الشعبية. ولا تتشكل لقضية من القضايا ثقافة فرعية قائمة بذاتها إلا اذا أحس المجتمع ان تلك القضية تؤلف حاجة لشريحة او قطاع من المجتمع، حيث ان ثقافة حقوق الطفل تمثل ترجمة لكل ما يرتبط بهذه الحاجة.

ويبدو ان مصطلح "حقوق الأطفال" وكأنه دخيل او مستورد مما يجعل من غير اليسير شيوعه في التداول اليومي، وقد بدا عند ظهوره كمفهوم وكأنه حركة مطلبية.

وبسبب غربة مصطلح "حقوق الأطفال" عن الاستخدام اليومي راح الكثيرون يشيرون الى اهتمام التراث الاسلامي والتراث العربي بحقوق الطفل وبحقوق الانسان، ايضا، وتظل هذه الاشارة مقبولة اذا لم يكن مطلقوها يريدون مواجهة تيار حقوق الطفل، وحقوق الانسان عموما، ذلك ان في فكرنا المعاصر تيارات وجدت في تقليب

بعض صفحات الماضي ما يسوغ التهرب من الجديد، كما وجدت، من الجانب الآخر، في مقاومة بعض الاتجاهات الفكرية الوافدة ما يبرر لها التصدي للوافد عموما، وما يبرر لها في الوقت نفسه، التمسك بالقديم حتى وان كان من بين الرواسب الثقافية.

ويضاعف من الشعور بغربة مصطلح "حقوق الطفل" عن الاستخدام الشائع، أن مصطلح "حقوق الانسان" كان قد ظهر، هو الآخر، في الادبيات العربية الجديدة وكأنه مقحم، ذلك ان ثقافة حقوق الانسان في الغرب كانت وليدة تطورات إجتماعية مختلفة عن تطورات مجتمعنا العربي.

ومع أن الأعلان العالمي لحقوق الانسان هو اول وفاق عالمي، وهو الوفاق الوحيد حاليا للحضارات المختلفة والنظم السياسية المتنافسة حول مفهوم الانسان وهو اول مشروع جماعي للانسان، وهو نقطة الانطلاق لمئات الاعلانات والمواثيق والمعاهدات المنظمة "نظريا"[٥]، على الاقل، الا ان تلك الوثائق الدولية المتعلقة بحقوق الأطفال تختلف في مضمونها اختلافا واسعا عن الوثائق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان، ويرجع ذلك لاعتبارات أهمها ما بين الأطفال والراشدين من فروق بما في ذلك ظروف النشاط، حيث ان الفوارق بين الأطفال وبين الراشدين هي نوعية أكثر من كونها في الدرجة.

فاعلية ثقافة حقوق الطفل:

وحضور ثقافة حقوق الطفل في المجتمع يعني إقتناع المجتمع بمنطلقات تلك الثقافة على الصعيدين الفكري والأجرائي، وهي حين تكون مستنيرة تدفع بالمجتمع الى توفير ظروف حياة مناسبة للأطفال لأن تلك الثقافة تهيء للمجتمع القيام بدوره في التنشئة السليمة للأطفال وفي توفير أجواء مناسبة لهم للنمو الجسمي، والعقلي، والعاطفي، واللغوي، والاجتماعي.

وتظل ثقافة حقوق الطفل في المجتمع في حاجة مستمرة الى التهذيب والتطوير ما دام المضمون الثقافي متغيرا في منطلقاته، وبيئته، والمشاركين فيه.. لذا تتابع بعض المنظمات الدولية والاقليمية والوطنية المعنية اوضاع الأطفال المختلفة كي يكون الكبار

أكثر إحاطة بالطفولة وادق إحساسا بمستقبلها واعمق وعيا بحاجاتها ومتطلبات نموها، كما تتولى الدراسات والبحوث الميدانية الكشف عن حدود تمتع الأطفال بحقوقهم في مناطق العالم المختلفة.

وتعد الجهود التي تبذلها الهيئات المختصة من اجل الوقوف على حقوق الطفل في العالم بصورة مستمرة معينا لثقافة حقوق الطفل، حيث تعمل وسائل الاتصال الجماهيري على توفير أدبيات مناسبة حول الطفولة إعتمادا على جهود تلك الهيئات المختصة، ذلك لان الجهود المختصة لا تقود بالضرورة، الى تكوين ثقافة ما لم تسهم وسائل الاتصال في تكوين ارضية فكرية جماهيرية، وإبراز تطبيقاتها العملية قدر الامكان.

تزايد الاهتمام بثقافة حقوق الطفل:

وتتوزع أسباب تزايد الاهتمام بثقافة حقوق الطفل على جوانب تتعلق بالأطفال من جهة وبظروف حياة الراشدين بما فيها ظروف التغيير على الصعد الوطنية، والاقليمية، والدولية، **ومن بين ابرز تلك الاسباب:**

١- ان نسبة عالية من الأطفال فى مناطق مختلفة من العالم تعاني من مشكلات اجتماعية ونفسية وصحية بسبب عوامل عدة من بينها ضعف ثقافة الكبار في طرق التعامل مع الأطفال اي ضعف ثقافة حقوق الأطفال وتسحب تلك المشكلات الى ما يهدد حياة الأطفال ليس من خلال وقوعهم ضحايا النزاعات وأعمال العنف واشراكهم، قبل الآوان في المعارك، حسب، بل في وقوعهم ضحايا أساليب خاطئة في التنشئة.

٢- تبلورت أسس عامة مشتركة في العالم لبعض جوانب طرق التعامل مع الأطفال مما يقتضي نشر تلك الجوانب على نطاق واسع اذ لم يعد التعامل مع الأطفال يقتصر على ما هو سائد في البيئة المحلية، كما لم تعد حقوق الطفل قضية فردية تعالج من خلال قوانين وانظمة داخلية، بل امتد الامر الى النطاق العالمي واصبحت حقوق الطفل واحدة من القضايا الانسانية التي لها أبعاد محلية او داخلية بقدر ما لها من ابعاد عالمية.

٣- ان زيادة الاهتمام بالمستقبل، وتفرد دراساته للوقوف على مآلات الظواهر في المستقبل وزيادة التنافس بين الدول لتحقيق تقدم اوسع فرض وضع الطفولة في موضع إهتمام أكبر ما دام المستقبل يرتبط بحدود تهيئة الأطفال للغد.

٤- تحقيق العلوم المختلفة إنجازات جديدة حول الطفولة وقضاياها المختلفة وطرق التعامل معها، فضلا على ان التجارب الانسانية وعمليات الاتصال الانساني تواصل التزايد مما يجعل ثقافة حقوق الانسان في تجدد مستمر الأمر الذي يقتضي التواصل مع المستجدات اثراءً لثقافة حقوق الطفل.

٥- ان الظروف السياسية والاقتصادية والبيئية التي يحيا الأطفال فيها في تغير مستمر الأمر الذي تنتهي فيه تلك الظروف الى متغيرات جديدة تتطلب حسن التعامل مع الأطفال تجاوزا للمشكلات او حسما لها كي لا تبدو المشكلات وكأنها نوازل او مفاجأت ذلك ان الثقافة المتغيرة يمكن لها ان تحس بالظواهر وتتحسس المشكلات وتقرر اساليب التعامل معها.

٦- من الملاحظ ان من الآباء من يغرسون في أطفالهم بذور التعصب لولاءات غير متوافقة مع مقتضيات التقدم ومنها ما يقود الى نزاعات لم تكتسب منها الانسانية غير الدمار والقتل والتقهقر لذا فأن هناك ضرورة ملحة لان تعتمد ثقافة حقوق الأطفال المرونة أساسا بدل التصلب والتطرف.

٧- ان مستقبل حقوق الانسان في الوطن العربي يتحدد بفعل عدد من العوامل بعضها ذات سمات عالمية والبعض الآخر ذات سمات اقليمية وهناك مد عالمي متزايد يسير لصالح حقوق الانسان في كل مكان بما فيها الوطن العربي[٦]، لذلك فان هناك ضرورة ملحة لان تكون ثقافة حقوق الانسان حصيلة تفاعلية لثقافة حقوق الطفل بدون ان تكون امتدادا خطيا لها، الامر الذي يجعل من الثقافتين تتكاملان معاً بدون ان تختلط احداهما بالاخرى.

وتفصح هذه المقدمات عن اتجاهات ثقافة حقوق الطفل، ولما كان للإعلام ثلاثة وظائف أساسية هي: الوظيفة الاخبارية، والوظيفة التثقيفية، والوظيفة الترفهية،

فان العمل الثقافي عبر عمليات الإعلام يتطلب تضافر هذه الوظائف معا لتحقيق لاهداف ومنطلقات الثقافة، وفي مقدمتها ثقافة حقوق الطفل.

وعلى هذا فان إثراء ثقافة حقوق الطفل لدى الكبار تتطلب عمليات إعلامية مواجهية تقوم على الاتصال المباشر وعمليات غير مباشرة عبر الكتب والصحف والسينما والاذاعة والتلفزيون والحاسوب بحيث:

١- ان يكون اثراء ثقافة حقوق الطفل ونشرها على نطاق الجمهور هدفا من اهداف العمل الإعلامي في هذا الصدد، ذلك ان هذه الثقافة ما تزال في نطاق محدود، الامر الذي يتطلب مزيدا من الجهد الإعلامي والوصول الى الجمهور الواسع واقناعه بمنطلقات هذه الثقافة.

٢- ان تتوفر لحركة الإعلام نتائج واقعية لتحليل وثائق حقوق الطفل كي تستطيع وضع تلك النتائج في اعمال إعلامية على صعيد مجمل وسائل الاتصال الجماهيري.

٣- ان تراعي حركة الإعلام حدود التباين في اتجاهات الثقافة والتماثل في مضمون الحقوق، ما دامت المجتمعات تختلف في ثقافاتها وتتشابه فيما لها من حقوق.

٤- ان تستعين حركة الإعلام بأساليب حديثة في التوجه الى الجمهور ذلك ان الاساليب التقريرية اصبحت غير مثيرة لانتباه الجمهور الجديد في وقت ازداد فيه تنافس مصادر الإعلام من اجل كسب جمهور واسع.

٥- ان تبرز حركة الإعلام باستمرار ان قضية ثقافة حقوق الطفل قضية حيوية لها الصدارة بين القضايا وعليها يتقرر تطبيق حقوق الأطفال وحرياتهم، ووتوفر ظروف انماء الطفولة إجتماعيا، وعقليا، وعاطفيا، ولغويا، وبدنيا.

هوامش الفصل السادس:

(١) اعلان حقوق الطفل، ١٩٥٩.

(٢) اعلان حقوق الطفل، ١٩٥٩.

(٣) اتفاقية حقوق الطفل، ١٩٨٩، المادة ٤٢.

(٤) اتفاقية حقوق الطفل، ١٩٨٩، الديباجة.

(٥) د. منصف المرزوقي، حقوق الانسان، الرؤية الجديدة، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ١٩٩٦، ص ٥.

(٦) د. اماني قنديل، حركة حقوق الانسان في الوطن العربي، الفكر العربي، مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية، صيف ١٩٩١، العدد ٦٥، السنة ١٢، ص ٦٣.

الفصل السابع

الفضائيات الوافدة والأطفال العرب

الفضائيات الوافدة والأطفال العرب:

دراسة في التأثيرات المحتملة:

منذ ان ظهر التلفزيون كوسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري مع مطلع الخمسينيات أُطلقت كثير من التنبؤات حول احتمالات تأثيره في السلوك الانساني، بما في ذلك تاثيره في سلوك الأطفال، وكانت أغلب تلك التنبؤات ذاتية واجتهادية مقطوعة الصلةعن التلفزيون كظاهرة اتصالية وعن الطفولة كظاهرة نفسية واجتماعية.

وعلى هذا كانت بعض تلك التنبؤات مغالية في التفاؤل او التشاؤم، ففي الوقت الذي توقع فيها البعض للتلفزيون ان يكون اداة تنهي الامية وتزيل الفروق بين الثقافات وتنشر لغات بعينها، مالت توقعات اخرى الى توجيه التهم اليه وصب اللعنات على شاشته حتى قيل ان الانسانية – من خلال ذلك – لا تلعن التلفزيون، حسب، بل تكشف عن نفسها وحقيقتها، اذ هي تبحث عن كبش فداء تنسب اليه المشكلات التي تعاني منها والتي تعجز عن ايجاد حلول لها ، ولا تريد الاعتراف بانها وراء كل تلك البلايا.

وشهد مطلع التسعينيات تزايد من القرن العشرين القنوات التلفزيونية الدولية العابرة للحدود، عبر سواتل الفضاء، واصبح بالوسع التقاط عدد غير قليل من القنوات الناطقة بالعربية، وقد توجهت بعض القنوات الاجنبية لاستخدام العربية الى جانب اللغات الاصلية وانشئت قنوات فضائية عربية عن طريق التمويل العربي، كما ان الدول العربية سارعت الى انشاء قنوات فضائية. وعلى هذا تيسر للانسان في الوطن العربي التعرض لهذه القنوات باللغة الأم.

وحين بدأت حركة البحث الاتصالي العلمي بالتبلور امكن الوصول الى عدد من النتائج التي تعطي حقائق عن تأثيرات التلفزيون، الا ان كثيرا من العلاقات لم يتم الكشف عنها او التحقق منها نظرا لما يعترض (دراسات التأثير) من صعوبات منهجية واجرائية، خاصة، وان التأثير ينطوي على تحديد ما يحصل للافراد والجماعات من تغييرات في السلوك. كما تعترض دراسة السلوك معضلات متعددة. ويزيد من صعوبتها انها تتطلب قياس التبدلات في سلوك الانسان ضمن مجال زمني محدد، في

الوقت الذي يستدعي فيه ذلك القياس تتبعا اجرائيا، ويستوجب ان يكون الانسان موضوعا للاختبار، في وقت يتعذر فيه ذلك، الى حد كبير، خاصة وان من غير اليسير عزل تأثيرات التلفزيون عن بقية المثيرات في البيئة.

وقد تشكل ، بفضل الاتصال التلفزيوني الفضائي، جو جديد يحيط بالانسان العربي ويؤلف هذا الجو قوة سياسية واجتماعية ونفسية، ولهذه القوة مداخلها في السلوك.

وتعد الطفولة هي المرحلة الوحيدة التي تتميز بالحد الادنى من مقاومة المدخلات Inputs والمؤثرات الخارجية من البيئة الاجتماعية، او بالاحرى تتزايد، تدريجيا، قدرته على الانتقاء والاختزال والتعديل والرفض لهذه المؤثرات اي ان التأثير والتأثر يصبحان عملية اكثر تعقيدا، ويكون الفرد فيها باطراد فاعلا اكثر منه مفعولا به[١].

والنظر الى هذا الجو على انه جديد، رغم وجود البث التلفزيوني في المنطقة العربية، منذ بضعة عقود يعود الى ان البث الدولي، عبر السواتل، يرتبط بعدد من المؤشرات المهمة، منها:

١- اصبح تعرض الأطفال للقنوات الفضائية الوافدة متاحا بصورة مباشرة او شبه مباشرة، مما فوت على اجهزة التخطيط في الهيئات التلفزيونية العربية فرص الانتقاء والاستبعاد اذ تتاح اليوم للأطفال العرب فرص جديدة في التعرض للقنوات عابرة للحدود، هي تستخدم العربية لغة، وتوفر فرص التعرض على مدار اليوم، وتتيح لهم انتقاء المادة التلفزيونية من بين عشرات القنوات على وفق اهوائهم وميولهم، كما انها تصل اليهم دون المرور باي رقيب او حارس بوابة.

٢- بفضل تعدد القنوات التلفزيونية اصبحت أمام الأطفال فرص واسعة للتعرض للقنوات الواصلة والتنقل بين القنوات حسب مشيئتهم واختيارهم.

٣- ان كم ونوع المعاني والمشاعر التي تتضمنها الرسائل التلفزيونية الواصلة عبر السواتل تتوفر في صياغتها وطرق تقديمها عوامل لتشويق والجاذبية، فضلا عن الاثارة والجدة والتنوع في الموضوعات.. وحتى القنوات المدارة او المصنولة عربيا والواصلة عبر السواتل تشغل المادة الاجنبية حيزا كبيرا فيها.

واذا كان قد قيل، قبل عقدين من السنين، وقبل بدء البث الفضائي الدولي في المنطقة العربية: ان قدرة التلفزيون في الاستحواذ على عقول الأطفال العرب وعواطفهم قد بدأت تتعاظم بوتيرة عالية غير مسبوقة بالنسبة الى المؤثرات الثقافية في تنشئة الأطفال، كما تفصح الارقام عن ذلك، فان تغطية الوطن العربي بالبث الفضائي يشكل انعطافة واسعة في الظاهرة الاتصالية عبر التلفزيون، وهي في تاثيرها لا تقتصر على الأطفال وحدهم بل تشمل قطاعات المجتمع كله وانظمته ومؤسساته، وعلى هذا اصبح من اللازم وضع الاسس لمواكبة هذه الظاهرة دون الانشغال بمواجهتها، لان امر المواجهة يبدو محاولة غير مأمونة في عواقبتها.

ويحاول هذا البحث التقصي عما يمكن للتلفزيون الوافد ، عبر السواتل، ان يحدثه من تأثيرات اجتماعية ونفسية ومعرفية في الأطفال. وبهذا يشكل دراسة مستقبلية تقوم على التنبؤ من خلال تشخيص التأثيرات المتوقعة، على اساس ان التنبؤ وظيفة من وظائف العلم في الجانب المنهجي، كما انه على المستوى النفسي والاجتماعي يشكل ضرورة يستدعيها التفكير والتخطيط للمستقبل.

ومع ان التنبؤات التي توصل اليها البحث تظل في عداد الفروض، الا انها تقوم على اسس تأيدت صحتها، لذا فان هذه الفروض تشكل جانباً من المعرفة العلمية التي يمكن الاستفادة منها للتعامل مع الظاهرة التلفزيونية الجديدة الوافدة والتي تمثل قوة ذات فاعلية جديدة خاصة وان الفرض يؤلف واحدا من الابنية المنهجية لعلم الاتصال.

وكان الآباء والمربون وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والاتصال قد عنوا بالظاهرة الاتصالية عبر التلفزيون قبل ان ترتفع السواتل حول الارض وقبل ان تصبح ادوات تنعكس عليها الموجات التلفزيونية الى اجهزة الاستقبال بالبيوت، عابرة القارات متجاوزة الحدود.

ولم يكن الاهتمام بالظاهرة التلفزيونية وليد الايمان بان التلفزيون حقيقة اتصالية كبرى، حسب، بل هو وليد الاحساس بان للتلفزيون مستقبلا تتهيأ فيه ظروف جديدة لانه يصبح اكثر تأثيرا واشد فاعلية، ليس لان دراسات علم المستقبل، وتأملات الخيال العلمي وقد بالغت في ابراز قوة التلفزيون حسب، بل لان مراحل تقدم هذه

الظاهرة كات متتابعة وسريعة وواضحة للعيان، مما يجعلها تنذر فعلا بتأثيرات واسعة في الحياة بجوانبها المختلفة.

وقد استند هذا البحث، الى معطيات نظرية في علم الاتصال وما تراكم من معطيات اخرى ميدانية، مع الوضع في الاعتبار الظروف الجديدة التي تكونت على صعيد الوطن العربي وتلك التي ينتظر لها ان تكون.

وقد عني البحث بالقنوات الاجنبية الوافدة، دون إغفال القنوات الفضائية العربية الدولية او الممولة او المدارة عربيا، ذلك ان نسبة عالية من برامج هذه القنوات مستقاة من الانتاج التلفزيوني والسينمائي الاجنبي.

وقد اخذ البحث في الاعتبار، في تقصيه عن التنبؤات المحتملة ما يحصل للمجتمع كله من تأثيرات في المستقبل القريب، على اساس ان اي تغيير في المجتمع او مؤسساته او نظمه يقود الى حصول تغييرات في الأطفال.. مع اعترافنا بصعوبة وقوفنا على التغييرات في المجتمع العربي، الا ان مجرد وضعنا ذلك المؤشر، في الاعتبار يوفر فرص اثارة الانتباه الى هذه الظاهرة او تلك.

وهنا، لابد من الاشارة الى ان تحديد وتصنيف التأثيرات المحتملة في المجالات الاجتماعية والنفسية والمعرفية في الأطفال لا يحمل ميعارا للحكم فيما اذا كانت اي من تلك التأثيرات ذات بعد ايجابي او سلبي، ذلك ان كل مظهر يقود الى نتيجة ما، تبعا للظروف المحيطة بها.. فقد يقود احتمال تبدو عليه السلبية الى نتيجة ايجابية، ويقود احتمال تبدو عليه الايجابية الى نتيجة سلبية، اذ تظل مجمل الحالات والظواهر في حضن المجتمع، وهو الذي من خلال تعامله معها، يؤول الى هذا الموقف او ذاك.

وهذا يعطي مؤشرا له اهمية، اذ يتاح للمؤسسات التربوية واجهزة التنشئة الاجتماعية العمل على وضع الاسس للتعامل مع الاحتمالات المتوقعة والرفع بها نحو ما هو ايجابي، دون ترك العنان للظواهر ان تمضي تلقائيا.

وجدير بالذكر، ان هناك الكثير من الاسئلة ما تزال دون اجابة حول التأثيرات طويلة الأمد لوسائل الاتصال الجماهيري في الطفل، وفي الكيفية التي يؤثر بمقتضاها

تكرار افكار ما عبر التلفزيون، وعلى هذا ووفقا لما اشار اليه شرام فان للتلفزيون اثاراً في الطفل، خاصة وان القيم والآراء ووجهات النظر تتوالى من برنامج الى آخر، وتقدم في صور دراماتيكية تثير ردود افعال عاطفية، وهي ترتبط بحاجات الطفل واهتماماته العاجلة، اذ لا يميل الطفل الى نقد ما يرى بل هو يرتبط به عندما لا يكون الطفل قد شكل فعلا مجموعة من القيم عن طريق والديه واصدقائه او البيئة المحيطة التي تزود، عادة، بمستوى يفسر في ضوئه وجهة النظر الظاهرة في التلفزيون(٢).

وتيسيرا لايضاح نتائج البحث فقد تم تقسيم التأثيرات المحتملة في جانبين هما:

أولاً- التأثيرات الاجتماعية المحتملة في الأطفال العرب وتشمل:

١- شيوع ايقاع التلفزيون بين الأطفال.

٢- تبلور انطباعات عن افكار واشخاص واحداث.

٣- دخول الأطفال الى عالم الكبار قبل الاوان.

٤- اتساع الهوة بين ثقافة الأطفال وثقافة المجتمع.

٥- بروز النزعة الاستهلاكية.

٦- تقلص العلاقات الاجتماعية للأطفال.

٧- اقتطاع اوقات الأطفال في التعرض.

٨- انحسار فرص التفاعل في الجماعات الاولية.

٩- الانشغال عن اللعب.

ثانياً- التأثيرات النفسية والمعرفية المحتملة في الأطفال العرب وتشمل:

١- حدود اثارة العمليات العقلية والمعرفية.

٢- التوحد مع نماذج من خارج الثقافة.

٣- إثارة الشعور بالحرمان.

٤- شيوع الاسترخاء والتهرب من مواقف الحياة.

٥- اثارة آمال بعيدة المنال.

٦- اثارة الانفعالات.

٧- تكوين صور ذهنية منقوصة عن الاخرين.

٨- اللا مبالاة العاطفية.

٩- تبلور الالفة بين الأطفال وبين ما هو اجنبي.

ونعرض في المبحثين التاليين كلاً من الاحتمالات الاجتماعية والاحتمالات النفسية والمعرفية:

أولاً- التأثيرات الاجتماعية المحتملة في الأطفال العرب:

يمكن حصر التأثيرات الاجتماعية المحتملة في الأطفال نتيجة التعرض للقنوات الوافدة في الفئات التالية:

١- شيوع ايقاع التلفزيون بين الأطفال:

تعد الحركة عنصرا من عناصر اللغة غير اللفظية Non-Verbal Language الى جانب الاشارات والالوان والاضواء والظلال وغيرها من الرموز التي تشكل الرسالة الاتصالية التلفزيونية.. وكثيرا ما تتسم الحركة في التلفزيون بايقاع سريع.. وتشير الملاحظات الى ان بعض الجوانب الحركية التي تبدو في التلفزيون تنتقل الى الأطفال في نفس الوقت الذي يشكل التعرض Exposure للتلفزيون عاملا يشغل الأطفال - الى حد ما - عن اللعب والتدريب على الحركات الايقاعية بسبب ما يستنفده من وقت.

ويشار الى ان الأطفال كثيرا ما يقلدون حركات بعض الشخصيات التلفزيونية وبعض الاصوات.

وتتضح الحركة في التلفزيون في جوانب عديدة، فالاصوات المتواترة والسريعة على مستوى الاخبار والافلام الروائية والتسجيلية والكارتونية، والمشاهد التي ينقلها التلفزيون عن حركة المرور، والسباقات، والاصوات والمباريات الرياضية، والمطاردات، وحركة التنافس، واوجه الصراع، والاعمال الحربية، وموجات التمرد، وحركة الإجرام، التي يبدو فيها استخدام الآلات[٣] ويتضح فيها العنف والخوف والرعب والفزع، حيث يتم تجسيد ذلك كله على الشاشة الصغيرة.

مما يجعل الأطفال يحسون ان الحياة مليئة بالتنافس والصراع والاجرام والحركة العاجلة والموت. وتبدو لكثير من الأطفال وكأن العالم الذي يشاهدونه على الشاشة هو مرآة صغيرة للعالم الحقيقي مما يجعلها تتسلل الى نفوس الأطفال وبالتالي الى واقع حياتهم فتبدو ايقاعات حركتهم عنيفة.

والى جانب الحركة السريعة، والتعبير الانفعالي الواضح يعرض التلفزيون ما يلبي رغبة الكثير ممن ينشدون الهروب من الواقع تفاديا للتوتر الانفعالي او يجدون في التفرج على التلفزيون كسلاً وتراخ، ويريدون من التلفزيون ان يعطيهم الافكار جاهزة، وهم في صمتهم يتلذذون ويندفعون الى مزيد من السلبية.

وعلى هذا فان التلفزيون الوافد يشبع حاجات الأطفال الذين يجدون في الحركة السريعة ايقاعا يتوافق معهم، فيشبع هذا الجانب الايقاعي فيهم، وهو في الوقت نفسه يشبع حاجات الأطفال الميالين الى الكسل.

وعليه، فان من المحتمل ان يجد الأطفال في التلفزيون الوافد ما يشبع ميولهم في هذه الجوانب، اذ لم تسع المؤسسات الاولية والثانوية الى تكوين عادات اتصالية جديدة للأطفال في تعرضهم للتلفزيون الوافد، بما يزيد من التأثيرات الايجابية من جهة ويقلل من آثاره الضارة.. وتدخل ضمن هذا الاطار قضية العنف الذي يعد ظاهرة في التلفزيون، حيث يصر المعنيون بالعمل التلفزيوني والسينمائي ان العنف امر لازم، ولكنهم يشيرون الى ان من الممكن التخفيف من آثار العنف عن طريق شحن الافلام بالعواطف النبيلة والتعلقيات الاجتماعية الداعية الى الخلق الكريم.. يؤكد المعنيون بالعمل التلفزيوني والسينمائي ايضا على انه حتى الافلام التاريخية او التي تستعين بمشاهد تاريخية لا تخلو من العنف، حيث انطوى التاريخ على كثير من الاهوال والفواجع. ويذهب آخرون الى القول ان خير وسيلة للدعوة الى السلام هي بعرض العنف بكل انماطه واهواله عرضا صادقا لا يحاول اخفاء اثاره البعيدة في حياة الناس.

٢- تبلور انطباعات عن أفكار وأحداث وأشخاص:

يمثل الانطباع تصورا فكريا مجردا لشيء او شخص او معنى، وهو ليس انعكاسا بسيطا بل يقوم على ادراكات وخبرات سابقة، حيث يركز الفرد في المواقف

المختلفة على جوانب معينة من هذه الادراكات، ويستبعد او ينسى بعض الجوانب ويعيد تفسير مدركات اخرى عند تنظيم اي صورة او انطباعة ذهنية.

يقوم الانطباع الذهني على الادراك المباشر للموضوع وعلى مصادر غير مباشرة، كما هو الحال عند التعرض للتلفزيون. كما ان منه ما يقوم على مصادر اخرى يشكلها الخيال.

وعلى هذا فان التلفزيون الوافد سيتيح للأطفال تكوين انطباعات كثيرة عن المجتمعات والافراد والموضوعات المختلفة. ومن هذه الانطباعات ما لايمكن فيما بعد تغييرها بسهولة الا في حدود.

ويتخذ الأطفال احكامهم على اساس ما يحملون من انطباعات بما في ذلك ما يتعلق بتقبل الذات وتقبل الآخرين اذ ان السلوك الفردي والجماعي يتأثر الى حد كبير بالانطباعات الفردية والجماعية.

والتلفزيون الوافد يتيح للأطفال ان يشكلوا انطباعات من منظور مختلف عما هو سائد في البيئة العربية، لذلك الانطباعات تتسع لتشكل صورا ذهنية عن اساليب السلوك المختلفة، بما فيها السلوك الاجرامي، وعن المعنويات والظواهر المختلفة، وعن الاشخاص والمذهب والآراء والمواقف والاحداث والجماعات والمجتمعات.

ومن بين الظواهر التي تتعدد انطباعات حولها لدى الأطفال بفعل التلفزيون ظاهرة الاجرام، حيث تبين في دراسة ميدانية لنا ان بعض المراهقين الجانحين كانوا قد كونوا انطباعات عن الجريمة على انها امر سهل واعتيادي وبالتالي فان الاقدام عليها ليس غريبا او صعبا، وان المجرمين كثيرا ما يكونون موضع عناية الآخرين، وان بعض الافعال الاجرامية تنم عن شجاعة او بطولة[٤].

وهكذا يمكن القول بخطأ بعض الانطباعات التي يكونها الأطفال بفعل التلفزيون عن سائر الموضوعات الاخرى.

وعلى هذا فان كثيرا من الانطباعات الناجمة عن التعرض للتلفزيون الوافد يجعل من مهام الاجهزة التربوية والاجتماعية عسيرة لانها – في الغالب – تتخذ في اتجاهاتها مسارا مضادا.

ويمكن ان تتشكل انطباعات عن الذات والآخرين، بما يقود الى الاعجاب وهو ما اطلقنا عليه "الانبهار بالغرب" والذي يقود الى الشعور باليأس والاستكانة(٥).

٣- دخول الأطفال إلى عالم الكبار قبل الاوان:

اثبتت بحوث كثيرة ان الأطفال يقبلون على مشاهدة البرامج المخصصة للكبار، وفي مقدمتها: افلام الجريمة والعنف والبرامج الفكاهية والمنوعات. وكان ولبر شرام قد اشار - منذ فترة مبكرة - الى ان التلفزيون يضع الطفل وجها لوجه امام مشاكل الكبار في وقت يسبق كثيرا الوقت الذي يقابلها فيها على الطبيعة، كما اشار شرام: الى ان هذا الوضع يعطي الطفل في بعض البلدان فكرة مشوهة عن حياة الكبار فيما يتعلق بالطبقات الاجتماعية والمهن المرغوب فيها وطرق العنف التي تحل بها المشكلات.

ومع هذا لا يعرف المدى الذي تظل فيه تلك الفكرة عن العالم التي صورها التلفزيون هي فكرة الطفل عن الحياة الواقعية، كما لا يعرف الى اي مدى تؤثر في مشروعاته وآماله وسلوكه. لكن شرام لم يغفل الاشارة الى ان من المحتمل ان يعمق تعرض الأطفال لافلام الكبار في النفوس الشعور بالمسؤولية وينمي قدراته العقلية والعاطفية ويجعله اكثر قدرة على فهم حياته من خلال مشاهدته لبعض افلام الكبار(٦).

اما كلابر J. T. Klapper فيرى ان تعرض الأطفال لافلام الكباريجعل الأطفال يشعرون بشيء من حالة الصراع بينما ترى السيدة هيملويت ان الأطفال يجدون في التلفزيون وسيلة للتعرف على عالم الكبار، وعنصر تغيير واثارة وضمانا للأمن والطمأنينة(٧).

وهكذا فان الحديث عن اقتحام الأطفال عالم الكبار قبل الآوان وقبل ان تتوفر لديهم اسباب الحماية والحصانة على اساس ان ذلك التعرض ييسر للأطفال ان يستوعبوا منظر المجتمع ودور الكبار، فيه كما تصوره لهم شاشة التلفزيون وقبل الاطلاع على الحياة اليومية(٨).

وتكشف كثير من الدراسات الميدانية ان التلفزيون يوفر صورا عن الحياة الكبيرة ما كان بوسع الأطفال التعرف عليها لولا تعرضهم للتلفزيون، مثل اعمال

الهروب عند الحدود، واساليب تهريب المخدرات، والقتل، والمعارك الحربية، واساليب التحايل والخديعة التي يمارسها الكثيرون من مختلف الاجناس والاصناف، فضلا عن تعرف الأطفال على معلومات كثيرة عن الجوانب الاخرى كالحياة الجنسية، والحياة الخاصة لبعض الشخصيات.

وبوجه عام فان التلفزيون الوافد يزيد من اقحام الأطفال في عالم الكبارذلك العالم الغريب في ثقافته عن ثقافة الكبار.

٤- اتساع الهوة بين ثقافة الأطفال والثقافة الاجتماعية:

مع ان ثقافة الأطفال هي ثقافة فرعية Sub-Culture الا انها تشترك مع ثقافة الراشدين في عناصر متعددة، وفي انتظام تلك العناصر على سلم المكونات الثقافية للمجتمع[٩].

ولما كان للتلفزيون الوافد تأثيراته المحتملة في الاسرة العربية من حيث الوظيفة والدور والهدف[١٠] وطرق التعامل مع الأطفال، حيث ان دور الاسرة العربية في طريقه الى الانحسار شيئا فشيئا فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية، بسبب عوامل وظواهر اجتماعية، منها ظاهرة الاتصال الجماهيري عموما، والقنوات الوافدة عبر السواتل على وجه الخصوص، حيث ان كل ازدياد في دور التلفزيون في الاتصال الثقافي بالأطفال ينطوي على تقليل في دور الاسرة[١١]. وقد وجد في دراسات ميدانية ان التلفزيون يؤثرتأثيرا قويا عندما تقدم لهم القيم في شكل دراما، وهم يكونون اكثر استعدادا لقبولها عندما لا يكون بامكانهم كأطفال الحصول على معلومات من الاسرة في الموضوع[١٢].

هذا مع العلم ان هناك عوامل أخرى تزيد من تقليل دور الاسرة، منها خروج الام الى العمل، وانشغال الافراد بقضايا الحياة اليومية، وهذا يتيح فرصا اكبر للتلفزيون في فرض توجهاته على الأطفال، وبذا يساهم بشكل اوسع في عملية التنشئة الاجتماعية التي كانت الوظيفة الاجتماعية الرئيسية للاسرة.

ومن جانب آخر، فان المجتمع يفرز الذات التي تتلاءم مع قيمه وخصائصه وبنيته الاجتماعية حيث تكون التنشئة الاجتماعية عملية محافظة على النمط الثقافي

الاجتماعي السائد كي يتم تلازم الفرد مع البيئة، لكن التغيرات السريعة تبرز الحاجة – عادة – الى تنشئة الطفل بشكل يستطيع من خلاله استيعاب متطلباته والتمييز والتأقلم معها، ومن هذا المنظور تصبح التنشئة عملية تطوير وتغيير في حد ذاتها[١٣].

وعلى هذا، تشكل مجمل هذه العوامل والمعطيات ما يجعل ثقافة الأطفال متباينة – الى حد ما– عن ثقافة المجتمع، اي ان ثقافة الأطفال تتخذ مجرى سريان سريع له اتجاهاته المتميزة.. وهذا يعني ان التباين يتضح في العادات والتقاليد والمعايير والاتجاهات والقيم في مجملها ما دام الكل المركب لهذه العناصر يشكل كيان الثقافة.

وعليه، فأن الأطفال انفسهم، وخاصة في مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة يحسون ان المثيرات التي تبعثها الاسرة في عملية التثقيف تختلف الى حد كبير عن المثيرات التي يبعثها التلفزيون الوافد، وقد يقود هذ بالطفل الى التقليل من اهمية المثيرات الاسرية.

٥- *بروز النزعة الاستهلاكية:*

يتضمن السلوك الاستهلاكي انماطا من ردود الافعال والقرارات في شؤون الانفاق وكثيرا ما تستثار حاجات الأطفال مما يحفزهم على الانفاق اشباعا لتلك الحاجات.

ويتاح للطفل العربي بفعل التلفزيون الوافد الاطلاع على احوال جماعات الأطفال في العالم وهم في ملاعبهم ونزهاتهم ومدارسهم وبين اسرهم وفي البيوت والحدائق والاسواق حيث يتسير لهم الحصول على الكثير من لوازم النزهة واللعب والدراسة فضلا عن تيسر انواع الاغذية.. وهذا كله يحفز أطفالنا على اقتحام الانفاق والا فالشعور بالحرمان.

وحتى قبل ظهور التلفزيون عبر السواتل، شاعت نماذج استهلاك في البلدان العربية لدى الأطفال بشكل واضح[١٤].

ويحتمل ان تزيد النزعة الاستهلاكية لدى الأطفال بفعل الاعلانات المقدمة من القنوات الوافدة، حيث ان تلك الاعلانات تستميل الأطفال بايحاءات نفسية شديدة الجاذبية.

وفي دراسة ميدانية اجريت على عينتين من الأطفال في قطرين عربيين تبين منها ان الاعلانات المقدمة من كل من القناتين التلفزيونيتين تثير دواعي الأطفال الى الحصول على السلع المعلن عنها، كما ان تلك الاعلانات قد كونت انطباعات ايجابية عن الكثير من السلع المعلن عنها، بما فيها الاعلانات عن الموضوعات التي لا علاقة لها بالأطفال، اضافة الى ان ما يدفعهم الى الرغبة في الحصول على السلع المعلن عنها ليس حاجتهم اليها حسب، بل يدخل في ذلك الرغبة بالتباهي امام الاخرين انهم يقتنون او يستهلكون السلعة المعلن عنها في التلفزيون.. واشارت نسبة عالية من الأطفال الى ان الاعلان يذكرهم بأن الآخرين يمتلكون اموالا،وانهم افضل منهم في اوضاعهم الاقتصادية.. وهم يشعرون بالحزن لعدم قدرتهم على الشراء[١٥].

٦- *تقلص العلاقات الاجتماعية للأطفال:*

يقود التعرض للتلفزيون الوافد الى انصراف الأطفال جزئيا عن الاسهام فعليا في حركة العلاقات الاجتماعية خارج حدود الجماعات الاجتماعية، حيث يبعدهم انشغالهم بالتعرض عن اللقاءات مع الآخرين وعن اللعب وتبادل الآراء، وزيارة الاصدقاء وممارسة الرياضة، وغير ذلك من الطرق التي تعد اساسية لانماء الأطفال اجتماعيا.

ويوفر التلفزيون الوافد موضوعات تشكل مدارا للحديث بين الأطفال في اتصالهم المواجهي اذ كثيرا ما يتداول الأطفال في موضوعات ترد في الافلام والمسلسلات والاخبار والمواد التلفزيونية الاخرى، مما يعني ان التلفزيون الوافد لا يؤثر في العلاقات الاجتماعية بين الأطفال بسبب تعرضهم له حسب، بل هو – اضافة الى ذلك – يرسم موضوعات لأحاديث فيما بينهم خارج فترات التعرض مما يزيد من قوة تأثرهم.

وفي دراسة ميدانية، وجد ان ٨٧% من الأطفال الذين يكتسبون من برامج الأطفال يتحدثون حولها، ويزداد التحدث حولها بين ذكور عن الاناث، وبين أطفال الصفوف الاولى عن أطفال الصفوف الاعلى، وبين أطفال الحضر عن أطفال الريف[١٦].

٧- إقتطاع اوقات الأطفال:

عنيت الدراسات الاولى بآثار التلفزيون في الاوقات التي يقتضيها الأطفال في التعرض للتلفزيون، وقيس معدل الوقت يوميا، بحيث امكن القول ان ما يصرفه الطفل من وقت في التعرض يفوق - في الكثير من الاحيان - الوقت الذي يقضيه في المدرسة. وقيل وقتها ان البيوت التي دخلها التلفزيون احدث تأثيرا في مواقيتها، لذا وصف التلفزيون بانه ينصب نفسه حاكما مطلقا يتحكم في اوقات الطفل ومواعيده، او ان التلفزيون بسبب كونه في متناول يد الطفل يسمح بقتل الوقت.

ويلاحظ ان نسبة من الآباء كانوا يحاولون التحكم في تعرض الأطفال للتلفزيون، ففي دراسة ميدانية تبين ان الاباء الذين يفرضون على ابنائهم قيودا معينة في استخدام التلفزيون يريدون لابنائهم استذكار دروسهم بنسبة ٢ر٩٨% بينما لم تبلغ نسبة اولئك الذين لا يريدون لابنائهم مشاهدة الافلام الاجنبية المثيرة والمسلسلات المصرية التي تحوي على الجريمة والرعب عموما الا ٨ر١%(١٧)، وفي دراسة اخرى وجد ان ١٢ر٧٧% من الأسر يلجأ الى عدم تشغيل التلفزيون اثناء مذاكرة الأطفال وتلجأ ٨ر٦٦% من الاسر الى منع الأطفال من المشاهدة في الاوقات المخصصة للمذاكرة[١٨].

وكانت هيلدا هيميلوات وزملاؤها في الدراسة الرائدة عن التلفزيون والطفل، قد اشارت الى ان التلفزيون يسبب تغييرات في نظام اوقات الفراغ واوجه النشاط التي تتعطل نتيجة التعرض للتلفزيون هي تلك التي تخدم نفس اغراض التلفزيون، ولكن بصورة اقل تاثيرا، فالأطفال يترددون مرات اقل على دور السينما اذا ما يتيسر وجود جهاز تلفزيون في منازلهم، كما يقل اقبالهم على قراءة الكتب الفكاهية والمجلات القصصية وتقل فترات استماعهم الى الاذاعة.

ولكن ولبر شرام يلفت النظر في مسألة الفراغ والطفل الى طول الفترة الزمنية اليومية التي يقضيها الأطفال امام التلفزيون، وهذه الفترة التي كان شرام يأسف لضياعها تتضاعف اليوم بسبب التلفزيون الوافد والفرص الكبيرة المتاحة للأطفال للتعرض لقنوات متعددة وفي الوقت الذي يشاؤون فيه ذلك.

٨- انحسار فرص التفاعل في الجماعات الاولية:

تتشكل اساسيات لشخصية الطفل في نطاق تفاعله الاجتماعي ضمن الجماعات الاولية التي تعد الاسرة في مقدمتها، الى جانب جماعات الاخوان ورفاق اللعب على أساس ان الصلة بين الاعضاء فيها تتخذ شكل علاقات مباشرة تقوم على اتصالات مواجهية، ويسود في نطاقها الشعور بالنحن We-Feeling مع سيادة مشاعر الالفة والتواد والصراحة والحرية وانحسار الشكليات في التعامل.

وبسبب توفر فرص تلفزيونية متعددة للأطفال تقلل من فرص التفاعل الأسري المتمثل في الحوار والنقاش والمداولات والمراجعات التي تعد ذات اهمية في اثراء ثقافة الطفل وتكوين معاييره وقيمه، وتفرض كثير من المواد التلفزيونية على افراد الاسرة الصمت والانشغال بالتعرض فقط لفترات غير قصيرة، وفضلا عن ان رغبة الكبار في مشاهدة بعض المواد التلفزيونية يدفعهم الى اسكات الأطفال ومنع حركتهم، لذا فان استخدام فعل الامر (إش) يزداد تردد توجيهه الى الأطفال.

والعلاقات الاسرية الايجابية التي يكون الأطفال أعضاء فيها تعاونهم على تشكيل خلافات إيجابية على نطاق الجماعات الثانوية الاخرى، كما ان العلاقات بين اعضاء الاسرة والتي تتمثل في التأثير المتبادل بين افرادها تقود الى تكوين خبرات جديدة الا ان التلفزيون يشغل الأطفال جزئيا عن المشاركة في هذه العلاقات لذا قيل ان التلفزيون يسرق الأطفال من اسرهم.

وفي دراسة ميدانية اوضح المبحوثون ان من بين حوافز شراء التلفزيون ابقاء الفرد في المنزل[١٩] واوضح المبحوثون في دراسة اخرى ان نسبة عالية من الاسر ترى ان التلفزيون يعوّد الأطفال على عادات حسنة وعلى البقاء في المنزل[٢٠]. ومع ان التلفزيون يبقي افراد الاسرة وقتاً طويلا في البيت الا ان ذلك لا يزيد بالضرورة من توطيد الروابط التي تجمعهم[٢١].

٩- الانشغال عن اللعب:

كانت الدراسات الريادية عن العلاقة بين التلفزيون والطفل قد تحققت من ان

تعرض الأطفال للتلفزيون يحول دون ممارسة الأطفال لبعض الانشطة، وهم حين يمارسونها فأنهم يحرصون على ان يكون ذلك في أوقات لا تتعارض مع فترات التعرض للتلفزيون.

ولما كانت القنوات التلفزيونية الوافدة تتمتع بمزايا تجذب الأطفال، فضلا عن تنوع موادها وتوفر فرص الاختيار امام الأطفال، واستمرار البث في جميع ساعات اليوم، لذا فأن هناك احتمالا لان يقود تزايد ساعات تعرض الأطفال لهذه القنوات الى انصراف الأطفال جزئيا عن ممارسة انشطة الترويح، وخاصة نشاط اللعب، رغم ان الترويح يعد حاجة تربوية ذات اهمية كبيرة. ويتاح للطفل من خلاله تنمية قدراته الابتكارية وتعبيره عن نفسه وإكتشاف وإظهار شخصيته وما يكمن فيها من طاقات[٢٢].

ومن جانب آخر فأن للترويح وظائف اجتماعية من بينها حفز الأطفال على الانسجام مع القواعد المألوفة في الجماعات الاجتماعية والتأقلم مع انماط السلوك المقبولة، والتكيف مع عناصر الضبط الاجتماعي.

ومع ان الترويح يشمل اللعب والتسلية معا باعتباره نشاطا في اوقات الفراغ او الاوقات الحرة، الا ان دور الطفل في اللعب هو دور ايجابي بينما يغلب ان يكون دوره في التسلية سلبيا.

ويؤدي التلفزيون دورا ترفيهيا الى جانب وظائف اخرى متعددة ويبدو الترفيه اوسع نطاقا من التسلية، لانه ينطوي على حفز الطفل بطريقة مشوقة على ممارسة العمليات العقلية المعرفية كالتخيل والتفكير، مع اشباع هواياته وتحقيقه اشباعات نفسية واجتماعية، وتخفيفه التوتر، ومع هذا يظل اشغال الطفل عن اللعب ذا اثر سلبي في حياة الطفل الاجتماعية.

ثانياً- التأثيرات النفسية والمعرفية المحتملة في الأطفال العرب:

ويمكن حصر هذه التأثيرات في الفئات التالية:

١- حدود اثارة العمليات العقلية المعرفية:

تعد رسائل الاتصال التلفزيونية مثيرات للاحساس **Sensation** وعوامل جذب

للانتباه Attention وموضوعا للادراك Perception فضلا عن كونها مجالات للتخيل Imagination والتفكير Thinking .

وحتى عهد قريب كان الاعتقاد سائدا بان الاختلافات العقلية بين الأطفال ترجع الى الفروق الفردية في الذكاء، ثم بروز اعتقاد آخر بأن الفروق الفردية العقلية مصدرها الدافعية والميول والاتجاهات. وظهر فريق آخر في الستينيات من هذا القرن ليؤكد على وجود عوامل اخرى تشترك مع الذكاء والدافعية والميول، ولكنها تختلف عنها من حيث النوع وهذه الفروق اطلق عليها الاساليب المعرفية، وهي تشير الى طريقة الطفل في التعامل مع المعلومات عن طريق الفهم والتذكر والتفكير والحكم على الاشياء وحل المشكلات بحيث تذهب الى ابعد من مستوى الانجاز[٢٣] مما يؤكد كبر دور العمليات المعرفية في حياة الطفل العقلية والعاطفية.

ومع انه يشار الى التلفزيون على انه يقدم المعاني والمشاعر جاهزة عن طريق تجسيدها فنيا[٢٤] من خلال عناصر اللغة اللفظية وغير اللعظية[٢٥] مما لا يستدعى من المشاهد إعمال العقل بالتذكر او التصور او التخيل او التفكير الا انه ليس هناك من الادلة ما يثبت ان الطفل الذي يظل في معزل عن التلفزيون يكون اكثر قدرة على ممارسةالعمليات المعرفية، فضلا عن ان من غير الممكن القول ان الطفل الذي يتعرض لموضوعت مثيرة عبر التلفزيون لا يبذل مجهودا ذهنيا، الا اذا استثنيا اولئك الذين يجدون في التلفزيون فرصة ليس للاسترخاء الجسدي حسب بل للاسترخاء الذهني ايضا.

ومع هذا فأن استمرار الأطفال في تلقي الافكار المجسدة فنيا عبر التلفزيون عن طريق الاصوات والصور والرسوم والحركات والاضواء والظلال، بحيث تبدو للأطفال جاهزة دون ان يتاح للأطفال التفاعل الاتصالي – بسبب طبيعة التلفزيون – اذ .ن ذلك يمكن ان يقود الى اضعاف قدرة الطفل النقدية، على اساس ان التلفزيون فى هذه الحالة يبدو كأنه هو الذي يتذكر، وهو الذي يتصور وهو الذي يتخيل، وهو الذي يفكر بدلا عن الأطفال، وهو الذي يقدم الحلول جاهزة.

ويكمل هذا المنطلق ان الأطفال الذين يجدون انفسهم امام الافكار المصورة التي تصل اليهم دون ان يبذلوا كثيرا من العناء الذهني يقود الى هيمنة الصورة على تفكيرهم وكان قد تردد التحذير، من قبل، حول هذا الامر في صحافة الأطفال حيث تقطع اوصال القصص الى صور منفردة وتكتفي بجمل لغوية صغيرة.. مما يحد من خيال الأطفال، لان تلك الصحف تقدم لهم الفكرة جاهزة في صيغة شكلية محددة وتحرم الأطفال من ممارسة العمليات العقلية بالقدر الكافي فضلا عن حرمانهم من الحياة في جو القصة(٢٦).

ومن هنا يتضح ان التلفزيون الوافد، في اتاحة الفرصة الواسعة للأطفال للتعرض، يمكن ان يؤول في نتائجه في اتجاهين احدهما: ايجابي يتمثل في إثارة العمليات العقلية والمعرفية لدى الأطفال والمساعدة على انمائها،والثاني ايجابي يتمثل اخماد هذه العمليات او دفعها الى الكسل.

وهنا يبرز دور الاسرة بأعتبارها الخلية الاجتماعية الاساسية في المجتمع في بلورة عادات اتصالية مناسبة في تعرض الأطفال للقنوات الوافدة، اذ يترتب ان يتهيأ الجهاز التربوي من اجل اثراء الوعي الاسري بما يثير عمليات الأطفال العقلية المعرفية ويمنع ما يدفعها الى التكامل.

٢- التوحد مع نماذج من خارج الثقافة:

يعد التوحد **Identification** عملية نفسية يلجأ اليها الفرد إشباعا لبعض دوافعه وتخفيفا لما يعتريه من توتر، وذلك عن طريق توحده مع صفات طرف آخر: يحبه أو يعجب به، او يجد فيه ما يوفر له الطمأنينة، او التوافق، او التكيف، ويكتسب التوحد في مجال الاتصال مواصفات تجعله عنصرا في العملية الاتصالية، اذ يترتب توفر ثلاثة عناصر اساسية كي يتحقق الاتصال هي: وسائل مادية للاتصال، ورجع للصدى، ومقدرة على التقمص الوجداني **Empathy** ، حيث ينسحب التقمص الوجداني الى قبول مستقبلي الاتصال الافكار والمهارات والمعلومات(٢٧).

ويطلق على الشخص او الجماعة التي يتحقق التوحد معها بالنموذج **Model** حيث يستعير من يتوحد مع النموذج سمة او اكثر منه، وحين يزداد قدر التوحد فأن

الطفل يتصرف وكأن له خصائص النموذج، وتصبح بعض انواع السلوك اتوماتيكية او تصبح عناصر من شخصيته[٢٨].

وعلى هذا فأن من المحتمل، بفعل تعرض الأطفال للتلفزيون الوافد، شيوع نماذج متباينة للتوحد مما يتيح مجالا للأطفال للتشبه او الاعجاب بالشخصيات او تقليدهم ليس في ملابسهم وحركاتهم واكلاتهم وتعليقاتهم حسب، بل في انماط سلوكية اخرى وقبول معايير ومفاهيم خاصة، وان النماذج الظاهرة في القنوات الوافدة هي نماذج غريبة.

وهذا يعني ان الأطفال يجدون القدوة او المثل الاعلى او النموذج خارج ثقافة الأطفال وهو وليد التلفزيون، هذا مع العلم ان التوحد مع النموذج قد يقود الى تقليده في انماط سلوكية مضادة للمجتمع، مما يخلق تحديات جديدة.

وهناك دراسات ميدانية عديدة تشير الى العلاقة بين الطفل العربي والنموذج، وقد اوضحت احدى الدراسات التي اجريت حول الطفل والتلفزيون الكويتي، ان اهم الصفات التي تعجب الأطفال في البطل هي: الاضحاك (٤ر٧٦%) فالشجاعة والقوة (٦ر٦٢%) فخفة الظل (٢ر٤٧%) فحب المغامرة (٢٤%) فالطيبة (٤ر١٤%) ووجد ان (١١ر٦٧%) من الأطفال يميلون الى تقليد البطل ويرغب (٧ر٥٧%) الى ان يكونوا مثل البطل المفضل[٢٩].

٣- إثارة الشعور بالحرمان:

تتضمن مواد القنوات التلفزيونية الوافدة ما يعبر عن اوجه الحياة المختلفة في العالم بما فيها طرق حياة الأطفال وهم في داخل الاسرة، وفي المدارس، والملاعب، والمتنزهات، واثناء تمضية اوقات الفراغ، وعند تناولهم المأكولات والمشروبات، وما يتاح لهم من ظروف واجواء، وهذه كلها تشكل حوافز تدفع الأطفال لاجراء المقارنات بين واقع الأطفال في العالم وبين الواقع الذي يعيشونه مما يثير شعورهم بالحرمان والحسرة.

ويضاعف من ذلك ظهور اعلانات تلفزيونية توحي بأن السلع المعلن عنها هي الافضل ولا بديل عنها او مثيل لها، وبالتالي فان ما يتوفر من النتج المحلي منها خفيض في مستواه.

وفي دراسة ميدانية عن الأطفال وتأثرهم بالاعلان التلفزيوني في كل من بغداد وعمان تبين ان الموضوعات التي جذبت الأطفال في الاعلان التجاري كانت من النوع الذي يستجيب لحاجات الطفل اليومية وابدى الأطفال اعجابهم بالاعلانات لانها مغناة بألحان جميلة وتحوي حركات ومقاطع مثيرة، ولان الموضوعات المعلن عنها محببة ولان روح الفكاهة تطغى فيها. واظهر جميع الأطفال المبحوثين انهم يرغبون فى الحصول على الكثير من السلع المعلن عنها ومن بين اسباب الرغبة اشباع الحاجة، او مسايرة الآخرين، او التباهي فيما بينهم بأقتنائهم مواد يتحدث عنها التلفزيون.. كما اوضح عدد كبير من الأطفال ان الاعلانات تذكرهم بأن الآخرين يمتلكون تلك السلع او لهم القدرة على شرائها.. واظهر معظم الأطفال انهم يشعرون بالحزن لعدم قدرتهم على شراء كثير من السلع المعلن عنها[٣٠].

ويقود الحرمان، في كثير من الاحيان، الى الانكفاء على الذات والعزلة والتشبث باهتمامات جانبية، وقد يقود الى الغضب الصامت.. ويعد الحرمان نقيضا للاشباع العاطفي الذي يشجع على نمو الشخصية.

٤- إثارة آمال بعيدة المنال:

تسهم وسائل الإعلام الجماهيري في إثارة التطلعات نحو المستقبل والمعاونة على تخيل صور مستقبيلة، ولكن اغلب مؤشرات المستقبل التى يرسمها التلفزيون الوافد هي بعيدة المنال عن الأطفال في مجتمعنا العربي، لذا فان ما يرتسم امام الأطفال من صور مستقبليه عبر القنوات الوافدة لن تكون غير صور تشابه احلام اليقظة.

وفي حالة تكرر الصورة المستقبلية ذات الجاذبية والاثارة التي تعرضها القنوات الوافدة، مع تزايد إحساس الأطفال بانها غير ممكنة التحقق في المستقبل على صعيد مجتمعهم فمن المحتمل ان تبدأ مشاعر الاحباط بالتبلور لدى الأطفال منذ بدايات حياتهم الثقافية اذا لم يتعهد المجتمع العربي هذه الجوانب ويضعها بين اولويات المهام التربوية.

هذا، مع العلم ان مشاعر الاحباط لها تأثيرات سلبية في الحياة الاجتماعية والنفسية، وحين تبدأ مع بداية النشأة الثقافية للطفل فأن تأثيراتها تكون اشد.

ويتضح الاحباط Frustration فيما يحول بين الفرد وبين تحقيق رغبته المادية او المعنوية، او الشعور بان هناك ما يحول دون اشباع رغبة او تطلع ما او التوقع بامكان حصول ذلك الحائل في المستقبل، والى جانب ذلك فان التعلق بآمال غير واقعية دون امكان تحقيقها يقود الى الشعور بالضعف او الدونية مما يخل بشخصية الطفل على المستوى الفردي.

٥- شيوع الاسترخاء والتهرب من مواقف الحياة:

يوفر التلفزيون الوافد للأطفال فرصا واسعة للتسلية والاسترخاء والتهرب من اداء بعض الواجبات. وقد اظهرت دراسات عديدة ان التسلية والاسترخاء وطلب الراحة هي من العوامل الاساسية التي تدفع بالأطفال الى التعرض للتلفزيون.

والترفيه Entertainment الذي يعد وظيفة من وظائف وسائل الاتصال الجماهيري يعني حمل الفرد بطريقة مسلية ومشوقة على ممارسة العمليات العقلية المعرفية وزيادة نشاطه، الا ان التلفزيون يسهم في الترفيه حينا، الا انه يكون عامل استرخاء وسلبية حينا اخر تبعا لعوامل منها ما يتعلق بالمستقبلين واحوالهم النفسية او الاجتماعية.

ومع انه لم يكشف حتى الآن ان التلفزيون يجعل الأطفال راكدين الا في فترات التعرض، الا انه يلاحظ ان الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون منذ صغرهم تتشكل لديهم ميول نحو انواع التسلية الجاهزة.

وكانت دراسات ميدانية قد انتهت الى ان نسبة من الأطفال يشاهدون التلفزيون هربا مما يعانون من ضغوط حيث يتخذون من التلفزيون وسيلة للتسلية ونسيان المشكلات او المواقف غير السارة التي يمرون بها.

وهذا يلقي على اجهزة التنشئة الاجتماعية مسؤولية العمل على الحيلولة دون تردي الأطفال نحو السلبية، والعمل على توفير فرص اكبر للأطفال للمشاركة في اوجه النشاط المناسبة.

٦- إثارة الانفعالات:

تشكل فترات تعرض الأطفال للتلفزيون الطويلة فترات تقلب عاطفي ينطوي

على انفعالات متباينة، ومع ان تراثا نظريا علميا حول ما يؤول اليه ذلك من تأثيرات غير متوفر حتى الآن، الا ان هذا التقلب يجعل من الاوضاع النفسية للأطفال تحت هيمنة التلفزيون اذ يثار الحزن والغضب والخوف والفزع والقلق، فضلا عن ان ذلك يقود الى خروج الطفل على روتينية الحياة المعتادة اذ تعد عملية التعرض للتلفزيون في حد ذاتها عملية معقدة تجمع بين الحاجات والانفعالات والدوافع.. كما ان تأثيرات التلفزيون لا تحقق بصورة مباشرة، بل من خلال إثارة ردود افعال عاطفية، وخاصة من خلال المواد التلفزيونية ذات الاثارة والجاذبية والتشويق وعلى هذا فان التلفزيون يتيح الشعور بالطمأنينة تارة من خلال الموضوعات المألوفة، كما انه يثير الخوف والحزن تارة اخرى من خلال مواد العنف والمفاجأت، خاصة وان التلفزيون يضفي على المشاهد والمناظر ما يجعل الأطفال ، كمستقبلين، يتصرفون تصرفات تعويضية ضحكا ام بكاء ام حركات اذ تعد مواد التلفزيون وخاصة الدرامية منها تجسيدا لوقائع واحداث وابرازً لنقاط محددة فيها.. وقد وجد ، مثلا على مستوى انفعال الخوف – ان ما يخيف الأطفال هو التشخيص الواقعي للعنف وليس العنف الذي يصاغ في قوالب فنية، وكذا الحال بالنسبة الى الاحداث الخيالية لبرامج الرعب او البرامج المخصصة للمجالات الخارقة للعادة[٣١].

ومع هذا فان علاقة التلفزيون بالتكيف الاجتماعي والصحة العقلية للطفل لم تتم معرفتها بشكل متكامل بسبب قلة الدراسات الاكلينيكية، وخاصة التتبعية منها، حيث ان هناك ادلة تشير الى ان بعض برامج التلفزيون تثير الخوف في نفوس الأطفال، ومن جهة اخرى لوحظ ان الأطفال تستهويهم بعض البرامج التي تثير في نفوسهم نوعا من الخوف على انه مهما يكن من امر يظل الآباء مدعوين، اذا ارادوا تجنيب أطفالهم الاثار الضارة للتلفزيون، الى ان يمنحو، أطفالهم الرعاية البيئية المناسبة التي تساعدهم على تكوين علاقات ايجابية متطورة مع اصدقائهم، وتعويضهم عن دوافع الانغمار في مشاهدة البرامج المثيرة للمخاوف[٣٢].

وفي بحث ميداني عن التلفزيون المصري والطفل تبين ان اكثر المشاهد التي تثير الخوف والقلق لدى الأطفال هي منظر الشخص الذي يضرب شخصا اخر او

مجموعة اشخاص بخنجر او سكين (٤٢%) فالضرب بالمسدس (٣٣%) فمشاهدة الجريمة التي تحدث بدون تحديد لمعالم الصورة (٢٤%) ويحطم اعصاب الأطفال منظر الشخص الذي يرتدي قناعا اثناء ارتكاب الجريمة[٣٣].

وهناك نتائج كثيرة حول التلفزيون وحدود اثارته للعنف.. ومجمل هذه المعطيات تعطي المؤشر ان القنوات الوافدة ستزيد من اثارة انفعالات الأطفال وان لهذه الظواهر اثارا في الأطفال.

٧- اللامبالاة العاطفية:

تتضمن الرسائل الاتصالية التلفزيونية موادا تنطوي على احداث ووقائع، منها ماهي واقعية كما هو الحال في الاخبار والبرامج الاخبارية، ومنها ماهي مصنوعة كما هو الحال في الافلام الروائية، ومن بين تلك الوقائع والاحداث ماهي قاسية وعنيفة.

وتكرر تعرض الأطفال لتلك الفعاليات يقلل، بمرور الوقت، من حدود إكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية في الحياة اليومية.

وكثيراً ما يشاهد الطفل أحداثا مؤلمة، ومع هذا تكون ردود افعاله عابرة، ويرجع ذلك الى عوامل متعددة الا ان من بينها ان التلفزيون جعل من كثير من الاحداث متواترة ولا تثير الا ردود افعال ضئيلة او عابرة.

وبوجه عام فان اللا مبالاة العاطفية قد تقود الى قدر من التبلد العاطفي والى اضعاف مستوى النمو الانفعالي للطفل مع اضعاف القدرة على التقمص الوجداني مما يعد خروجا عما تسعى اليه التربية العاطفية.

٨- تكوين صورة ذهنية منقوصة عن الآخرين:

يحتل الانطباع، او الصورة الذهنية تصوراً فكريا مجردا لشخص او شيء او معنى، ويقوم على ادراكات وخبرات سابقة.. وقد تكون تلك الادراكات والخبرات مباشرة، وقد تكون غير مباشر، كما هو الحال في التعرض التلفزيوني، وقد يقوم - الانطباع - على الخيال.

ويوفر التلفزيون الوافد بسبب سعة الموضوعات التي يتناولها وتعدد مجالات التعرض فرصا امام لأطفال لتكوين انطباعات عن الجماعات والشعوب والاشخاص

ممن لهم شهرة في المجالات السياسية او الادبية او الفنية او الرياضية او تكوين انطباعات عن الاماكن كالبحار والمدن والارياف واماكن اللعب واللهو، او انطباعات عن الموضوعات مثل العواطف الانسانية واساليب التعبير عنها، والجرائم واساليب القيام بها او طرق مواجهتها.. الخ.

ولكن صورة العالم تبدو – عادة – من خلال التلفزيون مختلفة عن الواقع، والطفل نفسه يفسر كثيرا مما يتراءى له وفق اطره المرجعية وولاءاته وميوله وخبراته السابقة، فضلا عن ان بعض الظواهر تبدو للطفل غير مفهومة او غير معللة، او محيرة او مشكوك فيها، وخاصة تلك التي تبدو في شكل صراعات او تناقضات او في شكل افعال مضادة للمجتمع.

وهذا كله يعطي للأطفال صورة مشوشة وغير واقعية عن الجماعات والافراد والاشياء والموضوعات حيث ان هناك ادلة تجريبية عن ان التلفزيون الذي يتعرض له الأطفال وهم صغار يمكن ان يؤثر في الطريقة التي ينظم فيها الأطفال تصورهم للعالم على المدى القصير كما ان الصورة غير واقعية التي يكونها الطفل ربما تجعله يعجز عن التكيف مع الواقع المادي وخاصة في حالة التأثيرات غير المرغوب فيها(٣٤).

وقد تتكون لدى الأطفال بصورة غير مباشرة صور ذهنية عن الذات، وخاصة في حالة مقارنة الاوجه المبهرة في المجتمعات الاخرى بما هو كائن في مجتمعاتنا مما يكون انطباعات سلبية عن الذات والمجتمع في الوقت الذي يشكلون فيه صورا ذهنية ايجابية عن الآخرين تقوم على الاعجاب بهم، مما يبلور صيغة الانبهار بالآخرين.

ومن جانب آخر قد تتبلور لدى البعض شكوك او اتجاهات متعصبة في انطباعاتهم عن الجماعات الاخرى.. او يشكلون انطباعات ايجابية عن افعال سلبية مثل تصور الفعل الجرمي بطولة، او تصور الاجرام شجاعة.

٩- تبلور اسس الألفة بين الأطفال وبين ما هو اجنبي:

يتحول الطفل من كونه فردا الى كونه شخصا بفضل امتصاصه شيئا فشيئا عناصر الثقافة في المجتمع، ويولد الطفل وله الاستعداد لامتصاص اي ثقافة يجد نفسه في محيطها، لذا حين يكون التلفزيون الوافد عامل اثارة للأطفال منذ الصغر فان الطفل

يألف المظاهر والموضوعات الاجنبية مثل الاصوات اللغوية وغير اللغوية والموسيقى والغناء، وطرق اخراج الكلمات، وحركات اللعب والمشي، اضافة الى الفته للفنون الصورية.. وتكرر مشاهدته للطرق ولاساليب الحياة تجعل من الحواجز التي تحول دون تبلور الألفة بين الأطفال والمجتمعات الاخرى قد تهاوت الى حد ما.

ولهذه الظاهرة اثارها الواسعة، منها، على سبيل المثال الانقياد الى بعض توجهات الفكر الاجنبي، في الكبر، وسهولة فهم الأطروحات الفكرية الاجنبية.

ويتحقق ذلك على حساب انكفاء بعض الخصوصيات ابتداءً من الفنون الشعبية التي يحتمل ان تتعرض للنسيان مرورا بطرق الحياة الشعبية وصولا الى الثقافة الاجتماعية.

١٠ – تهيؤ الأطفال لفهم بعض الموضوعات المدرسية:

يعد التلفزيون مصدرا مهما من مصادر المعلومات بالنسبة الى الجمهور، وكذا بالنسبة الى الأطفال، وكان ولبر شرام قد اعتبر التزود بمعلومات دون جهد او تقصي هو عامل من عوامل انجذاب الأطفال الى التلفزيون.

وتشير بعض الدراسات الى ان الأطفال الصغار الذين يتابعون التلفزيون يسبقون اقرانهم في التعرف الى كثير من الحقائق والمعلومات بما يوازي عاما واحدا، ولكنهم يفقدون هذه الاسبقية خلال ستة الاعوام الاولى حين يمتزجون بالحياة الاجتماعية[٣٥].

ومع هذا وجد ان الأطفال الذين يتعرضون للتلفزيون يكونون عند التحاقهم بالمدرسة اكثر استعدادا لفهم كثير من الموضوعات الطبيعية التي سبق لهم مشاهدتها على الشاشة.

ومع هذا يظل مهماً ان نعلم انه ليس المهم تعليم الأطفال المعلومات، بل تعليمهم كيف يفكرون.

هوامش الفصل السابع:

(١) د. سعد الدين ابراهيم، تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة على الطفولة في الخليج، في: جامعة الامارات العربية، الطفولة في مجتمع متغير، ١٩٨٨، ص٣٩.

(٢) د. حسن الابراهيم، مجلة الطفولة العربية، الكويت، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، العدد٤، ت٢ (اكتوبر)، ١٩٨٥، ص ٣٩.

(٣) د. هادي نعمان الهيتي، استخدام الاحداث للألة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة التلفزيون بالتنبيه اليها، بغداد، المؤتمر العلمي المشترك الاول، ١٩٩٣.

(٤) د. هادي نعمان الهيتي، تعرض الشباب المراهقين لافلام العنف في التلفزيون والسينما والفديو وعلاقته بالاجرام، الندوة العلمية لكلية القانون، جامعة الموصل، نيسان - ابريل، ١٩٩٣ـ ص ٣٥ - ٣٦.

(٥) د. هادي نعمان الهيتي، الفضائيات الوافدة وظاهرة الانبهار بالغرب، بغداد، آفاق عربية، العدد ٣، ايار، ١٩٩٧، ص ١٩.

(٦) ولبر شرام، اثر التلفزيون على الأطفال، رسالة اليونسكو، العدد ٤٥، مارس، ١٩٦٥، ص ٢٣.

(٧) د. انشراح الشال، مدخل علم الاجتماع الإعلامي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٥، ص٢٠، ١٢٥.

(٨) كازو هيكو موتو، وسائل الإعلام الجماهيري، رسالة اليونسكو، العدد ٢١٤، مايو، ١٩٧٩، ص١١.

(٩) د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨، ص ٢١ - ٣١.

(١٠) د. هادي نعمان الهيتي، اتصالات الفضاء واحتمالات تأثيرها على الاسرة العربية، ندوة العائلة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، الاتحاد النسائي العربي، مايو، ١٩٩٤.

(١١) د. هادي نعمان الهيتي، صحافة الأطفال في العراق، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٩، ص ١٦ – ١٧.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٧.

(١٣) الطاف سالم العلي، تعقيب في الكتاب السنوي للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الطفولة العربية ومعضلات المجتمع البطركي، ١٩٨٥، ص٣٠.

(١٤) د. رحماني محمد، تغريب العالم الثالث: الخرافات والحقائق، ترجمة: د. مري محمد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص ١٧٨.

(١٥) د. هادي نعمان الهيتي، ود. نجم مردان، الاعلانات المقدمة من كل تلفزيون بغداد وعمان وتأثيرها في الأطفال، اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، ١٩٩١، ص ٣٦، ٩٠، ١٢٧.

(١٦) د. ابراهيم الخليفي، اثر التلفزيون على الطفل الخليجي في العقد الاخير، في جامعة الامارات العربية، الطفولة في مجتمع متغير، ١٩٨٨، ص٣٠٣.

(١٧) محمد حسن عبدالله، مشاهدة التلفزيون وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى بعض أطفال الريف المصري، مجلة النيل، العدد ٢٨، ت٢ – نوفمبر، ١٩٨٦، ص ١٠٦.

(١٨) هيئة تلفزيون ج. م. ع. التلفزيون والطفل: بحث ميداني، ندوة التلفزيون الدولي الخامس، حلقة البحث الثالث، ص ٨.

(١٩) انشراح الشال، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٢٠) ناهد رمزي، التلفزيون والصغار، وحدة بحوث الرأي العام والإعلام، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٥، ص٧.

(٢١) د. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة العامة للكتب المصرية، ١٩٧٧، ص٣٦٠.

(٢٢) انظر حول اهمية اللعب:

أ – فيولا البيلاوي، وسائل الترفيه واثرها التربوي، الكويت، ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربي الجديد، ٧-٢٠ نوفمبر، ١٩٨٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ب – سوزان ميلر، سيكولوجية اللعب، ترجمة: رمزي حليم، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤.

(٢٣) د. قاسم الصراف، الاساليب المعرفية عند الطفل، في الكتاب السنوي للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الطفولة العربية ومعضلات المجتمع البطركي، ١٩٨٥، ص٨١.

(٢٤) د. هادي نعمان الهيتي، التلفزيون وشيوع ثقافة الصورة في ثقافات الشباب العربي، آفاق عربية، العدد ١ كانون الثاني، ١٩٩٧، ص٢١.

(٢٥) د. هادي نعمان الهيتي، اللغة في عملية الاتصال الجماهيري، بغداد، دار السامر، ١٩٩٧.

(٢٦) د. هادي نعمان الهيتي، صحافة الأطفال، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٢٧) د. هادي نعمان الهيتي، الاتصال والتغير الثقافي، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨، ص ٥، ٥١.

(٢٨) جون كونجر وآخرون، سيكولوجية الطفولة والشخصية، ترجمة: احمد عبدالعزيز سلافة، دار النهضة العربية، ص ٣٧.

(٢٩) سعد عبدالرحمن وآخرون، التلفزيون وطفل المدرسة المتوسطة، الكويت، ١٩٧٤ .

(٣٠) د. هادي نعمان الهيتي، ود. نجم مردان، مرجع سابق، ص ٢٨ – ٣٩.

(٣١) د. هادي نعمان الهيتي، ادب الأطفال، مرجع سابق، ص٦٠.

(٣٢) اليونسكو، بحوث التلفزيون: ماذا والى اين، الفنون الاذاعية، العدد ٩، ١٩٧٥، ص ١٢٩.

(٣٣) هيئة تلفزيون ج. م. ع، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٣٤) د. جيهان احمد رشتي، الاسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص ٥٣٦، ٥٣٨.

(٣٥) د. هادي نعمان الهيتي، ادب الأطفال، مرجع سابق، ص ٣٥٦.

الفصل الثامن

علاقة التلفزيون بإثارة إجراءات التجنب عند ارتكاب الأحداث والأفعال الجانحة

علاقة التلفزيون بإثارة إجراءات التجنب عند ارتكاب الأحداث والأفعال الجانحة:

تعتبر إجراءات التجنب من الاساليب التي يتبعها الافراد في المواقف الحرجة، بوجه خاص، لتيسير انجاز فعل ما او التخلص من الاذى والعقاب.

ويتكرر ظهور إجراءات تجنب اجهزة الضبط الاجتماعي فى الافعال الجانحة والجرمية، كما يتكرر ظهور مشاهدها الواقعية والخيالية بشكل محبك ومنظم - في الغالب - في المواد التلفزيونية المختلفة، وخاصة في الافلام البوليسية وافلام المغامرات.

وحيث ان هناك وجهات نظر كثيرة تربط بين التلفزيون وجنوح الاحداث، لذا فان هذا الفصل يحاول التقصي عن العلاقة بين جانب، كثيرا ما يرافق الافعال الجانحة، هو إجراءات التجنب التي كثيرا ما يحرص الجانحون من خلالها على تنفيذ الفعل الجانح والتخلص من الانكشاف وبين ما يشاهدونه عبر التلفزيون من مشاهد توضح تلك الإجراءات.

وقد اجرى الباحث دراسة ميدانية لحالة (٥٠) حدثا من الاحداث الذين ارتكبوا جرائم سرقة وقتل واغتصاب جنسي ممن حكم عليهم وتم ايداعهم في مركز للاصلاح هو مدرسة الشباب البالغين.

وقد توصل البحث الى الى عدد من المؤشرات التي تفصح عن العلاقة بين التعرض لمشاهد العنف في التلفزيون وبين اتباع إجراءات تجنب الشرطة.

وقد قسم الفصل الى قسمين، الاول الإجراءات المنهجية للبحث، وتضمن الثاني النتائج التي تم التوصل اليها.

منظور البحث ومنهجيته:

في كتابه عن "ادارة الشرطة" يشير الخبير أ. و. ويلسون الى ان عاملين اساسيين يتوقف عليهما ارتكاب الجريمة، اولهما: الدافع المتسلط على الفرد لارتكاب

الجريمة، وثانيهما: اعتقاده ان الفرصة لارتكابها سانحة[١]، لذا فان مرتكبي الجرائم يحرصون – في الغالب – على ان يجدوا الظروف المناسبة للقيام بافعالهم الجرمية، حيث يلجأون الى تباع – اساليب متعددة قبل تنفيذ الجريمة واثناءها وبعدها بحيث يكونون في منأى عن الاجهزة المعنية بالضبط الاجتماعي كالتهرب منها، او تضليلها او استغلال فرص غيابها او انشغالها او ضعف قدرتها على الاحساس، مهيئين بذلك جانبا من الظروف لارتكاب الجريمة او للتخلص من العقاب.

ويدخل هذا الموقف ضمن اطار تجنب الخطر الذي يعد خصيصة انسانية عامة، حيث ان جميع تصنيفات الحاجات الانسانية تشتمل عليها، من بينها تصنيف ماسلو Maslow الذي تضمن نظاما سداسيا للحاجات يقوم على اساس الاهمية النسبية لاشباع الحاجات. وقد جاءت حاجة الشعور بالامان Safety need في المرتبة الثانية بعد الحاجات الفسيولوجية.

وتظهر حاجة الشعور بالامان لدى الاطفال بوضوح في تجنبهم التعرض لمراقف الخطر المدركة على اختلاف اشكالها، وكذلك في تجنبهم المواقف غير المألوفة والغريبة بالنسبة اليهم والتي تنشأ عنها استجابات الشعور بالاضطراب. وهذه الحاجات بوجه عام تتضح لدى الاطفال والراشدين معا، وبشكل بارز في مواقف الشعور بالخطر[٢].

وإجراءات التجنب Avoidance Procedures هي مواقف تمنع فيها الاستجابة تقديم التعزيزات السلبية او تعوقها[٣]، وهي تنطوي على سلوك مكتسب، لذا فان تعلم التجنب Avoidance Learning يشير الى موقف تعلمي تجعل الاستجابة فيه الفرد يتهرب من العقاب او يبتعد عنه، ويحتمل رد الفعل التجنبي Avoidance Respons or Reaction سلوكاً ظاهراً يتحرك فيه الفرد بعيدا عن التنبيه[٤].

وتتضمن الافعال الجانحة التي يرتكبها الاحداث إجراءات تجنب يقتضيها التمهيد للفعل الجانح او تلافي الفشل او التخلص من الخطر، او الحيلولة دون الافتضاح او الابتعاد عن العقاب، او تسرب معلومات عن الموقف الى الشرطة او الى آخرين

يحتمل ان يكونوا مبلغين او شهود رؤية، او تسرب معلومات قد تسفر عنها معاينة موقع الجريمة والتي يحتمل ان تقود الى التعرف الى شخصية الجاني.

وعلى هذا فان مرتكبيى الافعال الجانحة والجرائم يلجأون الى اتخاذ إجراءات تجنب متعددة الاشكال، ويصل مستوى تلك الإجراءات الى اتباع حيل واساليب خداع معينة تحقيقا لتنفيذ الفعل الجانح او الجريمة او للتخلص من العقاب.

وتنطوي كثير من المواد التلفزيونية التي تعرضها جميع محطات التلفزيون الجماهيري على مواقف تتضح فيها إجراءات تجنب بما فيها بعض الحوارات التلفزيونية والمواد الدرامية الخيالية.

ويمكن حصر مواد التلفزيون في ثلاثة جوانب اساسية، تتمثل الاولى: في تسجيل وارسال الاحداث الاخبارية، والثانية: تقديم الافلام التلفزيونية والسينمائية، و**الثالثة:** تقديم المسرحيات وبرامج المنوعات وما في عدادها[٥]، وهذه الجوانب الثلاثة تتضمن مواقف مثيرة، منها ما ينطوي على تجنب او خداع فالاخبار والبرامج الاخبارية المصورة في التلفزيون، تظهر فيها مواقف عنف وتبدو فيها – في احيان كثيرة – إجراءات تجنب ليس على صعيد المعارك الحربية التي يتكرر ظهورها في التلفزيون حسب، بل على صعيد الصراعات الايديولوجية وما تقود اليه من منازعات أيضا. وكذا الحال بالنسبة الى اخبار الكوارث والنكبات التي تظهر فيها مواقف التجنب أيضا اتقاء اخطارها.

وفي الافلام الروائية[٦]، كثير من المواقف الدرامية التي تنطوي على مشاهد مثيرة، منها ما هي جرائم فردية او جماعية، عمدية او عرضية، ومنها ما هي جرائم على حياة الانسان او حريته او على امواله، او على النظام الاجتماعي او الاقتصادي، او السياسي، او على الملكية الادبية او الفنية، وفي مجمل هذه الجرائم يمكن ان تتضح إجراءات تجنب او تحايل على رجال الشرطة من قبل الجناة من خلال المطاردات او التنكر او الهروب او التخفي، كما هو الحال في الافلام البوليسية بوجه خاص[٧].

ففي الافلام البوليسية يظهر رجال الشرطة ابطالا يدافعون عن الحقوق ويعملون من اجل القبض على الجناة متحملين الصعاب مستعدين للتضحية، مستعينين

بمختلف الالات والادوات والاسلحة. وقد يظهر رجل الشرطة فيها ذكيا له القدرة على الاستنباط واستخلاص النتائج التي يغفل عنها الكثيرون متوصلا بفضل ذلك – الى الكشف عن مرتكبي الجرائم[٨] – .

وفي افلام المغامرات الاخرى مشاهد تستغل الخيال في وقائعها سبيلا للانطلاق والاثارة، لذا فان الشباب ينشغلون بالطريقة او الحيلة التي يلجأ اليها مخرج البرنامج في انقاذ البطل[٩].

وتأخذ اوجه الصراع والعواطف الحارة حيزا في افلام الجريمة وتتطور فيها الاحداث والانفعالات ويتزايد العنف قبل ان يؤول الفلم الى الحل.

ولا تخلوا الافلام التسجيلية[١٠] واقلام الرسوم المتحركة وافلام العرائس من اعمال عنيفة ومواقف تجنب وتحايل، وبالاضافة الى ذلك، فان افلام الخيال العلمي هي الاخرى تتضمن مواقف من هذا القبيل، مثلما تنطوي على اعمال مغامرة ومواجهات وتنافس وصراع[١١].

ولا تكاد برامج محطة تلفزيونية جماهيرية ان تخلو من تلك المواقف، خاصة وان برامج العنف واخبار الحوادث والافلام والتمثيليات تزخر بجوانب منها، وقد اجريت تحليلات لمواد تلفزيونية عديدة وتبين منها صحة ذلك، فقد تم تحليل المواد الاخبارية، وما تنطوي عليه من حوادث عنف في التلفزيون الامريكي ابتداء من بدء ظهوره وانتشاره وقسم تاريخ التلفزيون الامريكي على اساس ذلك الى عقود، كان العقد الاول وهو عقد الخمسينيات قد اتسم بانه كان في "فترة التدريب" حيث كانت اغلب مواده جديدة على الشاشة الصغيرة، وقد شكلت الاخبار قوة اجتماعية، اما في الستينيات فقد تحول الى حالة حرب، حيث نقل لاول مرة في التاريخ وقائع اغتيالات سياسية لعدد من الرؤساء والقادة، منهم جون كندي، وداعية الحقوق المدنية مارتن لوثر كنغ، وروبرت كندي، اضافة الى انتقال التلفزيون الى المنازل والشوارع عند تغطية اضطرابات الحقوق المدنية، من ثم تغطية مذابح الجنود الامريكان وهم يحاربون في ادغال فيتنام. وفي عقد السبيعينات استمر التلفزيون في تغطية انباء الحرب الفيتنامية

وانسحاب الجيش الامريكي وبقايا الاضطرابات الطلابية، وتغطية احداث كثيرة دامية اخرى مما جعل الاتهامات توجه الى التلفزيون بانه ينشر الرعب ويثير العنف[١٢].

ويزيد من قدرة التلفزيون على ابراز إجراءات التجنب استخدامة طرقا فنية في التصوير واستخدام الكامرات وعمليات المونتاج وتشكيل الديكور والاستعانة بالخدع السينمائية فضلا عن امكانات اخرى مكملة كاستخدام اكثر من كاميرا واحدة او وضع الكامرات في زوايا مختلفة ودمج اكثر من مشهد في لقطة واحدة، والاستعانة بلقطات قريبة من الكاميرا واخرى بعيدة، مع اظهار لقطات مكبرة تتناول موضوعات تسجيلية او خيالية الى جانب استخدام الاقنعة وترتيب المشاهد واللقطات بما يقود الى الفكرة في عملية المونتاج[١٣]، حيث تلعب المؤثرات الخاصة دورا مهما في ابراز الموضوعات والإجراءات والاساليب والافكار اضافة لما يمكن احداثه من اجواء مثيرة.

ومن بين المؤثرات الخاصة ذات الفاعلية في العمل التلفزيوني استخدام الخدع السينمائية التي كانت قد استخدمت في السينما على نطاق واسع منذ الايام الاولى للفلم السينمائي التجاري وقد ازداد استخدامها بعد ذلك بطرق مختلفة عما كانت عليه في بدء ظهور السينما[١٤]، حيث تقدم الخدع السينمائية والتلفزيونية بشكل محبك دون ان يستطيع المشاهد اكتشاف الحيلة او البراعة[١٥].

ومجمل هذه الجوانب تشكل عبر انتظامها في التلفزيون طرقا واساليب للسلوك في المواقف المختلفة، بما في ذلك مواقف الجريمة والجناح، التي يتردد فيها اتباع التجنب والخديعة والتحايل.

وهنا لابد من الاشارة الى عنصر مكمل هو ان المشتغلين في الفن التلفزيوني يرون (ان الفن يجب ان يتحايل على الحقيقة، لا ان يظهرها على ما هي عليه، وان الفن ينبغي ان يكون تعليقا على الواقع لا الواقع نفسه)[١٦].

ان موضوع جنوح الاحداث من الموضوعات الخطيرة في مختلف المجتمعات نظرا لان جنوح الاحداث يمكن ان يقود الى تفريخ الجريمة، اذ يمكن ان يصبح منحرفو اليوم من الاحداث مجرمين في المستقبل اذا لم يتحقق اصلاحهم.

وحيث ان لجنوح الاحداث أسبابا متداخلة، وحيث ان كثيرا من الدراسات والبحوث لم تنته الى تحديد آثار التلفزيون في الجنوح بشكل قابل للتعميم، لذا فان دراسة هذا الجانب تظل في حاجة الى مزيد من التناول العلمي الميداني.

ومن جانب آخر، يشيع بين بعض العاملين في جهاز الشرطة مفهوم يرى ان بعص الاحداث يحاكون التلفزيون في بعض الجرائم، خاصة وان بعض الاحداث الجانحين يحاولون الادلاء بمعلومات امام اجهزة الشرطة يريدون بها إقناع هذه الاجهزة بان مبعث قيامهم بالافعال الجانحة يعود الى تقليدهم بعض ما يشاهدون في التلفزيون من اعمال مغامرة، كما ان بعض اولياء امور الاحداث الجانحين يحاولون امام اجهزة الشرطة القاء اللوم على التلفزيون في تبرير افعال ابنائهم الجانحة.

وليس هذا حسب، بل ان هناك آراءً كثيرة حول وسائل الاتصال الجماهيري وتأثيراتها ما تزال غير متحقق من صحتها علميا، اذ ان الكثير منها يقوم على الاجتهاد وكذا الحال بالنسبة الى بعض قضايا الجريمة والجناح، وما تزال الدعوات تتكرر لاجراء مزيد من البحث العلمي حول هذه القضايا للوصول الى حقائق علمية يمكن الاسترشاد بها في التخطيط للاتصال الجماهيري ولمواجهة الجريمة.

ومن بين تلك الدعوات، ما دعا اليه جيمس ولسون المستشار في لجنة دراسة الجريمة في اميركا في كتابه "تأملات في الجريمة" الصادر عام ١٩٨٣ حيث يقول: ان هناك قلة فقط من اصحاب الاختصاص في العلوم الاجتماعية يميزون – عند عرض الامور – بين ما يعرفونه كعلماء وبين ما يعتقدونه كمواطنين عاديين. ويرى: ان علماء العلوم الاجتماعية لم يقضوا وقتا كافيا في مناقشة العلاقة بين المعرفة العلمية والاعتقاد. كما ان فشل حلول الجريمة التي نادى بها علماء الاجرام والاجتماع تعود في الاساس، الى كونها حلولا ايديولوجية لا علمية، واعترف: انه اكتشف، بعد فوات الآوان، ان اكثر علماء الاجرام والاجتماع هم جزء من تقليد فكري لا يملك مناعة ذاتية تحميهم من مغبة التسرع في تحويل آرائهم الى سياسة[١٧]، مما يحتم ان يظل التناول ملتزما بشروط التفكير العلمي للوصول الى تشخيص الظواهر بشكل موضوعي بما في ذلك ظاهرة جنوح الاحداث.

ويلاحظ ان لجوء الاحداث الى إستخدام اساليب التجنب والخديعة عند اقترافهم الافعال الجانحة يشكل معوقات امام اجهزة الشرطة في قمع الفعل الجانح قبل وقوعه او التعرف على الجناة، حيث ان إجراءات التجنب والخديعة تزيد من الغموض الذي يكتنف عددا غير قليل من الجرائم والتي تسجل عادة ضد مجهول، فضلا عن ان تزايد الحالات التي لا تستطيع الشرطة فيها التوصل الى الجناة يفقد الجمهور الثقة بجهاز الشرطة، ويزيد من الفرص امام الاحداث للاقدام على ممارسة الفعل الجانح.

ومجمل هذه الجوانب تفصح عن اهمية البحث في تناوله مسألة إجراءات تجنب الشرطة وخديعتها، تلك الإجراءات التي كثيرا ما تظهر في كثير من المواد التلفزيونية والتي يتردد القول ان الاحداث يكتسبون من خلالها الطرق التي تجعل من الممكن لهم تنفيذ افعالهم الجانحة، او التخلص من العقاب، خاصة وان إجراءات التجنب والخديعة التي تعرضها محطات التلفزيون هي وليدة عمليات تخيل وتفكير وهي تقدم للمشاهدين بشكل جاهز يسهل ادراكه، فضلا عن قوة المؤثرات الخاصة التي تشكل عوامل جذب نحوها.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة الى تحديد علاقة التلفزيون، وخاصة من خلال برامج العنف باثارة إجراءات تجنب وخديعة الشرطة التي يتبعها الاحداث الجانحون قبل اتيانهم الافعال الجانحة واثناءها وبعدها.

مجال الدراسة وعينته:

شمل المجال البشري للدراسة الاحداث الجانحين المحكوم عليهم في جرائهم القتل والسرقة والاغتصاب الجنسي ممن اقترفوا الفعل الجرمي ضمن مجال زمني هو السنوات الثلاث الاخيرة.

اما العينة فقد تضمنت خمسين حالة من المودعين في مدرسة الشباب البالغين. ممن كانت اعمارهم عند اقتراف الفعل تتراوح بين ١٥ – ١٨ سنة، شريطة ان يكون

المودع ممن كان يتعرض للتلفزيون قبل الايداع وان يعترف للباحث بانه اقترف الفعل وفقا للمادة القانونية المحكوم بموجبها وبتأييد من ادارة المدرسة.

وقد تمت المعاينة عشوائيا تحقيقا لسلامة تمثيل المجتمع الاصلي في المدرسة التي تضم المحكوم عليهم من الشباب البالغين من جميع انحاء القطر.

اسلوب الدراسة:

اتبع الباحث اسلوب دراسة الحالات متخذا من الحدث الجانح وحدة للبحث على اساس ان دراسة الحالة هي: اسلوب يتجه الى جمع البيانات المتعلقة بأية وحدة، سواء اكانت فردا ام مؤسسة ام نظاما اجتماعيا ام مجتمعا محليا، ام مجتمعا عاما، حيث تتيح دراسة الحالة التعمق في دراسة المواقف بدل الاكتفاء بالجوانب التي قد تكون غير ذات دلالة حقيقية(١٨) حيث ان دراسة الحالة تعطي صورة كلية شاملة عند دراسة ظاهرة معينة في مجتمع محدد للبحث.. وذلك من خلال تركيزها على الموقف الكلي او مجموع العوامل التي تساعد على وجود موقف معين، ووصف العملية التي يتم من خلالها احداث سلوك معين، اضافة الى دراسة السلوك الفردي داخل الموقف الذي يقع فيه وتحليل الحالات ومقارنتها.. ومع ان دراسة الحالة كثيرا ما تنطوي على وحدة واحدة الا ان الطابع العميق لدراسة الحالة يجعل من الممكن عمليا بحث عدد من الحالات ودراستها دراسة متعمقة.. اذ ان اختيار العينة الممثلة يمثل سدا لوجه القصور الاول في دراسة الحالة في حالة اعتمادها على وحدة واحدة(١٩).

طريقة استقاء البيانات الميدانية:

اعتمد الباحث طريقة مقابلة المبحوثين بعد تهيئة الظروف المناسبة، اعتمادا على التبادل اللفظي بقصد الحصول على بيانات تفصيلية عن الموقف على اساس ان المقابلة المعمقة (تمكن الباحث من التصرف على مشاعر فرد معين ازاء ظاهرة معينة وجوانب تعريفه بها، مع امكان التعرف على الذكريات المتعلقة بالحوادث الماضية والتي يطلق عليها فنيا البيانات الاسترجاعية الممتدة عبر الزمن، حيث ان المقابلة تعد

ذات اهمية عندما يكون مطلوبا الحصول على معلومات عن امر لا يعرف عنه الباحث الا القليل، ومن ثم فانه لا يستطيع توجيه اسئلة مقفلة او مقننة عنه.. فضلا عن ان المقابلة توفر تفاصيل كثيرة لا يمكن الحصول عليها من خلال الاستبيان، مثلا(٢٠).

وقد استخدمت هذه الطريقة في دراسات كثيرة مع جماعات المنحرفين والمجرمين(٢١)، وروعيت جوانب نفسية واجتماعية في اجراء المقابلات للحصول على المعلومات الدقيقة.. وتوضيح التفاصيل والحرص على عدم اشعار المبحوث بانه مستهدف للاستنطاق(٢٢).

وقد حدد الباحث الموضوعات التي استهدف الحصول على معلومات عنها في الجوانب التالية:

- معلومات شخصية عن الحالات المبحوثة.
- تعرض المبحوثين للتلفزيون وخاصة مشاهد التجنب والخديعة ومدى انشدادهم اليها وأسباب ذلك.
- تصور المبحوثين انفسهم في مواقف الفاعلين في المشاهد التلفزيونية وخاصة مواقف التجنب والخديعة، ومشاعرهم ازاء ذلك.
- نظرة المبحوثين الى مواقف التجنب والخديعة في الحياة وفي المشاهد التلفزيونية.
- حدود اتباع الوحدات لإجراءات التجنب والخديعة.
- حدود التشابه بين إجراءات التجنب والخديعة التي مارسها الاحداث وبين المشاهد التلفزيونية التي تظهر تلك المواقف.
- مدى استفادة الاحداث من تلك المشاهد.
- دور التلفزيون في تنبيه الاحداث الى اتخاذ الحيطة والحذر.
- دور التلفزيون في تشكيل افكار لدى الاحداث عن صعوبة او سهولة الافعال الجانحة.
- دور التلفزيون في تشكيل افكار حول سهولة او صعوبة تضليل الشرطة او التخلص منها.

وقد توزع المبحوثون[٢٣] في العينة حسب العمر بين ١٥- ١٨ سنة[*] عند ارتكاب الفعل الجانح وتوزعوا من حيث المهنة طلابا مستمرين، وطلابا تاركين وعمالا وفلاحين وكسبة وكان بين تاركي الدراسة من هم في صفوف منتهية ومن هم من خريجي الابتدائية وخريجي المتوسطة وكانت الافعال الجانحة تشتمل على القتل بنسبة ٣٢%، وسرقة الدور والمحلات بنسبة ٥٤% وسرقة السيارات بنسبة ٨% والاغتصاب الجنسي بنسبة ٦%.

وكان جميع افراد العينة ممن اتبعوا إجراءات تجنب او خديعة.

نتائج الدراسة:

نعرض فيما يلي البيانات الاساسية المستقاة من الميدان من خلال اخضاع الحالات الخمسين للمقابلات الفردية.

التعرض للتلفزيون:

تبين ان نسبة الذين كانوا يتعرضون للتلفزيون بانتظام ٣٢% ونسبة الذين كانوا يتعرضون له احيانا ٤٤% اما الذين كانوا يتعرضون له نادرا فقد كانت نسبتهم ٣٤%[٢٤].

مشاهدة لقطات التجنب والخديعة:

كان جميع افراد العينة قد تعرضوا لمشاهد تجنب وتحايل على رجال الضبط الاجتماعي الا ان منهم من تعرض كثيرا بنسبة ٣٢% ومنهم من تعرض قليلا بنسبة ٣٨%.

الانشغال بلقطات التجنب والخديعة:

بين ٨٤% من الاحداث الجانحين انهم كانوا ينشدون الى المواقف الحرجة التي يظهر فيها الجانحون والمجرمون والمغامرون والتي تتضح فيها مشاهد تجنب من العقاب او تحايل على الآخرين بمن فيهم الشرطة، وبين ١٦% انهم يرون فيها

امورا اعتيادية لذا فان انشدادهم نحوها لا يختلف عن سائر المواد التلفزيونية الاخرى.

أسباب الانشداد الى مواقف التجنب والخديعة:

واوضح ٥٤% من مجموع الاحداث الذين ينشدون الى مواقف التجنب والخديعة الى ان ذلك يعود الى انها جذابة، و ٣٠% الى انها مثيرة للتفكير و١٦% الى رغبتهم في معرفة النتيجة التي تؤول اليها المشكلة.

تصور المبحوثين لانفسهم في مواقف التجنب والخديعة:

اظهرت اغلبية المبحوثين انهم لم يسبق لهم تصور انفسهم في مواقف التجنب والخديعة التي شاهدوها في التلفزيون، حيث بلغت نسبتهم ٥٨% بينما اوضح ٤% فقط تصورهم انفسهم في تلك المواقف دائما و ١٤% احيانا و١٤% نادرا جدا في وقت اوضح ١٠% انهم لم يفكروا في ذلك الامر.

الاعجاب بمواقف التجنب والخديعة:

وابدى ٤٠% اعجابا كبيرا بالمشاهد التي تصور إجراءات التجنب والخديعة في وقت ابدى ٢٨% اعجابا قليلا بها في وقت اوضح فيه ١٠% ان تلك المشاهد لم تثر اعجابهم و ٢٢% لم يكونوا قد انتبهوا الى ذلك.

المشاعر ازاء القائمين بالاجرام والمغامرة:

واوضح ٣٢% من المبحوثين ان مواقف القائمين ببعض الافعال المنافية للقانون تعبر عن جرأة وشجاعة، بينما اوضح ٢٦% منهم انهم يرون في تلك المواقف شراسة وقسوة، واوضح ١٤% انهم يعرفون ان تلك المواقف مجرد اعمال خيالية ومختلفة، واوضح ٢٨% انهم لا يستطيعون تقدير ذلك.

مدى الشعور بان التجنب والخديعة امور مألوفة:

اوضح جميع المبحوثين ان إجراءات التجنب والخديعة هي امور مألوفة في الحياة، واوضح ٥٤% ان مشاهد التلفزيون قد جعلها مألوفة جدا لديهم بسبب تكررها بينما اوضح ٣٦% ان التلفزيون لا علاقة له بذلك ولم يكن سببا في جعلها مألوفة لهم.

الشعور بمشروعية او عدم مشروعية التجنب والخديعة:

افاد ٦٦% من المبحوثين ان التجنب من الشرطة واتباع الخديعة عند تنفيذ الفعل الجانح والجرمي هي من الامور المشروعة، اي ان للجانح والمجرم الحق في اتباع ذلك، بينما افاد ٣٤% انها غير مشروعة.

علاقة التلفزيون بمشروعية او عدم مشروعية التجنب والخديعة:

افاد ٢٠% من مجمل المبحوثين ان نظرتهم ازاء مشروعية او عدم مشروعية التجنب والخديعة مستقاة الى حد ما من مشاهدتهم للقطات التلفزيونية لتلك الإجراءات على اساس ان مجمل الذين يقومون بأفعال منافية لقانون او مجمل المغامرين يعملون دائما من اجل النجاة من العقاب، وافاد ٥٤% من المبحوثين ان تلك المشاهد التلفزيونية لم تترك انطباعات لديهم بان إجراءات لتجنب والخديعة هي امور مشروعة او ان من حق الفاعلين القيام بها. وافاد ٢٦% الى انهم لا يستطيعون تقدير اجابة عن هذا الامر.

حدود التخطيط لإجراء التجنب والخديعة:

اوضح ٧٤% من مجموع المبحوثين انهم خططوا لاستخدام تلك الإجراءات. بينما لم يخطط لها ١٣% على اساس ان ذلك قد جاء رهن اللحظة.

مهمة تشابة إجراءات المبحوثين مع الإجراءات الظاهرة في التلفزيون:

افاد جميع المبحوثين ان إجراءاتهم التجنبية والمخادعة كانت مختلفة عما سبق لهم مشاهدتها في التلفزيون، اذ ان طرقهم كانت مختلفة، كما افاد جميع المبحوثين انهم لم يستفيدوا من المشاهد التلفزيونية في هذا المجال، كما افادوا جميعا، ان مصدر تعرفهم الى تلك الإجراءات هي الحياة الاعتيادية وما فيها من اتصالات اجتماعية مباشرة.

أسباب عدم الاستفادة من مشاهد التلفزيون:

واوضح ٥٨% من مجموع الذين اتبعوا إجراءات تجنب وخديعة انهم لم يكونوا في حاجة الى الاستفادة من التلفزيون او الاعتماد على ما سبق لهم مشاهدته على اساس ان الجرائم واعمال المغامرة التي يظهرها التلفزيون تكون محكمة ومنظمة، وان افعالهم الجانحة كأحداث ليست بالمستوى الذي يظهرها التلفزيون، وافاد ٢٤% انهم يتصورون ان اعمال العنف في التلفزيون تقدم لاشغال الناس وتسليتهم وامتاعهم وليس لتعليمهم اساليب تتبع في الاجرام، كما افاد ١٠% انهم لم يتذكروا ، عند تنفيذ الفعل الجرمي، ما سبق ان تعرضوا له من مشاهد تلفزيونية ولم يربطوا بين تلك المشاهد وبين ما كانوا ينوون القيام به، وافاد ٨% انهم لا يعرفون سبب عدم الاستفادة من مشاهد التلفزيون في هذا المجال.

حدود تنبيه التلفزيون بالحذر والحيطة:

وعن مدى تنبيه التلفزيون بشكل غير مباشر لهم بأهمية الحذر والحيطة في الاعمال المنافية للقانون، افاد ٥٨% ان التلفزيون من خلال ما يعرضه من مشاهد عنف واجرام نبههم الى الحذر والحيطة، وافاد ٢٤% ان التلفزيون لم يكن عامل تنبيه في هذا المجال، بينما افاد ١٨% الى انهم لا يعرفون اجابة لذلك.

مدى تبلد مشاعر الاحداث:

اوضح ٥٤% من المبحوثين ان مشاهد القتل والسرقة وجميع انواع الايذاء الاخرى في التلفزيون لا تشعرهم بالالم والحزن بسبب تكرر ظهورها، بينما اوضح ٤٦% انهم يشعرون احيانا بالحزن والالم.

حدود صعوبة الفعل الجانح:

وافاد ٤٢% من المبحوثين ان التلفزيون يجعلهم يشعرون ان القيام بالفعل الجانح هو امر صعب، وان مسألة الخلاص من العقاب امر ليس باليسير وافاد ٤٠% ان التلفزيون جعلهم يشعرون ان تنفيذ الفعل الجرمي ليس صعبا بينما افاد ١٨% انهم لا يستطيعون تقدير ذلك.

مدى اكتساب الافكار عن التجنب والخديعة:

وافاد ٥٦% من المبحوثين انهم تعلموا الكثير من الافكار والمعلومات عن التجنب والخديعة من خلال الافلام والمسلسلات بوجه خاص، بينما افاد ٤٤% انهم لم يكتسبوا افكارا ومعلومات عن هذا الموضوع. وسبق ان اوضح جميع الذين اتبعوا إجراءات تجنب وخديعة انهم لم يطبقوا فكرة او معلومة اثناء ارتكابهم الافعال الجانحة.

حدود الصعوبة في التخلص من الشرطة:

اوضح ٧٠% ان المشاهد التلفزيونية التي اظهرت التجنب والخديعة اقنعتهم ان خديعة الشرطة امر صعب، وان التخلص من العقاب ليس ميسورا الا ان ١٦% اوضحوا ان المشاهد التلفزيونية جعلتهم يقتنعون ان ذلك امر سهل في وقت اوضح ١٤% انهم غير قادرين على الاجابة.

الاستخلاصات:

اعتمادا على المعطيات النوعية والرقمية التي آلت اليها الدراسة الميدانية نثبت في ادناه الاستخلاصات الاساسية:

١- كان جميع افراد العينة بمختلف الاعمار ضمن الفئة موضع الدراسة يتعرضون للتلفزيون قبل ارتكابهم الافعال الجانحة.

٢- وكان جميع الاحداث قد تعرضوا لمشاهد في التلفزيون تحتوي على إجراءات تجنب الشرطة او خديعتها، ولكن حدود التعرض كانت مختلفة، حيث كان اغلب المبحوثين قد تعرضوا كثيراً لمشاهد عنف تحتوي على تلك الإجراءات.

٣- كانت غالبية الاحداث تشدّ الى تلك المشاهد على اساس انها ذات جاذبية او انها مثيرة للتفكير والخيال، او رغبة منهم في التعرف على ما تنتهي اليه الحوادث الواقعية او الخيالية من نتائج.

٤- كان بعض المبحوثين يتصورون انفسهم في بعض إجراءات التجنب والخديعة الظاهرة في التلفزيون والتي يتبعها الفاعلون تجنبا من الشرطة او تهربا منها او تضليلا لها او استغلالا لتراخيها وعلى هذا فان نسبة من الاحداث يتوحدون في بعض المواقف التلفزيونية.

٥- كانت نسبة من الاحداث تجد في مشاهد التجنب والخديعة التي يعرضها التلفزيون ما يثير الاعجاب ومنهم من يرى ان يعض الإجراءات تعبر عن جرأة الفاعلين في وقت يرى آخرون انها لا تعبر عن جرأة بقدر ما تعبر عن شراسة او قسوة.

٦- كان جميع الاحداث يجدون مشاهد إجراءات التجنب والخديعة وكأنها مألوفة في الحياة ويرى بعضهم ان تكرر ظهورها في التلفزيون جعلهم يحسون بذلك الاحساس، بينما يرى آخرون منهم ان التلفزيون لم يكن عاملا في رسم ذلك الانطباع عن تلك الإجراءات.

٧- اعطى غالبية المبحوثين الحق للفاعلين في ان يلجأوا الى اتباع اساليب تجنب للشرطة وخديعتها في وقت لم تعط نسبة اخرى الحق في اللجوء الى تلك الإجراءات فيما لو كانت تلك المواقف تجري على صعيد الحياة الاعتيادية وليست على مستوى التمثيل للتلفزيون.

٨- يرى نصف المبحوثين ان التلفزيون قد ترك انطباعاً لديهم حول قبولهم بمشروعية او عدم مشروعية إجراءات التجنب والخديعة، في وقت يرى اخرون انه لم يكن للتلفزيون دور في ترك ذلك الانطباع.

٩- كانت الغالبية العظمى من المبحوثين قد خططت مسبقا لاتباع بعض إجراءات التجنب والخديعة، بينما كانت نسبة الذين لم يخططوا اقل من ذلك.

١٠- واتضح ان إجراءات التجنب والخديعة التي اتبعها المبحوثون في افعالهم الجانحة لا تماثل الإجراءات من قبل الفاعلين في المشاهد التلفزيونية والتي سبق لهم مشاهدتها اذ انهم لم يستفيدوا من التلفزيون في هذا المجال ولم يكتسبوا طرق تجنب وخديعة منه. وعزا المبحوثون مصادر تعلمهم تلك الإجراءات الى الحياة العامة وما فيها من اوجه نشاط اتصالي مواجهي.

١١- وترجع أسباب عدم استفادة المبحوثين من التلفزيون في هذا المجال الى عدة أسباب منها ان مستوى افعالهم الجانحة لم يكن من حيث النوع والتنظيم والسعة في مستوى ما يعرضه التلفزيون من جرائم وافعال جانحة، وان افعالهم الجانحة كأحداث هي بسيطة في تركيبها وغير معقدة في تنظيمها.

١٢- وتبين وجود شعور لدى نسبة من الاحداث بان ما يعرضه التلفزيون من اعمال عنف ومغامرة يستهدف منه بالاساس تسلية المشاهدين وليس تعليمهم اساليب جرمية، وانهم لم يفكروا في ان يستفيدوا من التلفزيون في مجال تنفيذ الفعل الجانح.

١٣- ونبين ان نسبة تزيد على النصف ترى ان ما يعرضه التلفزيون من مشاهد عنف قد ترك انطباعا لديها بوجوب الحذر والحيطة من الشرطة.

١٤- وتبين ان نسبة تقل عن النصف بقليل قد رسم التلفزيون انطباعا لديها بان تنفيذ الفعل الجرمي هو امر صعب.

١٥- وتبين ان نسبة تزيد على النصف قد تعلمت افكارا ومعلومات عن التجنب من التلفزيون بوجه عام ولكن تلك الافكار والمعلومات لم تطبق من قبل الاحداث اذ ان الاحداث لم يستفيدوا منها عند تنفيذ افعالهم الجانحة.

١٦- وظهر ان نسبة تقارب ثلاثة ارباع المبحوثين ترى ان التلفزيون قد ترك انطباعا لديها ان خديعة الشرطة وتجنبها امر صعب، وانه حتى لو انطلت الخديعة وتحقق التجنب من الشرطة فان ذلك في النهاية لابد وان ينكشف.

وعلى هذا فان التلفزيون من خلال برامجه، وخاصة برامج العنف يوفر للاحداث معلومات عن التجنب والتحايل التي يتبعها الفاعلون في المشاهد التلفزيونية، وان هذه المعلومات والبيانات لا تقود بالضرورة بالاحداث الى ارتكاب الافعال الجانحة الا في حالة وجود الدوافع الاساسية للجنوح والمتمثلة في العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية.

ومن جانب آخر، فان التلفزيون يبلور انطباعات كثيرة لدى الاحداث عن الفاعلين منها ما هي انطباعات مقبولة ومنها ما هي غير مقبولة من قبلهم، مما يعني ان للتلفزيون فاعلية مزدوجة تتباين لدى الاحداث المختلفين تبعا لعوامل متعددة.

وبالاضافة الى ذلك، فان التلفزيون يبلور انطباعات عن صعوبة او سهولة الاتيان بالفعل الجانح، مما يشكل مظهرا آخر لفاعلية التلفزيون المزدوجة في تأثيره بالاحداث. كما انه يبلور انطباعات عن الشرطة وكفاءتها، وامكان استغلال اوجه الضعف او التراخي في عملها.

ولم يتأيد ان الأحداث يميلون الى تقليد الفاعلين في إجراءات التجنب والخديعة او انهم يتبعون نفس تلك الإجراءات.

المقترحات والتوصيات:

١- لما كانت إجراءات التجنب والخديعة ازاء الشرطة، التي تظهر في المشاهد التلفزيونية تثير اعجاب الاحداث وتجعل بعضهم يرون في اتباعها ما يعبر عن جرأة، وتجعل البعض الآخر يرى في اتباعها ما يعبر عن قسوة وشراسة، لذا من المناسب ان يتم اختيار المواد التلفزيونية التي تظهر المجرمين والجانحين في هيئات تتميز بالشراسة بما ينفر الاحداث من سلوكهم.

٢- لما كان بعض الاحداث يجدون مشاهد إجراءات التجنب والخديعة امراً مألوفاً في الحياة، وانها تبدو إجراءات مشروعة، ولما كان البعض يتوحد معها تخيليا وحيث ان ذلك يرجع بشكل غير مباشر الى التلفزيون، لذا من المناسب ان يتنبه المشتغلون بالعمل التلفزيوني الى وجوب الحرص على عدم تقديم مواقف تجعل الاحداث يرسمون انطباعات ايجابية او يرون في بعض الإجراءات ما هو عادل او يظهر الفاعلين وكأنهم اصحاب مبادىء كي لا تكون انطباعات الاحداث المشاهدين متعاطفة ازاء تلك المواقف.

٣- حيث انه تبين ان شعور الاحداث بان افعالهم الجانحة ليست في مستوى ما يعرضه التلفزيون من جرائم من حيث التخطيط والتنظيم، مما جعلهم يشعرون بعدم الحاجة الى الانتفاع من التلفزيون في افعالهم الجرمية التي يرون انها في مستواها غير معقدة وغير منظمة وغير محكمة، لذا من الضروري ان ينتبه المشتغلون بالعمل التلفزيوني الى ضرورة عدم تقديم جرائم بسيطة وصغيرة يسهل على الاحداث الاستفادة منها لان من المحتمل ان يقود ذلك الى اتباعها من قبل الاحداث او الاستفادة منها عند تنفيذ الافعال الجانحة.

٤- لما كان قد تبين ان التلفزيون قد ترك انطباعا لدى الاحداث بأن يكونوا على حذر وحيطة من الشرطة لذا من المناسب ان يتنبه المشتغلون في العمل التلفزيوني الى ضرورة عرض مواد تلفزيونية تزيد من شعور الاحداث بان

اتباع إجراءات التجنب والخديعة حتى في حالة نجاحها فان ذلك لوقت قصير اذ لابد ان ينكشف امر الجناة في النهاية.

٥- لما كان قد تبين ان المواد التلفزيونية تكسب الاحداث الكثير من المعلومات والافكار عن الجريمة، وعن إجراءات التجنب والخديعة، دون ان تشكل تلك المعلومات والافكار دوافع للاتيان بالفعل الجانح، وحيث انه من المحتمل في حالة بروز دوافع للجنوح كالدوافع الاقتصادية او الاجتماعية او النفسية. ان يقوم الاحداث باللجوء الى الفعل الجانح، لذا من الضروري ان تكون اجهزة التنشئة الاجتماعية والاجهزة الاقتصادية على وعي بهذه الجوانب بحيث تعمل على استئصال العوامل المؤدية الى الجريمة والجناح.

٦- حيث ان بعض إجراءات التجنب والخديعة التي اتبعها الاحداث قد تضمنت استغلال تراخي الشرطة وتباطئها وقلة انتباهها، لذا من الضروري ان يعمل جهاز الشرطة من اجل تطوير كفاءة منتسبيه بمختلف مستوياتهم وبجميع الطرق الممكنة بما في ذلك اقامة الدورات التدريبية واشاعة الثقافة الشرطية بينهم اضافة الى ضرورة دراسة مشكلاتهم الاخرى التي تحد من كفاءتهم وتوفير الاجهزة اللازمة التي يستدعيها عملهم، وتهيئة الوسائط التي تهيء لهم الحركة السريعة والانتظام في العمل، وتشكيل الدوريات والمفارز، وتطوير كفاءة التحقيق الجنائي.

٧- لما كان التجنب والخديعة يقوم على استغلال نقاط الضعف في الشرطة بما فيها ضعف الثقة بالشرطة، لذا من الضروري ان يقوم جهاز الشرطة بالعمل على زيادة ثقة الشرطة بنفسها من جهة وكسب ثقة المواطن من جهة اخرى ومع ان في مقدمة الخطوات الى ذلك هو قيام الشرطة باداء مسؤولياتها في منع الجريمة ومواجهتها. الا ان قيام الشرطة بتوفير ادارة للاعلام تتولى نشر اخبار الجريمة وابراز دور الشرطة هو مطلب جوهري واساسي.

هوامش الفصل الثامن:

(١) اللواء محمد صبري لبيب، دور الشرطة في منع الجريمة، الشرطة، العدد ١٥، ايلول ١٩٨٣، ص ١٢.

(٢) د. سيد عثمان، د. انور الشرقاوي، التعلم وتطبيقاته، القاهرة، دار الثقافة ، ص ١٤٣

(٣) جورج، ام، غازدا واخرون، نظريات التعلم، دراسة مقارنة، ترجمة: د. علي حسين حجاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٣، ص ١٧٣.

(٤) J.P. Chaplin, Dictionaty of Psycholgy April 1979, P.5.

(٥) البرت فولتون، السينما آلة وفن، ترجمة: صلاح عزالدين ود. فؤاد كامل، القاهرة، المركز العربي للثقافة والفنون، ص ٣٦٤.

(٦) ايفان بتلر، صناعة الافلام الروائية، ترجمة: احمد الحصيري، القاهرة، مطبوعات نادي السينما، ١٩٧٦، صفحات متفرقة.

(٧) انظر حول ذلك: صلاح طنطاوي، مع اجاثا كرستي، مطابع روز اليوسف، ١٩٧٧، صفحات متفرقة.

(٨) د. هادي نعمان الهيتي، ادب الاطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٥٥ – – ١٥٧.

(٩) د. فتح الباب عبدالحليم سيد، د. ابراهيم ميخائيل حفظ الله، الناس والتلفزيون، القاهرة، مكتب الانجلو المصرية، ١٩٦٣، ص ٥٩ – ٦٠.

(١٠) انظر: السينما التسجيلية عند جريرسون، ترجمة صلاح التهامي، الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٥، صفحات متفرقة.

(١١) حول افلام الخيال العلمي وما تنطوي عليه من اعمال عنف، انظر: د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الاطفال، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ص ١٩٧ – ٢٠٠.

(١٢) جون، آر، بيتز، مقدمة في الاتصال الجماهيري، عمان، دار الكتب الاردني، ١٩٨٦، ص ١٧٦ – ٢٤٠.

(١٣) البرت فولتون، مرجع سابق، صفحات متفرقة.

(١٤) د. أ. سبنسر، مرجع سابق، ص ١٥٣ – ١٥٤.

(١٥) بان باصل، فن التلفزيون، ترجمة: تماضر توفيق، الدار المصرية، ١٩٦٥، ص ٨٦.

(١٦) المرجع السابق، ص ٦٧.

(١٧) جيمس ويلسون، تأملات في الجريمة، عرض الدكتور محمد النداوي، المجلة العربية للدراسات الامنية، المجلد ٢، العدد ٣، آب ١٩٨٦، ص ١١٠.

(١٨) د. عبدالحميد محمود سعد، البحث الاجتماعي، قواعده وإجراءاته، مناهجه وادواته، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨١، ص٧٥.

(١٩) د. غريب محمد سيد احمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣، ص ١٧٨ – ١٨٢.

(٢٠) د. محمود الجوهري، ود. عبدالله الخريجي، مناهج البحث العلمي، ج٢، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠، ص١٥.

(٢١) المرجع السابق، ص١٥٨.

(٢٢) د. احسان محمد الحسن، الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص٩٣ – ٩٤.

(٢٣) تم حذف الجداول من تقرير البحث وتم الاكتفاء بالاشارة الى النتائج.

(*) حدد تعريف الطفل ١٨ سنة.

الفصل التاسع

استخدام الاطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة التلفزيون بالتنبيه إليها

استخدام الاطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة التلفزيون بالتنبيه إليها:

يعتبر إستخدام (الآلة) عاملا يوفر للجانحين قوة عملية عند تنفيذ الفعل الجانح، على أساس ان (الآلات) هي امتدادات لأعضاء الانسان.

ويتكرر في مشاهد التلفزيون استخدام (الآلة) وخاصة في برامج العنف التي تنطوي على ممارسة القوة الجسدية لالحاق الايذاء بالاشخاص والممتلكات. ويظهر التلفزيون لقطات استخدام (الآلة) بشكل واضح في اجواء متميزة بفضل ماله من مؤثرات خاصة: ضوئية وبصرية ولونية وحركية.

ولما كان دور التلفزيون في مسألة جنوح الاحداث غير متحقق من مداه، ولما كان من غير السهل تحديد ذلك الدور بسبب تشعب ظاهرة جنوح الاحداث وتعقدها، لذا فان هذا البحث انصب على جانب جزئي لكي يستطيع تناوله بشكل اكثر تفصيلا ودقة وصولا الى تحديد العلاقة بين تعرض الاحداث لمشاهد العنف التي يبدو فيها استخدام الآلة وبين تنبه الاحداث الى استخدامها في افعالهم الجانحة.

وقد تطلب اجراء هذا البحث الرجوع الى الميدان، لذا فقد اجريت مقابلات عبر استمارة بحث مع (٦٢) جانحا ممن اودعوا مدرسة الشباب البالغين بعد الحكم عليهم، ممن اقترفوا افعالا جانحة خلال ثلاث سنوات.

وقد قسم الفصل الى قسمين، تناول الاول الاطار النظري والمنهجي للبحث، وتناول الثاني نتائج البحث واستنتاجاته وتوصياته.

أولاً- الاطار النظري والمنهجي للبحث:

يشير العالم الكندي مارشال ماكلوهان، الذي يوصف بأنه المتحدث الرسمي باسم العصر الالكتروني الى ان التلفزيون هو أحدث او اعظم وسائل الامتداد الكهربي لجهاز الانسان العصبي المركزي، وانه احدث انقلابا واسعا يضارع ما احدثته الطباعة في الحياة الانسانية[١].

وتذهب آراء كثيرة الى القول ان التلفزيون اصبح احد العوامل المؤثرة فى السلوك، وخاصة سلوك الاطفال، حتى ذهب البعض الى القول انه اذا كان للابناء من قبل أب وأم، فان لابناء اليوم ثلاثة آباء هم الاب والام والتلفزيون، تعبيرا عن دوره في التنشئة والتثقيف.

وقد توفر، بفضل التلفزيون، نقل الاحداث الواقعية عن طريق الصوت والصورة، وتحويل الافكار الى اعمال فنية من خلال الاستعانة – الى جانب الصوت والصورة – بالحركات والايماءات والاشارات والعلاقات والاضواء والظلال والالوان والمؤثرات الصوتية الاخرى، اضافة الى استغلال قدرات اخرى للتلفزيون في التركيز على الجوانب المهمة والدقيقة والصغيرة والبعيدة، وابرازها للجمهور بشكل واضح.

وتنطوي كثير من الاحداث اليومية التي تقع في العالم ويعرضها التلفزيون على معلومات ومشاعر ينطوي بعضها على مواقف عنيفة كأفعال الاعتداء على الاموال او الاشخاص او المطاردات واعمال المغامرة والمعارك الحربية والمجازفات والمظاهرات والكوارث الطبيعية كالحرائق والفيضانات والسيول والزلازل والبراكين والصواعق، فضلا عن برامج ثقافية او علمية اخرى تحمل اشكالا من هذه الوقائع العنيفة.

ويمتلك التلفزيون – اضافة الى ذلك – القدرة على تقديم الافلام الروائية والتسجيلية والمسرحيات والتمثيليات والمسلسلات التي تحتمل قدرا من الخيال.

وتنطوي، هذه الاعمال، على افكار ومشاعر، وعلى مواقف، منها ماهي مواقف عنف، حيث تبدو فيها ممارسة القوة الجسدية لالحاق الاصابة او الضرر بالاشخاص والممتلكات او القيام بفعل لفظي او مرئي باستخدام الوسائل الجبرية او القاسية او التهديد بها، بصرف النظر عن الموقف القانوني او غير القانوني للفاعل بقصد اصابة او اتلاف او الحاق ضرر او تهديد بذلك الاستخدام[٢]، ويتضح في كل ذلك استخدام للآلة في الغالب.

وقد رافقت (الآلة) الحياة الانسانية منذ وقت مبكر، وهي جزء من الماديات التي تشكل جانبا من ثقافة المجتمع، هو ما يطلق عليه: الثقافة المادية Material

Culture وقد ساهمت في صنع التاريخ، واستخدمت لاغراض شتى بما هيأ للانسان قدرا من السيطرة على الطبيعة.

واستخدام الانسان للآلة ميزه عن سائر الكائنات الحية، اذ هي تشكل امتداداً لاعضاء جسم الانسان، حيث ان (الانسان يصنع الآلة ويستعملها لاغراض التحكم في العالم الخارجي، وكأنه قد اصبح مخلوقا جديدا ذا عضو جديد)(٣). وبفضل تحكم الانسان بالمادة وتغييره في اشكالها ووظائفها اكسب نفسه قوة هيأت له الظروف للتحكم في البيئة بحيث تكون اكثر طواعية لتحقيق مطالبه.

وقد استخدم الانسان الآلة الواحدة لاغراض معينة، لكنه استخدم البعض منها لاغراض غير التى وجدت من اجلها، في احيان كثيرة، كما استخدم الآلة لاغراض اجتماعية واخرى مضادة للمجتمع، اي انه استخدمها استخداما نافعا واستخداما ضارا. لذا ذهب البعض الى القول (ان الآلة اصبحت عبئا على الانسان في حالات كثيرة، ومع انه هو الذي صنعها الا انه اصبح عبدا لها)(٤).

وقد هيأت قدرات التلفزيون لان يظهر استخدام الانسان للآلة في مواقف كثيرة، بما فيها استخدامها في مشاهد العنف (وخاصة مشاهد حركة الآلة وهي تفتك بانسان كالطعن في خنجر او سكين او القتل عمدا بسيارة مسرعة)(٥).

ويشير فريق بحث (الطفل والتلفزيون) في معرض الاشارة الى بعض المشاهد العنيفة في التلفزيون الى ان (التركيز يزداد على الاعمال التمهيدية للموت، وعلى عرض القاتل وسلاحه، وعندما يتم الموت تعرض عادة، لقطة مكبرة للاصابة وعدة لقطات مكبرة للضحية)(٦).

وبوجه عام، فان هذه المشاهد تكون مشحونة بالعواطف والاثارة، حيث تزيد قدرات التلفزيون المتعددة في فاعليتها، بحيث تخلق جوا متوترامما يشكل عوامل تشد المشاهدين، وخاصة الاطفال والشباب.

وقد تبينت هذه الملاحظات، وخاصة بالنسبة الى الشباب في كثير من المواقف بحيث انساق البعض الى القول ان الشباب يقبلون على المشاهد التي تخيفهم كتلك التي تحتوي على عنف ومغامرة، في الوقت الذي تبين فيه انهم لا يحبون ما يخيفهم بل هم

يميلون الى الاثارة التي تحيط بهذه المواقف، حيث ان الخط الفاصل بين الاثارة والفزع هو خط دقيق، وبسبب دقته هذه، كثيرا ما يفشل المسؤولون عن البرامج التلفزيونية في إدراك هذا الجانب.. كما تبين ايضا ان الشباب، وكذا الاطفال، يقبلون على برامج العنف لندرة البرامج الاخرى التي تستهويهم أولا(٧).

أهمية البحث:

أوضحنا ان جزءً من المواد التلفزيونية ينطوي على مواقف عنف، منها ما يأخذ شكل جرائم، كما أوضحنا امكانات التلفزيون في ايضاح اللقطات في مواقف استخدام (الآلة) في الفعل الجرمي. وإقبال الاطفال على التعرض لهذه المشاهد التي يتكرر ظهورها.

وكانت أفكار تأملية كثيرة قد طرحت حول العلاقة بين جنوح الاحداث وبين تعرضهم لمشاهد العنف في السينما والتلفزيون، وذهب البعض الى الربط المباشر بين المتغيرين الى ان تبلورت حركة بحث علمي واسعة في العالم للتحقق من كثير من الفروض والتأملات.

وكانت بعض تلك البحوث قد ركزت على حالات مرضية تولي اعدادها مختصون في العلاج النفسي. وقد تبين ان كثيرا من البحوث العلاجية، مع انها القت مزيدا من الضوء على ظاهرة العنف وتأثيرات التلفزيون في سلوك الاطفال والشباب، إلا ان ما قدمته في هذا المجال يعد دراسات استكشافية يمكن الاعتماد عليها في تقييم فروض جديدة(٨).

واجريت دراسات في تحليل مضمون المشاهد التلفزيونية، الا ان تلك البحوث غير مؤهلة لاعطاء نتائج دقيقة حول العلاقة بين الجنوح والتعرض للتلفزيون لان ما يؤثر في الجمهور عموما بمن فيهم الاطفال والشباب ليس مضمون الاتصال وحده بل عوامل اخرى وسيطة تلعب دورها في هذا المجال، فضلا عن ان طريقة تحليل المضمون (Content Analysis) لا تهيء ليقاس الاثر(٩).

والى جانب ذلك اجريت بحوث مسحية واخرى تجريبية[١٠]، الا ان هناك معوقات منهجية تحد من كفاءة هذين المنهجين في العلوم الانسانية عند التطبيق على موضوعات يكون فيها التأثير تراكميا او غير قابل للتحقق خلال فترة قصيرة، اضافة الى ان تلك البحوث اجريت في مجتمعات مختلفة من حيث بيئات الاطفال والشباب، ومن حيث نوع وكم العنف في القنوات التلفزيونية.

ومن جانب آخر، فان مسألة الربط بين جنوح الاحداث والتعرض للتلفزيون هي من القضايا الواسعة، اذ من غير السهل اخضاع الظاهرة الكبيرة للبحث العلمي بسبب تشعبها وتعقدها، حيث يترتب تناول جزئياتها للوقوف عليها بشكل عميق بدل الاكتفاء بالبحوث الشاملة التي يأتي شمولها على حساب العمق.

وهذا البحث في تناوله العلاقة بين التعرض للتلفزيون واستخدام الاحداث للآلة في الافعال الجانحة يعد موضوعا دقيقا وجزئيا من ظاهرة جنوح الاحداث. ومن هنا تتضح اهمية هذا البحث.

ويزيد من تلك الاهمية:

١- ان قنوات التلفزيون عامة، تقدم برامج عنف مثل أفلام الجريمة والاثارة والافلام البوليسية، اضافة الى انها تتضمن المواد الاخبارية التي تتضح فيها الاعمال العنيفة التي تحدث في مناطق مختلفة من العالم.

٢- ان التلفزيون العراقي، يعد في مقدمة وسائل الاتصال الجماهيري التي يقضي الجمهور في التعرض لها وقتاً اطول من تعرضه لاي من وسائل الاتصال الاخرى، كالاذاعة والسينما والصحافة، ويشكل الاطفال والشباب نسبة كبيرة من افراد الجمهور.

٣- ان ثورة الاتصال التي يشهدها العالم، واحتمال تزايد البث التلفزيوني عبر السواتل في المنطقة العربية يحتم التعرف على مختلف آثار البرامج المحتمل تعرض الجمهور لها استنادا الى ما ينتهي اليه البحث العلمي.

٤- ان الاحصاءات الجنائية في البلدان العربية عموما تشير الى تزايد نسبة جنوح الاحداث، رغم ان تلك الاحصاءات لا تعطي الصورة الدقيقة للحجم الفعلي

للسلوك الجانح، اذ هو في حقيقة الامر اكبر حجما مما تسجله احصاءات الشرطة[١٠]. وقد لوحظت هذه المسألة في بلدان كثيرة، اذ ان احصاءات جنوح الاحداث تبدو غير كاملة، كما ان الدراسات في هذا المجال اعتمدت على التصنيفات القانونية ولم تهتم بالنواحي الاجتماعية[١٢].

ومن جانب آخر، فقد شهد العراق حركة تغير اجتماعي واسعة وتعرض لأحداث ووقائع ذات تأثيرات نفسية واجتماعية واقتصادية، اضافة الى ما آلت اليه الحرب العراقية – الايرانية وحرب الخليج والحصار الاقتصادي من ظروف والحرب الامريكية عام ٢٠٠٣[١٣].

٥- ان المواد التلفزيونية تظهر المجرمين وهم يستخدمون الآلات عند ارتكابهم الجرائم كالمسدسات والرشاشات والبنادق والقامات والسكاكين والسيوف وبعض الآلات الاخرى، وان استخدام هذه الآلات في تزايد، حيث اتسعت الجريمة والافعال الجانحة من حيث الكم والنوع وظهرت انواع من الجرائم لم تكن معروفة من قبل.

مشكلة البحث:

ان شيوع تأملات كثيرة حول تأثيرات التلفزيون في اكساب الاطفال والشباب مهارات في تنفيذ الفعل الجرمي، وتضارب النتائج التي انتهت اليها البحوث الاجنبية قد وضع الآباء في مواضع التردد أزاء ما يعرض من التلفزيون، كما وضع المربين ومسؤولي العمل التلفزيوني في مواضع حرجة أزاء عرض هذه البرامج او حجبها.

ويعتبر هذا الامر من الموضوعات التي ينشغل بها الراي العام، حيث تنسب الى التلفزيون كثير من انماط السلوك، على اساس ان بعض مواده، وخاصة مواد العنف هي مصدر للسلوك المنحرف، بما في ذلك انتفاع المنحرفين من طرق استخدام (الآلة) في تنفيذ الفعل الجانح.. لذا فان هذا الامر مايزال مستغلقا عما يؤلف اشكالية على صعيد الرأي العام والمعنيين.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث الى الكشف عن العلاقة بين استخدام (الآلة) في بعض الافعال الجانحة من قبل الاحداث وبين مايعرض من مواد تلفزيونية ذات سمات عنيفة، مع التركيز فيما اذا كان التلفزيون يشكل عامل تنبيه لأستخدام (الآلة) في الفعل الجانح، ام عامل اثارة لكيفية الاستخدام.

أداة البحث:

استعان الباحث باستمارة بحث تمت صياغتها وفق متطلبات البحث وهدفه ومشكلته وطبيعة المبحوثين. وقد وجهت اسئلة الاستمارة من قبل الباحث مما جعل طريقة استخدام الاستمارة تعتمد المقابلة، لان السؤال المباشر يعد طريقة ضرورية للحصول على كثير من المعلومات.

وقد تضمنت استمارة البحث التقصي عن معلومات حول العمر والوضع المدرسي والمهنة ونوع الفعل الجانح، ومستوى التعرض للتلفزيون، والميل الى مشاهدة البرامج العنيفة ودوافع المشاهدة، والتعرض لمشاهد استخدام الآلة في الافعال الجرمية، ومدى استثارتها للحدث ونوع الآلة المستخدمة من قبل الجانح، وحدود التخطيط لاستخدامها، وحدود التشابه بين استخدام الحدث للآلة واستخدامها في البرامج التلفزيونية.

العينة:

شملت العينة (٦٢) حدثا من الاحداث المودعين في مدرسة الشباب البالغين ممن ارتكبوا جرائم قتل او سرقة وسبق لهم استخدام الآلة في تنفيذ الفعل الجانح، وتم الحكم عليهم.

وقد روعي ان يكون المبحوث ممن يعترف للباحث بارتكابه الفعل الجانح وفق نص المادة المحكوم بموجبها.

وقد تمت مقابلة المبحوثين وتدوين الاجابات من قبل الباحث في الاسبوع الثالث والرابع من شهر تموز ١٩٩٣، مع مراعاة ان يكون الفعل الجرمي قد تم خلال السنوات الثلاث الاخيرة.

وفيما يلي المعلومات الاساسية عن العينة:

١- اعمار الجانحين:

كانت اعمار الجانحين الذين شملهم البحث تتراوح بين ١٥ - ١٨ سنة.

٢- الوضع المدرسي:

كانت غالبية الجانحين ممن تركوا المدارس، حيث بلغت نسبة التاركين (١٣ر٦٦%) منهم من تخرجوا في الدراسة الابتدائية، وممن تخرجوا في الدراسة المتوسطة، وممن تركوا الدراسة في صفوف غير منتهية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، بينما كانت نسبة الذين كانوا مستمرين في الدراسة ٧٤ر١٧% من مجموعهم.

٣- مهن الجانحين:

اظهر تحليل العينة ان ٧٤ر١٧% من المجموع كانوا من الطلاب المستمرين في الدراسة فقط، وكان ٦٨ر٩% من التاركين الذين لا عمل لهم، بينما كان الباقون، بنسبة ٥٨ر٧٢% ممن يمارسون اعمالا متفرقة.

٤- أنواع الأفعال الجانحة:

كانت الافعال الجانحة التي اقترفها الاحداث هي القتل بنسبة ٨١ر٢٥% وسرقة الدور والمخازن بنسبة ٢٦ر٣٢% وسرقة السيارات بنسبة ٦٨ر٩%.

٥- مستويات التعرض للتلفزيون:

ان البحث قد اشترط في العينة ان يكون افرادها ممن كانوا قبل ارتكابهم الفعل الجانح يتعرضون للتلفزيون، لذا يعد جميع افراد العينة من جمهور التلفزيون، ولكنهم كانوا يتباينون في مستوى التعرض، فقد كان ٨١ر٢٥% منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام (يوميا) بينما كان ١٦ر٤٥% يشاهدونه بصورة متقطعة و ٠٣ر٢٩% يشاهدونه بصورة نادرة.

ثانياً- نتائج الدراسة الميدانية:

انتهت الدراسة الميدانية التي تضمنت استجواب (٦٢) حدثا من الاحداث الجانحين في مدرسة الشباب البالغين، اعتمادا على استمارة المقابلة، الى عدد من المؤشرات عن المبحوثين من حيث بعض سماتهم الشخصية وبعض السمات ذات العلاقة بتعرضهم للتلفزيون ومدى تنبههم الى استخدام الآلات عند تنفيذ الفعل الجانح.

ونعرض هذه المؤشرات فيما يلي:

١- ميول الاحداث نحو برامج العنف:

تبين ان نسبة غير قليلة من الجانحين كانوا قبل ارتكابهم الافعال الجانحة يميلون ميلا شديدا الى برامج العنف (٣٢ر٤٠%) بينما تميل نسبة اخرى (٨١ر٢٥%) ميلا متوسطا، و (١٣ر١٦%) ميلا ضعيفا، في وقت اشار فيه (٧٤ر١٧%) انهم لا يستطيعون القول انهم يميلون الى تلك البرامج رغم مشاهدتهم لها، وان ميلهم اليها لا يختلف عن ميلهم عن سائر المواد التلفزيونية الاخرى.

ولدى الاستعانة باختبار (كا تربيع) تبين ان قيمته الناتجة هي (١٠ر٩%) وهي اكبر من قيمته الجدولية عند درجة الحرية (٣) وتحت مستوى الدلالة (٥٠ر٠%) اي عند مستوى الثقة (٩٥%) وهذا يعني ان للفروق في ميول الاحداث نحو برامج العنف دلالة احصائية.

٢- دوافع التعرض لبرامج العنف:

أظهر الاحداث بنسبة (٣٥ر١٩%) انهم يتعرضون لبرامج العنف لانهم يرون انها (جذابة) وبنسبة (١٢ر١٦%) يرون انها مثيرة للتفكير، بينما اشار (٩٧ر٢٠%) انهم كانوا يرغبون التعرف على ما تنتهي اليه المنازعات او اوجه الصراع من نتائج، في الوقت الذي اشار (٥٢ر١٤%) منهم الى انهم يتعرضون لهذه البرامج لقضاء الوقت دون ان يستطيعوا تحديد دافع معين.

ولم تظهر نتيجة (كا ٢) ان للفروق دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (٥٠ر٠%)، اذ كانت قيمة (كا ٢) الناتجة هي (٩٦ر٣%) وهي اقل من قيمة (كا ٢) الجدولية عند درجة الحرية (٤).

٣ - التعرض لمشاهد عنيفة معينة:

تبين ان جميع افراد العينة سبق لهم التعرض لمشاهد عنف معينة تنطوي على افعال السرقة والقتل والضرب والتخريب والاعتداء على الاشخاص والاموال، حيث ان هذه المشاهد تشيع على نطاق واسع في المواد التلفزيونية المختلفة.

٤- التعرض لمشاهد استخدام الآلة:

تبين ان جميع افراد العينة سبق لهم التعرض لمشاهد عنف تبدو فيها لقطات استخدام الآلة.

٥- حدود الاستثارة بلقطات استخدام الآلة:

اوضح ٥٠% من المبحوثين انهم يرون ان لقطات استخدام (الآلة) كانت مثيرة لانتباههم، بينما اوضح (١٩ر٢٤%) انهم يرونها اعتيادية، في وقت اوضح ان (٨١ر ٢٥%) انهم لا يستطيعون تقدير ذلك. وعند استخراج (كا٢)، عند درجة الحرية (٢) وهي (لا يستطيعون تقدير ذلك) فان قيمة (كا٢) الناتجة اقل من القيمة الجدولية مما يشير الى ان الفروق ذات دلالة(١٤).

٦- اسباب استثارة لقطات استخدام الآلة:

اوضح (٧٧ر٤٦%) من المبحوثين ان احساسهم بأن لقطات استخدام الآلة مثيرة لان مستخدميها في الافلام يستعملونها باحكام يثير الانتباه، بينما اوضح (٤٢ر٢٧ %) ان تلك اللقطات تأتي في لحظات حرجة وحاسمة. واوضح (٠٦ر٨%) ان استخدام الآلة يأتي مع مؤثرات صوتية وصورية مما يجعلها واضحة وبارزة ومؤثرة. واوضح ٧٤ر١٧% انهم لا يستطيعون تقدير سبب ذلك.

وتوضح قيمة (كا٢) الناتجة (بعد حذف التغيير الاخير) ان للفروق دلالة احصائية.

٧- حدود استخدام (الآلة) في اللعب والمزاح:

اوضح (٠٦ر٥٨%) من الجانحين انهم كانوا يستخدمون الآت كثيرة في لعبهم ومزاحهم مع اقرانهم، واوضح (٧١ر٣٨%) انهم لم يستخدموا الآلات في اللعب والمزاح، بينما اوضح (٢٣ر٣%) انهم لا يتذكرون هذه الجوانب.

وتوضح قيما (كا٢) الناتجة ان الفروق ليست ذات دلالة.

٨- استخدام الآلة عند الفعل الجانح:

اوضح جميع المبحوثين انهم استخدموا الآت بأشكال مختلفة عند الفعل الجانح.

٩- الآلات المستخدمة في الفعل الجانح:

كانت الآلات المستخدمة في الافعال الجانحة هي: أنبوب حديد، شيش حديد، مسس، رشاش، مفتاح، ملعقة، شاي، سكين، درنفيس، وقد استخدمت هذه الآلات بشكل رئيسي الى جانب الآت اخرى استخدمت بشكل ثانوي.

١٠- التخطيط لاستخدام الآلة:

تبين ان (٩٧ر٧٠%) من الاحداث كانوا قد خططوا لاستخدام الآلة بينما لم يخطط (٠٣ر٢٩%) منهم، على اساس ان استخدامهم للآلة جاء رهن لحظة ارتكاب الفعل.

وتوضح قيمة (كا٢) الناتجة ان للفروق دلالة احصائية.

١١- مشاهدة لقطات استخدام الآلة:

ظهر ان (٣٢ر٩٠%) سبق لهم مشاهدة لقطات تلفزيونية لاستخدام الآلة نفسها التي استخدموها في الفعل الجانح وان (٤٥ر٦%) لم يسبق لهم مشاهدة ذلك، بينما افاد (٢٣ر٣%) انهم لا يتذكرون انهم شاهدوا مثل تلك اللقطات تلفزيونيا.

وتوضح قيمة (كا٢) الناتجة ان للفروق دلالة احصائية (بعد حذف التغيير الاخير).

١٢- مصادر مشاهدة لقطات استخدام الآلة:

افاد (٩٣ر٥٨%) انهم شاهدوا استخدام الآت مماثلة للآلات المستخدمة من قبلهم في الافلام لتي يعرضها التلفزيون، و (٧٩ر٢٦%) سبق لهم مشاهدتها في التمثيليات و (٥٧ر٣%) في الاخبار و (٧٢ر١٠%) في مواد متفرقة.

ويشير اختبار (كا٢) الى ان للفروق دلالة احصائية بعد دمج الاخبار والمواد المتفرقة في متغير واحد، على اساس ان تكرارات الاخبار تقل عن (٥) تكرارات.

١٣- مدى التشابه في استخدام الآلة في التلفزيون وفي الفعل الجانح:

اوضح (٨١ر٢٥%) ان استخدامهم للآلة في الفعل الجانح كان مماثلا للطريقة التي شاهدوا فيها لقطات استخدام الآلة في التلفزيون، بينما اوضح (٣٢ر٤٠%) ان ذلك الاستخدام لم يكن مماثلا، واوضح (٨٧ر٣٣%) انهم لم يلتفتوا الى اوجه التشابه والاختلاف.

وتشير قيمة (كا٢) الى ان الفروق ليست ذات دلالة احصائية.

١٤- علاقة لقطات استخدام الآلة تلفزيونيا بالتنبيه الى استخدامها فعليا:

اوضح (٢٥ر٣١%) من مجموع الذين استخدموا الآلة استخداما مشابها لما شاهدوا في اللقطات التلفزيونية انهم تنبهوا الى ذلك الاستخدام متأثرين بالتلفزيون، في الوقت الذي اوضح فيه (٢٥%) ان استخدامهم للآلة في الفعل الجانح لا علاقة لهم بما شاهدوا في اللقطات التلفزيونية، في الوقت الذي اوضح فيه (٧٥ر٤٣%) انهم لا يستطيعون الربط بين الامرين.

وتوضح قيمة (كا٢) ان لا دلالة احصائية بين الفروق.

١٥- مصادر التنبيه الى استخدام الآلة:

اوضح (٦٠ر٨%) من ان التلفزيون كان مصدر تنبههم الى استخدام الآلة، واوضح (٦٠ر٥٨%) ان الامر معروف بالنسبة اليهم، ولا يتطلب مهارات فائقة فى الوقت الذي اوضح (٨٧ر٣٣%) ان الامر جاء مصادفة حسب ظروف الحادث.

ويفصح اختبار (كا٢) ان للفروق دلالة احصائية.

١٦- مصادر التنبه الى استخدام الآلة في الحياة الاعتيادية:

كان (٦٠ر٥٨%) من المبحوثين قد اشاروا الى ان مسألة استخدام الآلة معروفة بالنسبة اليهم، ولا يتطلب مهارات فائقة. ولدى الاستيضاح من هؤلاء عن المصادر التي تنبهوا اليها في حايتهم اليومية، اشار (٥٠%) الى انهم اكتسبوا مهارة الاستخدام بفعل العمل كأعمال صيانة السيارات او غيرها و (٨٩ر١٣%) بفعل التدريب، و (٥٦ر٣٠%) بفعل الاتصال المباشر بالاقران والاقارب ومجمل النشاط اليومي الاجتماعي.

ويكشف اختبار (كا٢) ان الفروق ليست لها دلالة احصائية.

١٧- تكرر مشاهد استخدام الآلة:

اوضح (٩٤ر٤١%) من المبحوثين ان تكرر مشاهد استخدام الآلة في التلفزيون جعل استعمالها مألوفا بالنسبة اليهم، واوضح (٦٥ر٣٠%) ان تكرر المشاهد لا علاقة له بذلك، في الوقت الذي اوضح (٤٢ر٢٧%) انهم لا يستطيعون تقدير ذلك.

وتكشف قيمة (كا٢) ان للفروق دلالة احصائية.

١٨- اغراض استخدام الآلة:

اوضح (٧٨ر٩%) من الاحداث انهم استخدموا الآلة لمواجهة تهديد الآخرين و (٩٠ر١٢%) لتهديد الآخرين، وتخويفهم اثناء ارتكاب الفعل، و (٨١ر٢٥%) للقتل، و (٤٢ر٢٧%) لفتح الابواب، و (٣٥ر١٩%) لكسر الاقفال و (٨٤ر٤%) لاغراض متنوعة.

استنتاجات:

١- كان جميع افراد العينة يتعرضون - قبل ارتكاب الفعل الجانح - لمشاهد العنف، وكانوا يتباينون في دوافعهم الى مشاهدتها، وسبق لهم جميعا ان تعرضوا لمشاهد تصور افعال السرقة والقتل والضرب والتخريب والاعتداء.
وهذا يعني ان التعرض للتلفزيون ولهذه البرامج تعد من انماط السلوك الاتصالي الشائع بين الاحداث.

٢- كان نصف الاحداث يرون ان اللقطات التلفزيونية عن استخدام الآلة كانت مثيرة لانتباههم. ويعلل هؤلاء ذلك: بان مستخدمي الآلات في اعمال العنف يستعملونها في المشاهد التلفزيونية باحكام مثير، او ان تلك اللقطات تظهر في لحظات حاسمة، او ان المؤثرات الصوتية والصورية تجعلها اكثر بروزا.

٣- كان نحو ثلثي الاحداث قد خططوا لاستخدام الآلة مسبقا بينما استخدمها الآخرون في لحظة اقتراف الفعل، وكانت الغالبية العظمى منهم قد شاهدوا لقطات تلفزيونية استخدمت فيها الآلات التي استخدمها هم انفسهم.

٤- ومن الاحداث من استخدم الآلات بطريقة مشابهة لاستخدامها في التلفزيون اذ بلغت نسبة هؤلاء الاحداث نحو الربع.. ولكن الآخرين استخدموها بطرق اخرى او انهم لم يلتفتوا الى اوجه الاختلاف والتشابه.

٥- واشار (٨%) من مجموع الاحداث الى ان التلفزيون نبههم الى استخدام الآلة، اما الآخرون فانهم يعزون ذلك الى الحياة الاعتيادية وما فيها من اوجه نشاط اتصالي مواجهي.

٦- اوضح عدد غير قليل من المبحوثين ان تكرر مشاهدتهم لبرامج العنف جعل مسألة استخدام الآلة أمرا مألوفا واعتياديا، وكانت دراسات ميدانية عديدة قد انتهت الى نتيجة في مجال اوسع، هي ان تكرر الجرائم ومشاهدة اعمال القتل والسرقة قد عرفها الاحداث من التلفزيون.

وعلى هذا فان برامج العنف التي تبدو فيها افعال القتل والسرقة تنبه نسبة قليلة من الاحداث الى استخدام الآلة، الا ان التلفزيون لا يسهم في تنمية مهارة استخدامها. وان الاحداث يستخدمون طرقا مختلفة عما يظهر في مشاهد العنف من استخدام للآلة، وحتى في الحالات التي يتشابه فيها الاستخدام، فان ذلك لا يعني محاكاة الاحداث لاساليب الفاعلين في استخدام الآلة عبر التلفزيون، رغم ان التلفزيون جعل استخدام الآلات امرا مألوفا يتكرر ظهوره باستمرار.

وهذه النتيجة تنسحب على العلاقة بين التلفزيون وبين تنبه الاحداث الى استخدام الآلة في حدود برامج العنف التي قدمت عبر التلفزيون خلال السنوات الاخيرة، وقد يكون تقديمه برامج عنف فيها استخدام للآلة في اشكال اخرى عاملا في التنبيه الى استخدامها، وقد يكون عامل اكساب مهارة في ذلك الاستخدام.

المقترحات والتوصيات:

١- حيث ان التلفزيون يشكل جزئيا عامل تنبيه للاحداث في استخدام الآلة في الفعل الجانح، لذا فان من المناسب ان يلتفت المسؤولين في التلفزيون الى ان لا تكون في المادة التلفزيونية التي يظهر فيها استخدام للآلة ما يشكل حافزا لاستخدامها

من قبل الاحداث، او ان تنطوي المادة التلفزيونية على ما يجعل الموقف يستهوي الحدث للقيام بفعل جانح.

٢- لما كان استخدام الآلة امراً معروفاً اجتماعياً، وان التلفزيون يقدم لقطات استخدامها بشكل بارز من خلال اختفاء مؤثرات صوتية وصورية مترافقة مع تصوير ذهني وعاطفي لحالات نفسية، وحيث انه تبين ان التلفزيون يشكل جزئيا عامل تنبيه لاستخدام الآلة، لذا من المناسب الاقلال من المشاهد البارزة والواضحة لهذا الاستخدام، وخاصة في الحالات التي يمكن ان يجد فيها الحدث تبريرات للفعل الجانح في حالة ظهور عوامل اقتصادية او، اجتماعية او نفسية تساعد على الاجرام او الجنوح.

٣- في حدود ما سبق للتلفزيون تقديمه لم يتبين ان الاحداث قد اكتسبوا مهارات استخدام الآلة.. لذا من المناسب ان يستمر الحرص على عدم تقديم مشاهد لاستخدام الآت تتضح فيها كيفية الاستخدام، وخاصة بالنسبة الى بعض الآلات التي يمكن تكييفها بشكل من الاشكال للاستخدام في الفعل الجرمي.

هوامش الفصل التاسع:

(١) مارشال ماكلوهان: كيف نفهم وسائل الاتصال، ترجمة: خليل صابات وآخرين، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٥.

(٢) Otto N. Larsen, Violence and the Mass Media,New York, Harper and Row, ١٩٦٨, p. ١٠٣.

(٣) جون لويس، الانسان والارتقاء، ترجمة: عدنان جاموس، دمشق، دار الجماهير، دون تاريخ، ص ٤١ – ٤٢.

(٤) دانييل ج. بوستين، جمهورية التكنولوجيا، ترجمة: زغلول فهمي، القاهرة، دار كتابي، ١٩٨٠، ص ٩٥.

(٥) د. فتح الله عبدالحليم، ود. ابراهيم ميخائيل حفظ الله، الناس والتلفزيون، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣، ص ٦١.

(٦) هيلد ت. هيملونت، أ. ن. اوبنهايم وباميلا فينيس، التلفزيون والطفل، دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء، ترجمة: احمد سعيد عبدالحليم ومحمد شكري العدوي، ج١، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٧، ص ٤١.

(٧) د. فتح الباب عبد سيد وزميله، مرجع سابق، ص ٦١ – ٦٢.

(٨) د. نور الدين محمد عبدالجواد، الاعلام والرسالة التربوية، ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين، ج٢، ط٢، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٦، ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(٩) Klaus Krippendorff, Content Analysis: London, Sage, ١٩٨٠, p.٣٣-٤٨.

(١٠) د. نور الدين محمد عبدالجواد، مرجع سابق، ص ٢٦١.

(١١) د. صلاح عبدالمتعال، التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨١، صفحات متفرقة.

(١٢) مؤتمر الامم المتحدة السابع لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين، ٢٦ أغسطس - ٦ سبتمبر ١٩٨٥، المجلة العربية للدراسات الامنية، المجلد ٢، العدد ٣، آب ١٩٨٦، ص١٤٨.

(١٣) انظر حول تأثيرات الحروب في جنوح الاحداث:

أ - الجامعة الامريكية، الاطفال والحرب في لبنان/ المحنة والمعاناة، بيروت، ١٩٨٦.

ب- ريما الصبان، تأثير الحرب على الاطفال في لبنان من خلال رسومهم، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ١١، السنة ٣ نوفمبر، ١٩٨٦، ص٦١.

ج - جورج مهر، مواجهة الطفل للازمات، ترجمة: محمد خليفة بركات، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢، فصل: الاطفال وويلات الحرب.

د - د. مصباح الخيرو، تخصص وتكامل الاجهزة المعنية بالتعامل مع الاحداث الجانحين في الدول العربية الخليجية، مكتب المتابعة بدول عمل وزراء العمل والشؤون الاجتماعية، البحرين، ص ٢١١.

هـ - د. محمد الزواوي، عرض كتاب: تأملات في الجريمة لجيمس ولسون، المجلة العربية للدراسات الامنية، المجلد ٢، العدد ٣، آب ١٩٨٦، ص١٠٦.

و - د. رالف رزق الله، اشكالية العدوانية في علم النفس، مقدمة لدراسة ظاهرة العنف، الفكر العربي، العدد ١٧، ١٨ ايلول - كانون الاول، ١٩٨٠، ص ٢٧٥.

(١٤) انظر حول استخراج قيمة كا٢ بعد حذف الفئة الصغيرة: عبدالمجيد رشيد الصوفي، مربع كاي واستخراجه، بيروت، ١٩٨٨.

الفصل العاشر

استخدام الأطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة تعرض الشباب المراهقين لأفلام العنف في التلفزون والسينما والفديو وعلاقته بالجنوح

استخدام الأطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة تعرض الشباب المراهقين لأفلام العنف في التلفزون والسينما والفديو وعلاقته بالجنوح:

تعد دراسة العلاقة بين أفلام العنف وبين الاجرام من الموضوعات المهمة والدقيقة، وذلك لانها تتناول موضوعا ترتبط عناصره بمتغيرات متعددة لا يمكن الوقوف عليها الا من خلال الرجوع الى الميدان والتقصي عن جوانب نفسية واجتماعية دون الاكتفاء بالبيانات المكتبية التي اختلطت فيها كثير من المعلومات المستقاة من مجتمعات تتباين بيئاتها عن بيئتنا الاجتماعية.

وقد حرص هذا البحث على معايشة المودعين في احد الدور الاصلاحيةممن اقترفوا جرائم قتل وسرقة واستطاع الحصول على بيانات من هؤلاء المودعين تمثل دوافعهم الى الجريمة وانواع الجرائم المقترفة وطرق تنفيذ الافعال الجرمية والانطباعات التي كانوا يحملونها عن الجريمة والمجرمين، وعلاقة ذلك بأفلام العنف التي كانوا يتعرضون لها من خلال التلفزيون او السينما او الفديو.

وقد توصل البحث الى تحديد عدد من المؤشرات الاساسية حول العلاقة بين أفلام العنف وبين الاجرام، مما يفتح المجال لاعادة النظر في بعض الآراء السائدة حول هذا الموضوع، خاصة وان هناك آراءً في هذا المجال هي في حدود التأملات الذاتية، واخرى مستنبطة عن مجتمعات أخرى.

وقد اوضحنا الخطوات المنهجية المتبعة في هذا البحث في المبحث الاول بينما اوضحنا في المبحث الثاني مجالات وحدود تقليد المراهقين للجريمة وتعلمهم اساليبها وفنياتها من خلال التعرض لأفلام العنف على اساس ان هناك بحوثا قد انتهت الى ان التقليد وتعلم الفتيان اقتراف الجرم يعد من بين عوامل الاجرام.

اما في المبحث الثالث، فقد عرضنا العلاقة بين تعرض الشباب المراهقين لأفلام العنف وبين عوامل نفسية واجتماعية ذات علاقة بالاجرام، بينما اوضحنا في

المبحث الرابع الصور الذهنية التي تكونت لدى الشباب المراهقين عن الجريمة والمجرمين بفعل تعرضهم لأفلام العنف، وحدود ومجالات تحفيز تلك الانطباعات لهم في اقتراف الفعل الجرمي.

وقد انتهى البحث الى ان الأفلام ذات علاقة غير مباشرة بالاجرام، حيث ان هناك عوامل نفسية واخرى اجتماعية تتولد بفعل التعرض للأفلام وهذه يمكن ان تقود فى حالات معينة الى القيام بالفعل الجرمي.

وقد انتهى البحث الى عدد من التوصيات التي يمكن وضعها في الحسبان عند التخطيط لعرض الأفلام في السينما والتلفزيون وعند وضع الضوابط لاستيراد واستخدام أفلام الفديو، كما يمكن وضعها في الحسبان عند رسم السياسة الجنائية.

المبحث الاول

منهجية البحث

أهمية البحث:

تشيع افكار متضاربة حول تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري وعلاقة مضمون هذه الوسائل ببعض الظواهر الاجتماعية.

وتعد الأفلام السينمائية والتلفزيونية من بين المواد الاتصالية التي تعددت الآراء بشأن تأثيراتها، ذلك ان للفلم قدرات كبيرة على تجسيد وتضمين المعاني والافكار، فهو، اضافة الى تأليفه بين الصوت والصورة والحركة، فان له فرصا كبيرة في مجال "الخدع" التي تستطيع ان تجعل الاذهان والاخيلة تنطلق حتى مع اكثر الحقائق واقعية، لذا فان الشباب والمراهقين يجدون في الأفلام كثيرا مما يشدهم(١).

وفي السنوات الاخيرة اشتد الجدال حول اتهام وسائل الاتصال، وبالاخص التلفزيون بالتأثير سلبا "في الأطفال والشباب وخصوصا " ما يتعلق بمشاهدة أفلام العنف والأفلام الهابطة حتى اصبح التلفزيون، ومن بعده الفديو، ومن قبلهما السينما، المتهمين الاوائل بكثير من مشكلات المجتمعات الحضرية، بما في ذلك التغيرات التي طرأت على سلوكيات الشباب(٢).

ويطلق على استقبال الفرد او الجمهور لوسيلة الاتصال او للرسالة الاتصالية عن طريق القراءة او الاستماع او المشاهدة وفك الرموز وفهم ما تحمله من معان: مصطلح التعرض Exposure ومن هنا فأن التعرض يعبر عن اكتمال العملية الاتصالية، كما يعبر عن استجابة الجمهور النسبية للرسالة واهتمامه بها، اي انه يعبر عن (حدوث الصلة بين رسئل ووسائل الاتصال الجماهيري من جهة، والجمهور من جهة اخرى)(٣).

وعلى هذا فان "التعرض" حلقة اساسية من حلقات العملية الاتصالية.

والاتصال، سواء كان مباشرا أم عبر وسيلة كالاذاعة او التلفزيون او السينما هو عملية معقدة لاعتماده على التكوين النفسي والثقافي والاجتماعي للافراد والجماعات، وقد تبين ان العمليات الاتصالية لا تزداد فاعلية، بالضرورة، من خلال تعددها الكمي او غزارة المضامين التي تقدمها، بل من خلال التغلب على بعض الحواجز النفسية والثقافية، حيث ان الاتصال ليس مجرد نقل آلي للافكار والآراء والاخبرات، بل هو عملية تفاعل بين العناصر النفسية والثقافية في المجتمع. والتأثر بالتعرض للوسائل يرتبط بذات الفرد وبشخصيته وبثقافة المجتمع، حيث ان التعرض للاتصال لا ينطوي على تقبل سلبي، بل على تعامل ايجابي يرتبط بالتكوين النفسي والثقافي للافراد والجماعات، وتلعب الدوافع والاستعدادات والتقاليد والاتجاهات والقيم دورا بالغا فيه[٤]، لذا فان الافراد يختلفون فيما ينتقونه ويفضلونه وما ينتبهون اليه وما يدركونه وما يفهمونه من وسائل الاتصال، كما انهم لا يتأثرون بالطريقة نفسها كافراد عند تعرضهم للوسائل، وترجع هذه الاختلافات الى عوامل متعددة منها[٥]:

- خلفية الفرد من حيث العمر والجنس والمستوى الثقافي والحالة الاجتماعية والميول والعادات.
- خلفية الفرد من حيث معلوماته واراؤه السابقة حول موضع الرسالة الاتصالية التي يتعرض لها.
- خصائص الوسيلة الاتصالية وتفاعلها مع المضمون.
- الموقف الاتصالي، اي الموقف الذي يحيط بالفرد وهو يتعرض لمضمون وسيلة اتصالية.

ومجمل هذه العوامل تشكل ما يطلق عليه الاطار المرجعي للفرد، حيث تتفاعل هذه العوامل في الموقف الاتصالي مما ينجم عن ذلك اختلاف في نوع التأثير لدى الافراد المختلفين، وعلى هذا فأن وسائل الاتصال لا تؤثر في جميع الافراد بالطريقة نفسها، بسبب تفاعلها مع خلفية الفرد ودوافعه، وان وسائل الاتصال هي عناصر في المجتمع تتفاعل مع بعضها، وهذه الوسائل لا تعمل منفردة، ومن غير الممكن عزلها عن بقية المتغيرات واقامة علاقة سببية بينها وبين السلوك المعين بدون الرجوع الى دراسة تفاعل الموقف الاجتماعي ككل[٦].

مشكلة البحث:

ان نسبة الجرائم في تزايد مستمر ليس على مستوى الوطن العربي وحده، بل على مستوى العالم، لذا يعاد النظر في كثير من القوانين والاجراءات الوقائية، وتُنشأ مراكز للبحوث الجنائية ويتواصل استخدام الاسلوب العلمي في التعامل مع الظاهرة الاجرامية[٩].

ويلاحظ ان العوامل المسببة للجريمة مازال يحيطها الكثير من الابهام ويعوزها التحقيق الموضوعي، اضافة الى ان التعرف على العناصر المسببة امر سهل لكن الصعب هو معرفة نسبها وعلاقاتها المتداخلة او مدى تفاعلها[١٠]. ومن بين تلك الموضوعات مسألة العلاقة بين أفلام العنف وبين الجريمة، حيث لم تنته البحوث الى تحديد حاسم لها رغم ان هناك نصوصا قانونية في كثير من دول العالم تؤكد على عدم تشجيع استخدام العنف في الأفلام[١١]. كما ان الدوائر المسؤولة عن التخطيط في مجال الإعلام والتخطيط الجنائي ماتزال حذرة في كثير من بلدان العالم من اطلاق احكام نهائية حول الموقف من أفلام العنف رغم ان هناك اجماعا من قبل المعنيين في كثير من الهيئات التلفزيونية والسينمائية على (تجنيب المواد التي تنطوي على مبالغة في العنف او خلق حالة غير سليمة من القلق او الحيرة او اية انفعالات اخرى غير مرغوب فيها في نفوس الأطفال ومراعاة التحفظ والحذر بصفة خاصة في معالجة قصص الجريمة والحوادث الغامضة التي تتعلق بالأطفال[١٢].

واذا كانت دول كثيرة متقدمة قد وضعت نصوصا قانونية ولوائح، وانتهت الى تقاليد في انتاج الأفلام وعرضها فان اغلب بلدان العالم التي تستورد الأفلام لم تحدد بعد ضوابط في مجالات عرض الأفلام، حيث اعتمدت كثير منها على اجتهادات غير متحقق من صدقها بما في ذلك بعض الضوابط التي تأخذ بها اجهزة الرقابة على الأفلام، حيث وجد ان المعلومات العلمية عن تأثير أفلام العنف غير متوفرة حتى اليوم، وبالتالي يتعذر الاهتداء الى مقاييس خلقية واجتماعية في هذا المجال، كما وجد أن الرقابة التي تطبق في بعض البلدان على الأفلام بناء على طلب الجمعيات الخاصة

بالدفاع عن الاخلاق لا تؤدي الى الغرض المطلوب منها بل ان الرقابة في مثل هذه الاحوال كثيرا ما تقود الى نتائج سلبية[١٤]. يضاف الى ذلك ان الفضائيات تشكل قنوات دولية ليس من الممكن التحكم فيها.

وبالاضافة الى ذلك تشيع كثير من الافكار حول تأثيرات أفلام العنف منها ما يبدو في مظاهر علمية ومنها ما تبدو ذات بعد اخلاقي ومع هذا يتعذر اتخاذ كثير من الافكار – خاصة تلك التي تسربت الينا من بيئات مختلفة – معايير للحكم او اعتبارها قابلة للتعميم مما يجعل من الضروري العمل على تحديد معطيات علمية استنادا الى الواقع لانه يمثل اسهاما في حل جزء من اشكالية قائمة.

هدف البحث:

حرصا على ان يشكل هذا البحث اسهامة متواضعة في السياسة الإعلامية واسهامة متواضعة في التخطيط الجنائي، ومشاركة في وضع الاساليب الوقائية فان البحث يستهدف:

١- تشخيص مجالات وحدود تقليد الشباب المرهقين للافعال الجرمية وتعلمهم طرق واساليب تنفيذ الاجرام وفقا لما تظهر في أفلام العنف التي يتعرضون لها.

٢- تحديد العلاقة بين تعرض الشباب المراهقين لأفلام العنف وبين عوامل نفسية واجتماعية ذات علاقة بالاجرام.

٣- تحديد دور أفلام العنف في تكوين انطباعات ذهنية لدى الشباب المراهقين عن الجريمة والمجرمين بما يشكل حوافز للاجرام.

طريقة البحث وأداته:

استعان البحث في جمع المعلومات الميدانية من المبحوثين باستمارة تسجيل (الاستبار) حيث وضعت اسئلة الاستبار للتقصي عن ثلاثة جوانب اساسية تضمنها هدف البحث اضافة الى جانب اريد به التعرف على الافراد المبحوثين من النواحي الشخصية والنفسية والاجتماعية والمهنية والدراسية. وقد التزم الباحث بالضوابط التي

يترتب وضعها في الاعتبار عند صياغة استبار البحث، بحيث يخلو الاستبار من الاسئلة التي تثير الشكوك او اللبس، او التي تستلزم مجهودا عقليا او التي توحي باجابات معينة، مع الالتزام بان تكون الاسئلة واضحة ومفتوحة او مغلقة تبعا لطبيعة الاسئلة والاجابات(١٥).

واجرى الباحث مقابلات منفردة مع كل مبحوث بقصد ملء استمارة البحث والحصول على البيانات ذات العلاقة بالدوافع الى الجريمة مع الالتزام بما تستدعيه المقابلة من ضوابط نفسية وفنية(١٦).

وقد انطلق البحث في تقصيه عن البيانات ميدانيا من كونه مسحا للعوامل التي يؤول اليها التعرض لأفلام العنف.

عينة البحث:

تضمنت عينة البحث خمسين مبحوثا من المودعين في مدرسة الاصلاح وقد تمت مراعاة ما يلي:

١- ان يكون افراد العينة ممن يعلنون للباحث انهم اقترفوا الفعل المسند اليهم وفق مادة الحكم المشار اليها في ملفة المحكوم.

٢- ان يكون جميع افراد العينة من الذين لا تزيد اعمارهم عند اقتراف الجرم على ١٨ سنة.

٣- ان يكون جميع افراد العينة ممن كانوا قبل اقترافهم الجرم يتعرضون لأفلام العنف في واحد او اكثر من الوسائل: التلفزيون، السينما، الفديو.

٤- ان تكون الجرائم المقترفة في مجال السرقة او القتل.

وتم الاختيار عشوائيا من بين هذه المستويات حيث تطلب الامر اجراء مقابلة مع ٣١١ مودعا لاختيار ٥٠ مبحوثا ويتضح ان البحث قد اعتمد عينة من الشباب في مرحلة المراهقة والتي تعتبر من مراحل العمر المهمة، والتي يمكن ان تظهر فيها مشكلات انفعالية اذا لم يحسن قيادة المراهقين وتوجيههم حيث ينتقل الفرد في هذه المرحلة من طفل غير كامل النضج الى راشد. وهي مرحلة تصاحبها تغييرات جسمية وعقلية وعاطفية تدفع الى بلوغ حاجات ومطالب معينة قد تحول التقاليد والعادات وظروف التنشئة دون بلوغها(١٧).

وفيما يلي عرض لخصائص العينة:

اعمار المبحوثين:

كانت اعمار المبحوثين تتراوح بين ١٥ – ١٨ سنة، حيث كان خمس منهم من فئة ١٥ سنة وتسع منهم من فئة ١٦ سنة و١٥ مبحوثا من فئة ١٧ سنة و ٢١ مبحوثا من فئة ١٨ سنة.

الوضع الاسري:

كان آباء وامهات ٦٠% من المبحوثين يعيشون في منزل واحد بينما كان آباء ٣٢% منهم ليسوا على قيد الحياة وامهات ٨% لسن على قيد الحياة.

الوضع النفسي:

كانت حياة ٧٦% من المبحوثين حياة اسرية هادئة، كما اشار المبحوثون انفسهم بينما كانت حياة ٢٤% منهم متوترة.

الوضع المدرسي:

وكان ٧٨% من المبحوثين منقطعين عن الدراسة عند اقترافهم الجريمة، بينما كان ٢٢ منهم مستمرين على الدراسة.

الوضع المهني:

كان ٦٨% من المبحوثين يمارسون مهناً مختلفة ومنهم من يمارس عمله اضافة الى استمراره على الدراسة وكان ٣٢% من المبحوثين لا يمارسون مهناً من بينهم عدد من المستمرين على الدراسة ومنهم من هم عاطلون، واغلب المهن السائدة هي تصليح وحدادة السيارات.

مدة الحكم:

وكانت مدد الحكم لا تقل عن عام واحد حيث كان ٦% منهم اقل من ثلاثة اعوام و٢٨% بين اربعة الى ستة اعوام و٤٤% بين سبعة الى تسعة اعوام و١٦% بين ١٠ الى ١٢ سنة و ٦% منهم كانت مدة الحكم اكثر من ١٣ سنة.

أنواع الجرائم:

اما انواع الجرائم فهي:

- سرقة محلات تجارية.
- سرقة منازل ليلا.
- سرقة منازل نهارا.
- سرقة منازل ليلا ونهارا.
- سرقة سيارات.
- سلب في الطرق.
- قتــل.
- قتل وسرقة.
- قتل غسلا للعار.

مستوى الاعداد للجريمة:

وكان ٦٠% منهم قد خططوا لافعالهم الجرمية قبل فترة كافية بينما كان ٣٤% قد خططوا ولكن بشكل فوري وكان ٦% منهم قد قاموا باعمالهم الجرمية دون تخطيط مسبق، وهذا يعني ان الاعمال الجرمية للشبان لم تكن تقوم على مصادفات ولا هي جرائم عفوية بل كانت وفق تدبير مسبق، وقد اوضح عدد من المبحوثين للباحث اثناء المقابلات مراحل الخطط والنقاط الاساسية التي وضعوها في اعتبارهم لانجاح عملية تنفيذ الفعل الجرمي مع وضع خطط الافلات بعد التنفيذ.

المبحث الثاني

حدود ومجالات تقليد المراهقين للجريمة وتعلمهم اساليب الاجرام من خلال التعرض لأفلام العنف

نتناول في هذا المبحث ما ظهر لنا اثناء المقابلات الشخصية مع الشباب المراهقين المودعين في مدرسة الاصلاح من المحكوم عليهم في جرائم قتل وسرقة، من معطيات ميدانية في مجالين اساسيين اولهما تقليد الافعال الجرمية مثلما وردت في أفلام العنف، وثانيهما تعلم فنيات تنفيذ الافعال الجرمية على غرار ورودها في تلك الأفلام، خاصة وان الادبيات المتعلقة بالاجرام تشير الى ان التقليد وتعلمهم فنيات تنفيذ الفعل ذات علاقة بالاجرام وخاصة ما تعلق بتقليد الشباب والاحداث للوقائع الجرمية التي تجسدها أفلام العنف وما يتعلق باكتسابهم معلومات عن كيفية تنفيذ الجريمة حيث ان الاجرام كنمط سلوكي يتعلمه الفرد عن طريق مشاهدته لدى الآخرين وتسجيله في عقاه على شكل احداث رمزية، اما من خلال تقليد ذلك النمط او الحصول على المعلومات التي تمكنه من القيام به في مواقف اخرى.

أولاً- تقليد الافعال الجرمية التي تعرض في أفلام العنف:

هناك اكثر من نظرية تشير الى قيام الاحداث بتقليد ما تعرضه بعض الأفلام من انماط سلوكية بما في ذلك تقليد الافعال الجرمية المعروضة في تلك الأفلام وبذا يؤدي التقليد، وفق هذا المنظور، الى الاجرام على اساس ان التقليد هو (محاولة من جانب الفرد لاعادة تكرار افكار وانماط سلوكية ادركها من ملاحظته لفرد آخر، وقد تسفر تلك المحاولة عن نجاح او فشل)[١٨]، ولكن مفهوم التقليد أخذ بالاختفاء حيث اخذت مفاهيم اخرى تستخدم لفهم بعض عمليات التعلم منها التنشئة الاجتماعية

والتثقيف، اذ ان مصطلح التقليد يعكس طابعا آليا يطمس معالم الطبيعة المركبة للعمليات النفسية والاجتماعية المتضمنة في التعلم[١٩]، ومن هنا جاء الرأي القائل بان التقليد هو مفهوم عام يلخص انواعا كثيرة من السلوك وينطبق عليها مثل عدوى السلوك، والتجانس والتيسير الاجتماعي، فكلها يمكن ان تسمى تقليدا على اساس ان السلوك الظاهر منها كله متشابه وهو سلوك يصدر عن الشخص لان شخصا آخر صدر عنه هذا السلوك[٢٠] وعلى اساس النظرة الجديدة الى التقليد اصبح من اللازم تشخيص العلاقة بين الاجرام والتقليد من خلال متغيرات اكثر دقة ولكن مع هذا يظل التقصي من خلال بحثنا هذا عن العلاقة بين الاجرام وبين التقليد بمفهومه العام هدفا من اهداف هذا البحث على اساس ان التقليد وفق هذا المعنى هو تكرار لسلوك فرد من قبل آخر.

ونعرض فيما يلي النتائج المستقاة من الميدان حول هذا الجانب .

اوضح ٦٨% من الشباب انهم فكروا في ممارسة اعمال عنيفة تقليدا او تأثرا بما يجري في الأفلام من مواقف عنف في وقت اوضح فيه ٣٢% انهم لم يفكروا في الاتيان بافعال مماثلة لما جاء في تلك الأفلام.

اما الافعال التي اشار المبحوثون انهم فكروا في القيام بها مقلدين او متأثرين بما جاء في أفلام العنف فيمكن حصرها في الجوانب التالية:

- القيام بأعمال مماثلة لدور تلفزيوني عنيف.
- سلب السيارات من سائقيها على الطرق الخارجية.
- قتل اشخاص يكنون لهم العداء.
- انتحال شخصيات ضباط او مسؤولين رسميين، وتنفيذ اعمال مختلفة.

وواضح ان من بين هذه الافعال التي كان الشباب المراهقون قد فكروا بالقيام بها. ما هو غير مرتبط بالاساس بمشاهد العنف في الأفلام وحدها اذ يمكن ان يتعرض الافراد المختلفون لاخبار عن هذه الحوادث من مصادر مباشرة في الحياة الواقعية.

ومن جانب آخر فان هذه الانماط من الجرائم التي اشار الشباب المراهقون الى انهم فكروا بتقليدها تأثرا بالأفلام لم يكونوا يريدون القيام بمجمل الخطوات التي اتبعها

الجناة في أفلام العنف اي انهم لا يقصدون التقليد بما يجعله من معنى القيام بعمل مطابق لعمل آخر.

ولدى التقصي عمن قام بتنفيذ ما فكروا به تبين ان ١٤% من مجموع المبحوثين اشاروا الى انهم قاموا بالتنفيذ جزئيا وليس كليا مما يعطي المؤشر ان عملية التقليد لم تجد لها مجالا في التنفيذ عمليا.

ومن جانب آخر فرغم ضآلة نسبة الذين اشاروا الى انهم نفذوا الاعمال المنافية للقانون مقليدن جزئيا الا انه ليس بالوسع الحكم فيما اذا كان ذلك بسبب تعرضهم لتلك الأفلام، حيث لوحظ ان المبحوثين عند الاجابة عن هذا السؤال كانوا يميلون الى تذكر مشاهد فلمية للربط بينها وبين افعالهم الجرمية مما يشير الى ان الافعال التي نفذوها فعلا قد لا تكون وليدة تقليد مشاهد فلمية بالاساس اذ يحتمل انهم حاولوا عند توجيه السؤال اليهم الربط بينها وبين بعض المشاهد، اما العوامل التي اوردها الذين لم ينفذوا فعلا ما فكروا به كأسباب لعدم التنفيذ، **فقد تمثلت فيما يلي:**

- اشفاقا على الضحايا.
- عدم امتلاك القدرة الجسدية التي يتطلبها التنفيذ.
- التنفيذ بجرأة عالية.
- لم تحصل الحالات ولم تحصل الظروف نفسها.
- مخافة انكشاف الامر.
- لان مشاهد الأفلام تتناول مواقف في مجتمعات مختلفة ولا يمكن لها ان تتكرر في مجتمعاتنا بنفس صيغها.

وعلى هذا فأن الأفلام توحي بأفكار وأخيلة للمراهقين حول اقدامهم على اعمال كثيرة بما فيها ما هو سلبي، الا ان تنفيذ ذلك يعتمد على ظروف وعوامل اخرى.

وعلى هذا لم تظهر اية حالة يتضح فيها تقليد او محاكاة المراهقين لآخرين في أفلام العنف يقومون بأعمال اجرامية، علما ان الباحث قد حاول التقصي عن ذلك عن طريق استمارة البحث من خلال المقابلات المباشرة، وعليه فان دورا للتقليد لم يظهر للباحث في ممارسة الاجرام لدى المراهقين، الا في مواقف جزئية.

ويلاحظ ان بعض الأطفال يسردون لرجال الشرطة في اثناء التحقيق الجنائي عن حالات انحرافية شاهدوها في الأفلام مدعين انهم قلدوها. واذا كان التقليد في هذا العمر امراً يمكن القول به فانه يبدو ان الأطفال في اثناء التحقيق حينما يسردون حالات قلدوها فمن المحتمل ان يكونوا يميلون الى الاسقاط او التبرير باعتبارها من الحيل العاطفية التي يتبعها الافراد في حالات وظروف متعددة.

ثانياً- تعلم طرق تنفيذ الجرائم:

ذهبت دراسات متعددة منذ سنوات عديدة الى ان أفلام العنف تقود الى اكتساب الناس معلومات فنية تسهل لمن له الاستعداد للاجرام لممارسة الفعل الجرمي، وكان قد عقد في فينسيا عام ١٩٥٠ مؤتمر لمناقشة موضوع الأفلام المخصصة للمراهقين التي تخاطب الشباب، وقد انتهى المؤتمرون الى مجموعة من النتائج من بينها ان المراهقين يتأثرون بالأفلام التي تعرض مناظر يتم فيها المراهقون كسر الاقفال وفتح الخزائن[٢١]، ولنظرية التعلم بالملاحظة في علم الاجرام اليوم حضور قوي وكان اثنان من الباحثين الامريكيين قد انتهيا عام ١٩٦٣ ان الأطفال يتعلمون سلوك العدوان عن طريق ملاحظة (نماذج العدوان) عند والديهم ومدرسيهم واصدقائهم، وفي أفلام التلفزيون والسينما وفي القصص التي يقرأونها والحكايات التي يسمعونها حيث يحصلون على المعلومات التي تمكنهم من الاعتداء على انفسهم او على غيرهم[٢٢] ولكن حتى في البلدان التي تلجأ فيها الصحافة الى نشر تفاصيل الجرائم وطرق ارتكابها لا توجد طرق احصائية يمكن بواسطتها معرفة اعداد الافراد الذين يرتكبون الجرائم بتأثير ما يقرأون في الجرائد، ولكن بعض العلماء يرون ان تكرار قراءة هذه النوعية من الجرائد له تأثيره في القراء، ونفس الحال عن دور السينما والتلفزيون اذ يرى الباحثون ان دور السينما في السلوك الاجرامي دور ثانوي حيث ان الاحداث الجانحين يميلون الى التعرض لهذه الأفلام الخاصة بطرق الجريمة وكيفية تنفيذها اكثر من غيرهم[٢٣] ونعرض لهذا لجانب وفق ما تبين لنا من دراستنا الميدانية.

. اوضح ٤٦% من المبحوثين انهم اكتسبوا الكثير من الطرق والمعلومات التي تسهل عملية تنفيذ الفعل الجرمي، بينما اوضح ٥٤% من المبحوثين انهم لم يتعلموا اساليب وطرق تنفيذ الافعال الجرمية عن طريق أفلام العنف، واوضح اغلب الذين اشاروا الى انهم اكتسبوا معلومات وطرقا تسهل الآتيان بالفعل الجرمي الى ان ما تعلموه من الأفلام كان بقدر ضئيل وانه اقرب الى المعلومات العامة التي يمكن ان يتعرض عليها الفرد من الحياة الاعتيادية او من الآخرين واقروا ان كثيراً منها قد شاهدوها في الأفلام عن جرائم منظمة او كبيرة وان اقترافهم لافعالهم الجرمية لم يكن يتطلب استخدام الاساليب والطرق التي تظهر في كثير من الأفلام، وقد اورد المراهقون الطرق التي تعرفوا عليها من خلال الأفلام هي:

- ارتداء الاقنعة.
- استخدام القفازات لتجنب ترك بصمات.
- الحرص على عدم ترك اثر لمعرفة المجرم.
- ارتداء الملابس السوداء في الظلام.
- كسر الاقفال باستخدام الابر الساخنة.
- ارتداء الاحذية البلاستيكية.
- استدراج الأطفال لمعرفة محتويات البيوت.
- الفرار من المطاردات.
- اخفاء المسروقات.
- نصب الكمائن.

ومن الواضح ان هذه الموضوعات ترد في الاحاديث المباشرة بين الناس وليس من الممكن الحيلولة دون وصولها الى الشبان ألاخرين، فضلا عن انها ليست من الموضوعات الدقيقة التي لا يمكن الاهتداء اليها، لذا فان اسهام الأفلام في هذا الجانب يكاد يكون عابرا خاصة وان ٢٢% من مجموع الشبان اشاروا الى انهم قلدوا في الافعال المنسوبة اليهم جانبا او اكثر مما شاهدوا في تلك الأفلام بينما اوضح ٧٨% انهم لم يقلدوا ما شاهدوه في تلك الأفلام،واوضح ٢٠% من المبحوثين انهم سبق وان

شاهدوا أفلاما تشبه حالاتهم من بعض الوجوه وخاصة من حيث الوضع الاسري او الاقتصادي او النفسي وعند الاستفسار عن طبيعة تلك الحالات اشار المبحوثين الى حالات ابرزها:

- رجل يسرق ويصبح ثريا.
- يتيم يحاول القيام بأعمال السرقة.
- تهاون الاهل مع ابن لهم كان يمارس السرقة.
- البحث عن فرصة عمل والمعاناة في ذلك.
- ترؤس العصابة على طريقة بعض الأفلام المصرية.
- حالة غسل العار.

ولدى المقارنة بين اوضاع البطل في تلك الأفلام التي اشار المبحوثون اليها وبين اوضاعهم يمكن الاستنتاج ان تشبها ببعض الابطال لم يحصل بالمعنى الصحيح مثلما ورد في تلك الأفلام حيث ان اوجه الشبه بين الحالتين كانت جزئية ، وهذا يؤكد ما سبق ان اشرنا اليه من ان البحث لم يجد حالات اجرامية كانت تقليدا او محاكاة بالمعنى الصحيح لما يجري في الأفلام، وعلى هذا فان النظرية التي تقول ان الأفلام ذات اثر مباشر للانحراف عن طريق التقليد غير قابلة للتعميم حتى لو صحت في ظروف وبيئات مختلفة.

وعليه فان هناك عوامل اقوى من مسألتي اكتساب معلومات عن كيفية تنفيذ الفعل الجرمي وتقليد المجرمين او التشبه بهم وتتمثل تلك العوامل في جوانب نفسية واخرى اجتماعية سيرد تناولها في المبحثين التاليين.

المبحث الثالث

العلاقة بين تعرض المراهقين لأفلام العنف وبين عوامل نفسية واجتماعية ذات علاقة بالتعرض

يتضمن هذا المبحث ما انتهى اليه البحث الميداني عن المودعين في المدرسة الاصلاحية المحكوم عليهم بسبب ارتكابهم جرائم قتل وسرقة، وتتحصر النتائج في هذا المبحث فى جانبين متكاملين اولهما يتعلق بما تقود اليه أفلام العنف من مشاعر كانت نظريات متعددة قد ربطت بينها وبين الاجرام وثانيهما ما يرتبط بعملية التعرض للأفلام من خلال السينما والفديو من اتصال مباشر بين افراد شلل تعرض وتأثيرات الشلة في السلوك الاجرامي.

أولاً- مشاعر الإحباط:

يتمثل الاحباط فى ادراك الفرد لعائق يحول دون اشباع حاجاته أو توقع الفرد حدوث هذا العائق في المستقبل وعلى هذا فان الاحباط هو نتيجة انغلاق السبل امام الهدف او اعاقة تحقيقه، ولكن يمكن ان يحصل الشعور بالاحباط دون وجود المعوق فعلا اذ يمكن ان يتخيل الفرد وجود مشكلة تقف في طريق تحقيقه هدفا.

وتعد نظرية التحليل النفسي من بين النظريات الشائعة لتفسير العلاقة بين العنف في الأفلام وبين السلوك المنحرف حيث ان هذه النظرية تستند الى عنصرين هما: الاحباط والعدوان، بأعتبار ان العدوان نتيجة للاحباط، وهذا هو التفسير الكلاسيكي للمشكلة والذي كان الاساس لابحاث كثيرة، حيث اتضح من تلك الابحاث انه من الخطأ الاعتقاد بان الاحباط يؤدي حتما الى نوع من انواع التعبير العدواني اذ ان الصحيح هو ان السلوك العدواني يسبقه دائما موقف من مواقف الاحباط.. وعلى اية حال حتى اذا تم التسليم بان الاحباط يقود الى حالة انفعالية كالغضب مثلا، فان انتقال

الانفعال الى مرحلة الفعل يتوقف على عوامل اخرى اهمها التكيف الاجتماعي والوضع الاسري وما الى ذلك من عوامل أخرى[٢٤] وعلى اية حال فان نظرية الاحباط العدواني هي واحدة من النظريات الشائعة في تفسير السلوك العدواني وهي تفترض ان الاحباط يسبب العدوان، وان العدوان هو إستجابة للاحباط.

وافترضت ان العدوان يزداد كلما ازداد الاحباط وتكرر حدوثه، واذا منع الانسان من تحقيق هدف ضروري له شعر بالاحباط (خبرة مؤلمة) واعتدى بطريقة مباشرة على مصدر احباطه ان وجد في نفسه ما يمكنه من مهاجمته ومعاقبته او بطريقة غير مباشرة (عدوان غير صريح) في حالة الخوف من الانتقام كما تذهب هذه النظرية، بعد تحويرات متعددة اضيفت اليها الى القول ان الانسان يعتدي اذا احس ان الاحباط الواقع له كان متعمدا وحدث بطريقة تعسفية، اي ان الاحباط لا يؤدي الى العدوان في جميع الاحوال لان ظهور العدوان بسبب الاحباط يتوقف على مدى استعداد الشخص للعدوان اي ان الاحباط قد يسبب العدوان وقد لا يسببه بحسب ظروف عدة من بينها الظروف التي يتم فيها الاحباط[٢٥].

وتذهب نظريات علمية الى القول ان الانسان لا يعتدى الا اذا غضب وتهيج، واسباب غضبه كثيرة منها الاحباط والاهانة والظلم والجوع والنقد والضوضاء والحرارة والرطوبة.. وهذا يعني ان الاحباط لا يؤدي الى العدوان ولكنه قد يؤدي الى الغضب الذي يجعل الانسان مهيأ للعدوان اذا وجدت خبراته البيئية[٢٦].

يضاف الى ذلك عوامل نفسية اخرى كالشعور بالظلم والحرمان العاطفي يمكن ان تصبح عوامل للعدوان.

ونعرض جانبا من العوامل النفسية ذات العلاقة بالاجرام وفقا للمعلومات المستقاة من الميدان:

أولاً- مشاعر الاحباط:

اشار ٨٦% من المبحوثين انهم تعرضوا لأفلام قادت بهم الى الملل من الحياة والسخط على الواقع ، واشار ١٤% من المبحوثين انهم شعروا بفعل تعرضهم لأفلام

العنف ان القيام بفعل يتنافى مع القوانين فيه حل لمشكلات طارئة او مستديمة يعانون منها خاصة ان منهم من ليسوا في مواقف ضاغطة يريدون وضع حلول لها، وان تلك المشاعر تولدت لديهم بفعل التعرض لتلك الأفلام وخاصة من خلال المشاهد التي كانت فيها بعض الشخصيات، وبشكل خاص الشباب منهم تكابد من اجل التخلص من مشكلات معينة، ثم تجد نفسها في وضع لابد من القيام بافعال منافية للقانون مما يجعل الأفلام عوامل ايحاء لهم بافكار للحصول على المال عن طريق محدد مثل السرقة او القتل مثلا.

وقد اشار ١٦% من المبحوثين ان مثل ذلك الشعور لم يتولد بسبب التعرض لأفلام العنف حيث عللوا ظهور ذلك الى عوامل اخرى يمكن اعتبارها عوامل اقتصادية واجتماعيةونفسية.

وهذا يعني ان نسبة ضئيلة هي التي تولدت لديها المشاعر المتضمنة بان حلول المشكلات يمكن ان يتحقق عن طريق الاجرام.

ومن جانب آخر تبين ان ١٠٠% من المبحوثين شاهدوا أفلاما عنيفة جعلتهم يشعرون انهم في حاجة الى اشياء كثيرة متوفرة لاقران لهم دون ان تتوفر لهم، وقد تبين ان هؤلاء الشباب كانوا يقارنون اثناء تعرضهم لتلك الأفلام بين واقعهم وبين واقع الآحرين ممن يظهرون في تلك الأفلام مثل اقامة الصداقات مع الشابات وامتلاك المبالغ والسيارات وقضاء اوقات الفراغ والسفر والبذخ وما الى ذلك من مظاهر مغرية اذ ان الأفلام تنبه المراهقين دون قصد الى الفوارق بين واقعهم وبين واقع الآخرين حيث يرون ما هو متاح لغيرهم، ويعمد البعض الى الوصول اليه بطرق عدة منها ما هو مشروع وما هو غير مشروع.

وافاد ٧٢% من المبحوثين ان شعورهم بان هناك ما ينقصهم قد شجعهم على التفكير للقيام بالفعل الجرمي، بينما افاد ٢٨% الى ان ذلك لم يشجعهم على القيام بالفعل الجرمي.

وافاد ٦٦% من المبحوثين انهم شاهدوا أفلاما جعلتهم يشعرون بالحيرة او القلق او الضعف، واشار ٤٢% منهم الى ان ذلك شجعهم على القيام بالفعل الجرمي.

وعلى هذا فان جملة عوامل نفسية كان للأفلام دور في اثارتها في عدد من المراهقين. وهذه العوامل هي الملل من الحياة او السخط عليها والشعور بان هناك الكثير الذي ينقصهم بينما يتوفر لغيرهم اضافة الى مشاعر الحيرة او القلق او الضعف، ومجمل هذه المشاعر يمكن ان تتدرج او تقود الى الاحباط، ومع انه من غير اليسير القول ان تلك المشاعر هي العوامل الاساسية التي قادت الى الاجرام، الا انه من غير الممكن تجاهلها، خاصة في الحالات التي يمكن فيها ان تبدو تلك المشاعر قريبة من الاحباط.

ثانياً- جماعة التعرض للسينما والفيديو:

يتخذ طابع التعرض للفديو صيغة تشابه التعرض للسينما في الغالب، حيث يرتاد دور السينما مجموعات من الاصدقاء والزملاء في كثير من الاحيان، كما ان التعرض للأفلام عبر الفديو، كثيرا ما يتخذ شكل جماعات صغيرة، هي ما نطلق عليها جماعات التعرض.

ويميل الشباب المراهقون الى تكوين جماعات متعددة وكل عضو فيها يريد تأكيد ذاته واشباع دوافعه في الانتماء والقبول.

وتفصح المعلومات المستقاة من الميدان ان للسينما والفديو تأثيرات ثانوية اخرى حيث ان التعرض لهما يقود الى ظهور جماعات وهذه الجماعات تؤثر في السلوك ومنها ما يقود الى الاجرام في ظروف معينة.

وقد تبين ان تعرض الشباب لأفلام العنف عن طريق الفديو والسينما يتخذ النسب التالية من حيث الصيغ الجماعية والفردية للتعرض:

- ٨% من المبحوثين يتعرضون لهذه الأفلام بمفردهم.
- ٦٤% من المبحوثين يتعرضون مع اصدقاء لهم.
- ١٨% من المبحوثين يتعرضون مع زملاء لهم.
- ١٠% من المبحوثين يتعرضون مع افراد اسرهم.

وتبين ان ٨٢% من المبحوثين يتعرضون للأفلام مع اصدقائهم وزملائهم، وهذا يعني ان فرصة التعرض للفلم عبر الفديو او السينما تجمع اعدادا من المراهقين لفترات غير قصيرة، مما يوفر امكانات تشكل "عصبة" حيث ان نظرية العصبة او الشلة تمثل اتجها اجتماعيا آخر في تفسير طبيعة جنوح الاحداث على اساس ان العصبة الجانحة تتكون بنفس العمليات والظروف التي تتكون منها انواع الجماعات الاحرى ووجود العصبة لا يشكل سببا للجريمة او الجنوح نفسه بل هو عامل مهم يسهل لافرادها ارتياد السلوك الاجرامي او انتشار هذا السلوك على نطاق اوسع حيث ان تنظيم العصبة الجانحة وما تقدمه من اسباب الحماية لافرادها قد يسهم، الى حد كبير، في تسهيل تنفيذ الاعمال الاجرامية وتبادل الخبرات الاجرامية وانتقال اساليب ارتكاب الجريمة بين افرادها خاصة وان العصبة الجانحة تعتبر تطويرا تلقائيا عن جماعات اللعب التي ينتمي اليها المراهقون ولكنها تتحول الى عصبة جانحة عند قيام صراعات شخصية بين جماعات اللعب مما يؤدي الى تكتل افراد العصبة وتكوين تنظيم معين لحماية حقوق افراد العصبة او مصالحهم ولأشباع بعض الحاجات والرغبات التي حرموا من اشباعها خلال العيش مع اسرهم[٢٧].

ومع ان كثيرا من الجرائم المرتكبة من قبل المراهقين لم تكن نتيجة تشكيل شلل في هذا المستوى الا ان قسما منه جاء نتيجة ذلك، وبذا تعد جماعات تلقي أفلام الفديو وجماعات ارتياد السينما هي مصدر لتجمع يمكن ان يتبلور في شاكلة هي العصبة الجانحة ولكن حتى اذا لم تتحول الشلة الى عصبة جانحة فقد وجد ان هناك تأثيرا من جماعة التعرض في الشباب الجانح وفقا لما يلي:

- افاد ٩ر٩% من الشباب الذين تعرضون للأفلام بصورة جماعية مع اصدقائهم او زملائهم ان الالتقاء ببعض الافراد جعل منهم شلة، وقد دفعت الشلة البعض الى انماط سلوكية جديدة تطلب تنفيذها اللجوء الى مخالفة القانون.
- افاد ٩ر٩% من الشباب الذين يتعرضون للأفلام بصورة جماعية مع اصدقائهم او زملائهم ان بعض اعضاء الجماعة التي يشاهد منها الأفلام كانت مشاركة له في الفعل الجرمي.

- افاد ٧٠٠ر٧% من الشباب الذين يتعرضون للأفلام بصورة جماعية مع اصدقائهم او زملائهم ان اذهانهم قد تفتحت على مطامح وانماط سلوك وتفكير جديدة كان من بينها التطلع الى تحقيق رغبات لا يمكن لها التحقق في وقت سريع الا عن طريق الفعل الجرمي.
- افاد ٩ر٤% من الشباب الذين يتعرضون للأفلام بصورة جماعية مع اصدقائهم او زملائهم الالتقاء في مجموعة قد تسمح على القيام بالفعل الجرمي.

المبحث الرابع

دور أفلام العنف في تكوين انطباعات ذهنية لدى المراهقين عن الجريمة والمجرمين

نتناول في هذا المبحث المعطيات الميدانية المستقاة من المبحوثين والتي تعطي الصورة عن الانطباعات الذهنية التي تشكلت لدى المبحوثين عن الجريمة والمجرمين قبل اقدامهم على الافعال الجرمية وعلاقة تلك الانطباعات بالأفلام التي تعرضوا لها.

والانطباع الذهني هو تصور فكري مجرد لشيء او شخص او معنى وهو ليس انعكاسا بسيطا بل يقوم على إدراكات وخبرات سابقة، حيث يركز الفرد في المواقف المختلفة على جوانب معينة من هذه الادراكات، ويستعيد او ينسى جوانب اخرى ويعيد تفسير المدركات عند تنظيم اية صورة او انطباعة ذهنية.

وتقوم الانطباعة الذهنية على الادراك المباشر للموضوع اضافة الى قيامها على مصادر غير مباشرة للمعلومات كما هو الحال في الاتصال الجماهيري او قد تقوم على مصادر اخرى يشكلها الخيال.

ويختلف الافراد في الانطباعات الذهنية التي يرسمونها عن الاشياء والموضوعات فيما بينهم كما يختلفون من فترة الى اخرى[٢٨].

وتقدم الأفلام الشخصيات والمشاعر والقيم باسلوب درامي، لذا فان الأطفال والشباب يكونون على استعداد لاستيعاب تلك الافكار والقيم عاطفيا[٢٩].

فالانطباعات هي اشارة الى ما ينطبع في الذهن من صفات ما هو مدرك، ويتكون الانطباع نتيجة عوامل موضوعية واخرى ذاتية ويتخذ تكوين الانطباع مرحلتين، تتمثل الاولى في استنتاج صفة يتميز بها موضوع الادراك وتتمثل الثانية في استنتاج صفات اخرى مكملة نتيجة الملاحظة ومن العوامل الموضوعية التي تؤثر في

المرحلة الاولى من تكوين الانطباع ما يلي[٣٠]:

١- **الاولوية:** حيث ان المعلومات التي تصل اولا الى الشخص هي التي تثبت وهي التي يستنتج منها صفة تميز موضوع الادراك.

٢- **الوضوح:** حيث ان التنبيهات الواضحة التي ينتقيها الفرد دون غيرها ويتخذها اساسا لاستنتاج صفات عن موضوع الادراك.

٣- **التكرار:** ان التنبيهات التي تظهر مرارا تدرك اكثر من غيرها وتكون موضوعا لاستنتاج صفات اكثر من غيرها.

ومن العوامل الذاتية: الحالة الانفعالية للشخص الذي يدرك، وسماته الشخصية واتجاهاته.

اما العوامل المؤثرة في الخطوة التالية من عملية تكوين الانطباعات فهي:

عوامل ثقافية تتسرب اليه عن طريق التنشئة الاجتماعية وتؤثر في استنتاج الصفات اضافة الى عوامل شخصية فردية وشخصية.

وتؤثر الانطباعات تأثيرا بالغا في سلوك الافراد والجماعات وفي تكوين ردود افعالهم.

وحين تنقل الأفلام للأطفال والمراهقين انطباعات محببة او مغرية عن الجريمة والمجرمين فان ذلك يشكل مصدر خطر كبير فيهم.

ونعرض فيما يلي انطباعات الشباب المحكوم عليهم عن الجريمة والمجرمين. إذ تبين ان ٦٨% من المبحوثين قد شاهدوا أفلاما ذات مضامين عنيفة ظلت افكارها في اذهانهم بينما اوضح ٣٤% منهم انهم شاهدوا أفلاما مؤثرة الا ان افكارها لن تبق في الذاكرة.

اما الموضوعات التي ظلت في الذاكرة فقد كانت في المجالات التالية:

- شاب يستطيع الزواج بعد قيامه بالسرقة.
- شاب يمارس القتل دفاعا عن نفسه وعن المجتمع.
- مجموعة شبان يستعينون بكلاب لاشغال موظفي بنك تمهيدا للسرقة.
- يتيم يمارس المغامرات ليحصل على حقوقه.
- يتيم يمر بظروف قاسية بحثا عن امه او من يرعاه.

- يتيم اضطر الى بيع قميصه وحزامه من اجل سد رمقه.
- تهريب المخدرات وعمليات بيعها وشرائها.
- عمليات السلب والقتل.
- عصابة تعتدي على اب ويحاول الابن الانتقام.

ومن خلال هذه الموضوعات يتضح ان المراهقين في تعرضهم للأفلام يستبقون في اذهانهم موضوعات ذات ارتباط باتجاهاتهم او معاناتهم وان منهم من ظلت فى ذاكرته اوضاع البطل النفسية او الاجتماعية او الاسرية، منهم من ظلت في ذاكرته القضية الكامنة وراء تصرف بطل الفلم وهذا يعطي الصورة عن الانطباعات التي تشكلت في اذهان الشباب عن الجريمة.

واوضح ٩٠% من المراهقين ان تعرضهم لأفلام العنف وخاصة أفلام الجريمة والمغامرات جعلتهم يشعرون ان ممارسة الاعمال العنيفة او الاعمال المخالفة للقانون هى من الامور الاعتيادية وليست من الامور الغريبة، واوضح بعض هؤلاء ان الأفلام كثيرا ما تظهر الجريمة معقدة اكثر مما هي عليه في الواقع.

وعلى هذا فان الأفلام يمكن ان تخلق انطباعا لدى الشبان، ان الجريمة امر سهل واعتيادي وبالتالي فان الاقدام عليها ليس غريبا او صعبا.

واوضح ٨٨% من الشباب انهم تعرضوا لأفلام عنف يظهر فيها المجرمون موضع اهتمام الآخرين وقد اورد الشبان للباحث امثلة متنوعة عند اجابتهم على هذا السؤال منها ما هي أفلام مصرية واخرى اجنبية يظهر فيه المجرمون كالقتلة والسراق ومهربو المخدرات ورؤوساء العصابات موضع عناية الآخرين.

واوضح ٢٧% من مجموع المراهقين الذين تعرضوا لأفلام ظهر فيها المجرمون وهم موضع عناية الآخرين انهم تأثروا بمثل ذلك الموقف واحبوا التشبه بهم على اساس ان هناك من يقوم بأعمال عدوانية كي يلفت الانظار اليه.

وهذا يعني ان الاجواء التي تحيط بها الأفلام المجرمين تصبح في بعض الاحيان عوامل اغراء للشبان في التشبه بمثل تلك الحالات.

واوضح ٩٨% من مجموع الشبان انهم شاهدوا أفلام عنف تظهر فيها الشخصيات التي تقوم بأفعال مخالفة للقانون وكأن تلك الاعمال هي اعمال شجاعة او بطولة او مخاطرة.

وهذا يعني ان كثيرا من أفلام العنف تضفي على الاعمال المنافية للقانون سمات البطولة والشجاعة، اذ ان قسما من مشاهديها يفهمون منها ذلك.

وأجاب الشبان عن مدى اقتناعهم بأن الاعمال المنافية للقانون تنطوي على الشجاعة او البطولة افاد ٧١% من الذين يشاهدون تلك الأفلام انهم على قناعة من ذلك اي انهم يجدون في ممارسة العمل المخالف للقانون قدرا من الشجاعة وكان بعض الشباب يشيرون الى ان الاقدام على اقتراف جرم يتطلب جرأة ومجازفة قد لا يقدر الكثيرون على ادائها.

وعلى هذا فأن الأفلام تشكل مصدرا لاظهار الجريمة بمظهر فيه قدر من القبول وكانت احدى الدراسات قد اوضحت عددا من المتغيرات التي وصفت بأنها مقبولة فيما يتعلق بالعدوان ومن تلك المتغيرات ان وسائل الاتصال تعمل على استثارة العدوان الفردي او العدوان الجمعي من خلال تمجيدها المتعمد للعنف[٣١].

وافاد جميع الشبان انهم شاهدوا في أفلام العنف حياة الترف التي يحياها الاشخاص الذين يقومون بالاعمال الخارجة عن القانون واورد الكثير من الشبان الامثلة حول الموضوعات التي شاهدوها مثل:

- ارتداء الالبسة الثمينة والانيقة.
- ارتياد المطاعم والفنادق والاماكن الفخمة.
- اقامة علاقات صداقة مع الفتيات الجميلات.
- اقامة علاقات مع ذوي النفوذ في المجتمع.
- اكتساب الشهرة.

وقد افاد ٢٦% من الشبان انهم تأثروا بتلك الاجواء مما شجعهم على القيام بالافعال المنسوبة اليهم بينما افاد ٦٤% منهم انهم لم يتأثروا بتلك الاجواء.

المبحث الخامس

النتائج النهائية للعلاقة بين التعرض لأفلام العنف وبين الاجرام

عمل هذا البحث على التقصي ميدانيا عن العوامل الداعية الى قيام المراهقين بالافعال الجرمية والناجمة عن التعرض لأفلام العنف من خلال السينما او التلفزيون او الفديو.

وقد توصل البحث، نتيجة الاجراءات الميدانية، الى تحديد العلاقة بين أفلام العنف وبين الاجرام، وتبين انه رغم شيوع كثير من النتائج العلمية حول تلك العلاقة، الا ان نتائج هذا البحث افصحت عن نتائج ذات سمات جديدة خاصة، ترتبط بطبيعة بيئتنا الاجتماعية، وعلى ذلك فان بعض النتائج المستقاة من بيئات اخرى كان حضور متغيراتها متباينا بدرجات مختلفة عما انتهى اليه هذا البحث من نتائج في بعض الاوجه.

ومع ان المباحث الثلاثة الاخيرة من هذا الفصل قد افصحت عن تلك النتائج، الا ان هذا الفصل يشكل عملية ربط لمجمل النتائج للوصول الى تحديد تلك النتائج بشكل اكثر وضوحا.

وعلى هذا نعرض النتائج المهمة دون الدخول في المؤشرات الرقمية حيث ان المباحث الثلاثة الاخيرة قد اشارت اليها مستعينة بالارقام.

ونعرض هذه النتائج فيما يلي:

١- لم يثبت ان لأفلام العنف التي يتعرض لها المراهقون من خلال السينما او التلفزيون او الفديو علاقة مباشرة بقيامهم بالسرقة او القتل، اذ ان لذلك النوع من الأفلام علاقة غير مباشرة بالاجرام.

٢- رغم ان هناك ادبيات كثيرة في علم الاجرام تشير الى ان الاحداث والشباب يقلدون الآخرين في اتيانهم بالجريمة، وانهم في افعالهم الاجرامية يمارسون عملية التقليد، اي الاتيان بالفعل الجرمي على غرار مشاهدتهم له الا انه لم يثبت من خلال بحثنا هذا ان الشباب المراهقين كانوا مدفوعين بالتقليد في اقترافهم الاجرام، لكن ما تم التثبت منه ان أفلام العنف تثير في نسبة من الشباب مشاعر متعددة، وتؤول الى انطباعات تشكل حوافز للقيام بالاجرام.

ويبدو من خلال تعريف التقليد الذي يبدو مفهومه العام وكأنه تفسير للسلوك فيه قدر من السطحية او ألالية، في الوقت الذي يعتبر فيه السلوك الانساني نتيجة لمؤثرات متداخلة ومتشابكة ومعقدة، وعلى هذا فأن القول بأن نمطا سلوكيا معينا كان نتيجة للتقليد وحده هو قول يفتقد الى التحليل الدقيق للسلوك، ومن هنا جاء المنظور القائل بأن مفهوم التقليد آخذ بالاختفاء في العلوم الانسانية، حيث حلت محله مفاهيم اخرى جديدة، كما سبقت الاشارة الى ذلك.

وعلى هذا، فأنه حتى لو ظهرت انماط سلوكية تبدو وكأنها محاكاة لانماط سلوكية لافراد آخرين او لشخصيات في الأفلام، فأن تفسيرها يتطلب الرجوع الى عوامل اكثر دقة ووضوحا بدل الركون الى اطلاق تفسير عام.

وعلى هذا فان الافعال الجرمية التي يفسرها بعض الباحثين او المحققين الجنائيين على انها تقليد او محاكاة، والافعال الجرمية التي يرجعها القائمون بها انفسهم الى انهم شاهدوا امثلة لها في الأفلام، هي في واقع الامر نتيجة لعوامل متعددة، ويندر ان يتكرر فعل جرمي في فلم الى فعل بنفس تفاصيله واسبابه ونتائجه، وخاصة من قبل الشباب، حيث ان الافراد الذين يمتلكون الاستعداد تدفع بهم الأفلام الى التفكير في انماط اجرامية وكثيرا ما يحاولون تكرار جانب منها لسبب جوهري هو انها اصبحت بفعل الافلام حزء من خبراتهم العوضية، اي الخبرات التي لم يمروا بها فعلا بل هي التي يتلقونها من الآخرين، وعن وسائل الإعلام.

وقد قادت مقابلات الباحث مع المبحوثين الى ان التقليد بالمعنى المشار اليه لم يجد تطبيقا الا لجوانب جزئية، كما ان طبيعة الجرائم التي تعرضها الأفلام كانت

بمستويات من التنظيم والتخطيط بما لا يمكن اعتبار جرائم الشباب المراهقين ازاءها تقليدا، حيث كانت جرائم الشباب بمستويات واطئة من التخطيط والتنظيم.

ومما يلفت النظر ان الشباب المراهقين كانوا شديدي التأثر بالأفلام التي تعرض حالات نفسية واقتصادية واجتماعية مشابهة لحالاتهم، وكانوا ينشدون اليها مما يجعلهم اكثر رغبة في التعرض لها والتأثر بها.

٣- تحمل أفلام العنف الكثير من المعلومات عن الطرق والاساليب والوسائل المتعلقة بالجريمة والمجرمين.

وقد اكد الكثير من الباحثين ان الشباب يتعلمون طرقا فنية في الاجرام استنادا الى الأفلام.

وقد تبين من هذا المبحث ان نسبة غير قليلة من الشباب قد اكتسبوا بعض الطرق والوسائل من الأفلام، ولكن نسبة ما اكتسبوه من تلك الأفلام كان في حدود قليلة، ومنها ما هي معلومات سبق لهم اكتسابها من خلال اتصالهم المباشر بالحياة الاجتماعية، واقروا ان الجرائم التي اقترفوها كانت في مستواها التخطيطي والتنظيمي مما لا يستوجب الرجوع الى فنيات معقدة كالتي تظهر في أفلام العنف في العادة.

ومع ان المبحوثين اشاروا الى ما اكتسبوه من فنيات في العمل الجرمي، الا ان ما نفذوه منها فعلا كان عابرا، مما يشير الى ان مسألة اكتساب معلومات عن طرق ووسائل الاجرام لا يشكل عاملا من عوامل الاجرام، وان الكثيرين يمتلكون مثل تلك المعلومات الا انهم لا يلتجئون الى الجريمة بسبب عدم توفر الاستعداد لهم.

٤- تبين ان نسبة قليلة من المبحوثين قد اصبحوا بسبب التعرض لأفلام العنف يحملون تصورات تتمثل في ان حل بعض المشكلات يمكن ان يتحقق عن طريق الجريمة، وهذه التصورات تعني ان القيم التربوية التي ترى ان حل المشكلات، كالمشكلات الاقتصادية - مثلا - يمكن ان يتحقق باساليب مشروعة قد اهتزت لدى عدد قليل من الشباب، حيث قاد التعرض لأفلام العنف الى تحول قيمي يرى في الاساليب غير المشروعة حلا للمشكلات بدل الاعتماد على الاساليب المشروعة.

ورغم قلة الشباب الذين تكرس لديهم هذا التصور الا انه ينذر باخطار لابد من العمل على التصدي لها، ذلك انها يمكن ان تكبر وتزداد وتصبح جزءا من ثقافة المجتمع، وتشكل جانبا سلبيا في تلك الثقافة مما يصعب مواجهتها.

٥- ان أفلام العنف تحفز الشباب المراهقين على مقارنة واقعهم باوضاع الشباب الاخرين وتوحي لهم تلك المقارنة بافكار كثيرة من بينها ان هناك ظروفا ومتطلبات كثيرة متاحة لغيرهم بينما هي غير متاحة لهم، مما يكرس شعورهم بالحرمان، ويشجعهم ذلك على القيام بالفعل الجرمي.

٦- توحي الأفلام بمشاعر نفسية اخرى تتمثل بالحيرة والقلق والشعور بالضعف، مما يؤدي ببعض الشباب الى الاحباط، مما يشكل دافعا نحو الجريمة، خاصة وان هناك نظريات تربط بين الشعور بالاحباط وبين الاجرام.

٧- وفرت أفلام العنف للشباب المراهقين فرصا كثيرة لتكوين انطباعات عن الجريمة والاجرام لم يكن بالوسع تكوينها من خلال الواقع الاجتماعي وحده ويلعب الانطباع دورا مهما في السلوك الانساني.

ومن بين الانطباعات التي تشكلت بفعل أفلام العنف لدى الشباب المراهقين:

أ - انطباعات مغرية عن الجريمة وذلك من خلال اظهارها وكأنها مخاطرة او مغامرة او شجاعة، او اظهارها من الامور الاعتيادية، وان ممارستها امر ميسور وليس امرا غريبا او عسيرا.

ب - انطباعات مغرية او مرغوب فيها عن المجرمين باعتبارهم اقوياء او اذكياء او لافتة للانظار وموضع الاهتمام وان اجواء حياتهم موضع اغراء.

وعلى هذا فان الأفلام تخلق انطباعات عن الجريمة والمجرمين لدى الشباب وتؤلف هذه الانطباعات حوافز مهمة في اللجوء الى الجريمة.

٨- ظهر ان نسبة غير قليلة من الشباب المراهقين يتعرضون للأفلام، وخاصة عبر الفديو والسينما في جماعات. وقد تحولت بعض جماعات التعرض الى شلل جانحة، حيث تشكل وجود الشلة عاملا يسهل للافراد القيام بالفعل الجرمي او انتشاره بشكل اوسع.

وبالاضافة الى ذلك، فأن وجود جماعة تلقّي أفلام الفديو وجماعات ارتياد السينما حتى في حالة عدم تحولها الى شلة جانحة، فان اعضاءها يتأثرون بعضهم بالبعض الاخر، حيث تبين ان جماعة التعرض دفعت ببعض افرادها الى انماط سلوكية جديدة تطلبت تلبيتها ممارسة الفعل الجرمي وان بعض افراد الجماعة قد اشتركوا بالفعل الجرمي، وان وجود الجماعة فتح الاذهان على مطامح وانماط سلوك جديد، فضلا عن ان جماعة التعرض مهدت للشباب المراهقين - بنسب قليلة - التعرف على اعضاء جدد، وهذا يعني ان الأفلام قادت بصورة غير مباشرة الى الفعل الجرمي من خلال طريقة تعرض الافراد للفديو والسينما.

التوصيات والمقترحات:

١- ان جرائم الشباب والمراهقين ليست على قدر من التخطيط والتنظيم، ومن بين اسبابها ما هو طارىء بفعل ظروف متعددة، وهذا يعني ان الجرائم التي تزايدت خلال السنوات الاخيرة، وخاصة جرائم الشباب المراهقين هي في مرحلة تمهيدية، ويمكن ان تصبح اكثر تخطيطا وتنظيما في المستقبل اذا لم توضع الضوابط التي تحد منها. لذا فأن امام اجهزة رسم وتنفيذ السياسة الجنائية مسؤوليات جسيمة في الالتفات الى هذه الظاهرة التي تنذر باخطار كبيرة في المستقبل اذا لم تتخذ الاجراءات الفعلية ازاءها.

٢- هناك مغالاة لدى الكثيرين حول تأثير أفلام العنف وخاصة أفلام الجريمة، حيث ان هناك تصورات يطلقها الكثير حول اخطار أفلام العنف، علما ان تلك الأفلام ليست بالضرورة ان تكون ضارة، لان منها ما يشكل تنفيسا لشحنات العدوان، ومنها ما يقود الى غرس انطباعات ضد الجريمة، كما ان منها ما يشكل تحصينا للمواطن ضد الجريمة.

لذا فان امام الاجهزة المعنية بعرض او الرقابة على الأفلام مسؤوليات التمعن في مضمون وشكل تلك الأفلام.

٣- ان لأفلام العنف تأثيرات غير مباشرة في اجرام الشباب المراهقين ولكن هناك الى جانب هذه التأثيرات غير المباشرة، ما هو مباشر مثل العوامل الاقتصادية والمهنية، والاسرية والنفسية والبيئية، وهذه العوامل تستدعي مزيدا من الاهتمام والدراسة بحيث تتوافق الحلول جميعا في سياق واحد كي تؤدي النتائج المرجوة بقدر عال من النجاح.

٤- لما كانت بعض أفلام العنف قد ادت الى انتشار تصورات لدى بعض الشباب بان الجريمة تشكل حلا لبعض المشكلات، فان ذلك يدعو الى العمل على ترويج الافكار المعاكسة بين الشباب حول مواجهة المشكلات عن طريق العمل واتباع التفكير العلمي في المواجهة مع تنمية القيم الاخلاقية.

٥- لما كانت بعض الانطباعات قد تكونت حول الجريمة لدى بعض الشباب، فان امام المؤسسات الإعلامية والتربوية والشبابية مسؤولية رسم انطباعات سلبية عن الجريمة.

٦- لما كانت بعض أفلام العنف تظهر المجرمين بمظاهر مغرية، لذا يتوجب على المؤسسات التربوية والإعلامية والشبابية تقديم ما يظهر المجرمين في مظاهر ينفر الشباب منها.

٧- ضرورة ان تستوعب خطط وبرامج المؤسسات التربوية والإعلامية والشبابية ما يؤكد على العمل على تكوين انطباعات سلبية عن كل انماط العدوان.

هوامش الفصل العاشر:

(١) د. هادي نعمان الهيتي، آدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة العامة للكتب المصرية، ١٩٧٧، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) د. هالة العمران، الشباب العربي في الخليج ومؤشرات اجهزة الإعلام الحديثة، بحث مقدم الى ندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي، تشرين الثاني، ١٩٨٥.

(٣) Evertt Rogers and Lynne Svenning. Moderni Zationamong Peas ants, The Impact of Communication New york, Holt and Winston, ١٩٦٩Inc, p١٠٧.

(٤) هادي نعمان الهيتي، الاتصال والتغير الثقافي، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨، ص٣٠.

(٥) د. هالة العمران، مرجع سابق، ص ١٣.

(٦) المرجع السابق، ص٨.

(٧) Wilbur Schramm and Donald F. Reborts, the Process and Effects of Mass Communication, University of Hlinois Press. ٣rd Print, ١٩٧٤, p٣٤٧.

(٨) Otto N. Larsen, Violence and the Mass Media Harper, ١٩٦٨, p ٩٩ -١٠٣.

(٩) هيئة التحرير، الجريمة والمجتمع، مجلة شؤون اجتماعية، البحرين، العدد ٥، ١٩٨٧، ص١ - ٢.

(١٠) د. سيد عويس، تنظيم البحث العلمي لاغراض الدفاع الاجتماعي، المجلة الجنائية القومية، العدد ٣، نوفمبر، ١٩٧١، ص٣٧.

(١١) فيليب بوشار، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(١٢) المرجع نفسه.

(١٣) د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٨، ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

(١٤) فيليب بوشار، مرجع سابق، ص ٣٦٧.

(١٥) Gerald S. Forman and Jak Levin, Social Science Research, London, ١٩٧٥p, ٤٠.

(١٦) Charles H. Back Storm, Survey Research, ١١th Print, ١٩٧٧p, ٦٧ -١٠٨

(١٧) جمال حسين الآلوسي، واميمة علي خان، علم نفس الطفولة والمراهقة، بغداد، وزارة التعليم العالي، ١٩٨٣، ص٥٤.

(١٨) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة ١٩٧٩، مفردة تقليد Imittion .

(١٩) المرجع السابق.

(٢٠) د. منيرة احمد حلمي، التفاعل الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨، ص ٢٠٠.

(٢١) عبدالمنعم سعد، السينما والشباب، القاهرة، كتاب الاذاعة والتلفزيون، ص١٢٢.

(٢٢) د. كمال ابراهيم موسى، سيكولوجية العدوان، ملف في مجلة الامن والحياة، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب، العدد ٧ أبريل ١٩٨٣.

(٢٣) د. سمير نعيم احمد، الدراسات العلمية للسلوك الاجرامي، مجلة الشرطة، العدد ١٦٩ ، يناير ١٩٨٥، ص٤٥.

(٢٤) د. انيس فهمي، العنف في التلفزيون، الفن الاذاعي، العدد ٨٣، يناير ١٩٧٩، ص٧٤.

(٢٥) د. كمال ابراهيم موسى، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٢٧) فائقة يوسف الابراهيم، العوامل المؤثرة على جنوح الاحداث، مكتب المتابعة، البحرين، ١٩٨٦، ص٩٥.

(٢٨) ارثر جورج هيوثر، اي اج هيوز، التعلم والتعليم، مدخل في التربية وعلم النفس، ترجمة: حسن الدجيلي، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢، ص ١٣١-١٣٣.

(٢٩) د. ابراهيم امين، اثر التلفزيون على انحراف النشء، الفن الاذاعي، العدد ٦٦، ابريل ١٩٧٥، ص٧٤.

(٣٠) د. منيرة احمد حلمي، التفاعل الاجتماعي، مرجع سابق.

(٣١) قاسم حسين صالح، التلفزيون والأطفال، بغداد، دار ثقافة الأطفال، ص٧٣.

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

ثقافة حقوق الأطفال ودور الإعلام في إثرائها ـــــــ ٩٥

الفصل السابع

الفضائيات الوافدة والأطفال العرب ـــــــــــــ ١٠٧

الفصل الثامن

علاقة التلفزيون بإثارة إجراءات التجنب عند ارتكاب الأحداث والأفعال الجانحة ـــــــــــــــــــــــ ١٣٥

الفصل التاسع

استخدام الاطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة التلفزيون بالتنبيه إليها ـــــــ ١٥٧

الفصل العاشر

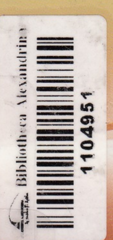
استخدام الأطفال للآلة في تنفيذ الفعل الجانح وعلاقة تعرض الشباب المراهقين لأفلام العنف في التلفزون والسينما والفديو وعلاقته بالجنوح ـــــــ ١٧٥

المبحث الاول

المبحث الثاني



الإعلام والطفل




ISBN 978-9957-22-205-5
9 789957 222055


دار أسامة
للنشر والتوزيع
هاتف: 00962 6 5658253 / 00962 6 5658252
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الإلكتروني: www.darosama.net